صفحة العنوان بعد الفهرس



## فهرس الجزء الثالث من كتاب حياة سيد العرب


| صحيفة | | صحيفة | |
|---|---|---|---|
| ٢ | سرية محمد بن مسلمة الانصارى الى القرطاء | ١٧ | سرية عبد الله بن عتيك لقتل بن ابى الحقيق وما عمله من الجرأة الخارقة والشجاعة النادرة فى قتله |
| ٣ | نظرية المؤلف فى هذه القصة وثمرة العفو، والعطف، والشفقة | ٢٢ | سرية عبد الله بن رواحة الى اسير بن رزام اليهودى بخيبر وقتله مع رفاقه |
| ٦ | غزوة بنى لحيان | ٢٣ | نظرية المؤلف فى ذلك |
| ٧ | سرية عكاشة بن محصن الى غمر | ٢٥ | سرية كرز بن جابر الفهرى الى عكل وعرينة |
| ٧ | سرية محمد بن مسلمة الانصارى الى ذى قصة | ٢٦ | سرية عمرو بن أمية الضميرى الى أبى سفيان |
| ٨ | نظرية المؤلف فى تسامح الدين الاسلامى | ٣١ | **عمرة الحديبية** |
| ٩ | سرية زيد بن حارثة الى بنى سليم بالجموم | ٣١ | منع قريش رسول الله ﷺ واصحابه من دخول مكة |
| ١٠ | سرية زيد بن حارثة الى العيص وقصة أبى العاص زوج زينب بنت رسول الله ﷺ | ٤٥ | شروط صلح الحديبية وما جرى فى ذلك من قساوة قريش |
| ١١ | سرية زيد بن حارثة الى الطرف | ٤٧ | انفعال عمر بن الخطاب من قساوة قريش |
| ١٢ | سرية زيد بن حارثة الى ذات القرى | | |
| ١٣ | » » » الى وادى القرى | | |
| ١٣ | سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل | | |
| ١٥ | سرية على بن ابى طالب الى بنى سعد | | |
| ١٦ | سرية زيد بن حارثة الى وادى القرى | | |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٤٨ | نظرية المؤلف فى شروط صلح قريش |
| ٥٠ | قصة ابى جندل |
| ٥٢ | بيعة الرضوان وماجرى فيها من الحماس |
| ٥٦ | نحر الهدى |
| ٥٨ | التجاء المؤمنات |
| ٦٠ | نظرية المؤلف فى كون النبى ﷺ أميًا |
| ٦٣ | نهوض المستضعفين بمكة وقصة ابى بصير وابى جندل وتأثيرهم الحربى على قريش ونظرية المؤلف فى ذلك |
| ٦٩ | غزوة ذى قرد ، وبسالة سلمة بن الاكوع |
| ٧٦ | **كتبه ﷺ الى الملوك** |
| ٧٧ | كتابه ﷺ الى المقوقس ملك مصر ، وما جرى بين المقوقس وحاطب من المناظرة فى الدين الاسلامى |
| ٨٠ | هدية المقوقس للنبى ﷺ |
| ٨٠ | قصة المغيرة بن شعبة مع المقوقس |
| ٨١ | كتابه ﷺ الى قيصر الروم مع دحية الكلبي ، وما جرى بين القيصر وأبى سفيان بن حرب من البحث فى مبعث النبي ﷺ |
| ٨٤ | نظرية المؤلف فى البحث المتقدم |
| ٨٥ | مناظرة قيصر الروم مع قومه فى مبعث النبى ﷺ |
| ٨٦ | بقاء ذلك الكتاب عند ملوك الافرنج يتوارثونه مدة من الزمن |
| ٨٧ | نظرية المؤلف فى بحث القيصر مع أبى سفيان |
| ٨٩ | كتابه ﷺ الى كسرى وتمزيق كسرى ذلك الكتاب |
| ٩١ | كتابه ﷺ الى النجاشى واسلام النجاشى |
| ٩٤ | كتابه ﷺ الى المنذر بن ساوى التميمى |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٩٥ | كتابه ﷺ الى هوذة صاحب اليمامة |
| ٩٧ | كتابه ﷺ الى الحارث الغسانى ملك الشام |
| ٩٩ | **غزوة خيبر** |
| ١٠٦ | فتح حصن النطاة |
| ١٠٧ | فتح حصن الصعب |
| ١٠٨ | فتح حصن الزبير |
| ١٠٩ | فتح حصن الشق |
| ١١٠ | فتح حصن المنزال |
| ١١٠ | فتح حصن الكتيبة |
| ١١٢ | مبارزة على بن ابى طالب والزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة الانصارى ، مع فرسان يهود خيبر وهم الحارث ، وياسر ، ومرحب |
| ١١٥ | قصة الصحابى الذى استشهد ودخل الجنة ولم يعبد الله بغير الجهاد |
| ١١٦ | فتح حصن الوطيح والسلالم |
| ١١٩ | وضع اليهودية السم للنبي ﷺ فى الشاة |
| ١٢١ | زواجه ﷺ على صفية بنت حيي ونظرية المؤلف فى ذلك |
| ١٢٣ | ماوقع فى طريقه الى المدينة |
| ١٢٤ | اسماء من استشهد بخيبر |
| ١٢٦ | حديث الحجاج بن علاط مع قريش فى شأن فتح خيبر ونظرية المؤلف فى ذلك |
| ١٣٠ | تقسيم أموال خيبر |
| ١٣٤ | أمر فدك |
| ١٣٥ | الداريون |
| ١٣٥ | غزوة وادى القرى |
| ١٣٦ | أهل تيماء |
| ١٣٧ | التعامل مع اليهود على ارض خيبر |
| ١٤٣ | قدوم جعفر بن ابى طالب ومن معه من الصحابة من ارض الحبشة |
| ١٤٦ | قدوم وفد الحبشة |
| ١٤٨ | قدوم ابى هريرة الى المدينة |
| ١٤٨ | زواجه ﷺ على أم حبيبة |

| صحيفة | |
|---|---|
| ١٥٠ | سرية عمر بن الخطاب الى تربه |
| ١٥١ | سرية ابى بكر الصديق الى بنى كلاب |
| ١٥٣ | سرية بشير بن سعد الانصارى الى بنى مرة |
| ١٥٣ | سرية غالب الليثى الى الميفعة |
| ١٥٣ | سرية بشير الانصارى الى يمن ، وجبار |
| ١٥٤ | **عمرة القضاء** |
| ١٥٨ | زواجه ﷺ على ميمونة بنت الحارث |
| ١٥٩ | عودته ﷺ من العمرة الى المدينة وقصة عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب |
| ١٦١ | اسلام خالد بن الوليد ، وعثمان ابن طلحة ، وعمرو بن العاص |
| ١٦٨ | سرية ابن ابى العوجاء السلمى الى بنى سليم |
| ١٦٩ | سرية غالب الليثى الى بنى الملوح |
| ١٧٠ | سرية غالب الليثى الى مصاب اصحاب بشير الانصارى |
| ١٧٢ | سرية شجاع الاسدى الى بنى عامر |
| ١٧٣ | سرية كعب الغفارى الى ذات الاطلاح |
| ١٧٤ | سرية مؤتة وما وقع فيها من بسالة الامراء الثلاثة زيد بن حارثة ، وجعفر بن ابى طالب ، وعبد الله بن رواحة وشهادتهم |
| ١٧٩ | اخذ خالد بن الوليد الراية وفوزه على العدو |
| ١٨١ | غنائم مؤتة |
| ١٨٢ | اسماء من استشهد بمؤتة |
| ١٨٣ | نظرية المؤلف فى وقعة مؤتة |
| ١٨٥ | سرية عمرو بن العاص الى ذات السلاسل |
| ١٨٧ | ما وقع بين عمرو وكبار الصحابة من الخلاف |

| صحيفة | |
|---|---|
| ١٨٩ | سرية ابي عبيدة بن الجراح الى سيف البحر |
| ١٩١ | سرية ابي قتادة الى خضرة |
| ١٩٢ | سرية ابن ابي حدرد الاسلمى الى الغابة |
| ١٩٣ | سرية أبي قتادة الى بطن اضم، وقتل ملحم بن جثامة عامر بن الاضبط |
| ١٩٥ | نظرية المؤلف فى ذلك |
| ١٩٨ | نظرية المؤلف فى ان سبب تفكك المسلمين وتخاذلهم امران ، الاول دخول البدع والخرافات فى جهلاء الاسلام- والثانى الدعوة باسم الوطنية ومعالجة ذلك |
| ٢٠٦ | **غزوة فتح مكة** |
| ٢٠٩ | الاسباب التى دعت لفتح مكة ونقض قريش للعهد |
| ٢١٣ | ندم قريش على نقض العهد وبعث ابى سفيان الى النبي ﷺ لتجديد العهد وفشله |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٢١٥ | تجهيز رسول الله ﷺ للخروج واستشارته أبا بكر ، وعمر ، فى ذلك |
| ٢١٦ | استشارة النبي ﷺ المسلمين فى فتح مكة |
| ٢١٧ | كتاب حاطب بن ابى بلتعة لكبار قريش ينذرهم بمسير رسول الله ﷺ اليهم |
| ٢١٩ | خروجه ﷺ الى مكة للفتح |
| ٢٢٠ | هجرة العباس بن عبد المطلب |
| ٢٢٢ | تقسيم الرايات على القبائل، والقواد |
| ٢٢٢ | تجسس ابى سفيان جيش رسول الله ﷺ بمر الظهران والتجاؤه بالعباس |
| ٢٢٤ | تمثل ابى سفيان بين يدى النبي ﷺ واسلامه |
| ٢٢٥ | مرور كتائب الاسلام بمر الظهران امام ابى سفيان |
| ٢٣١ | دخول رسول الله ﷺ مكة |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٢٣٣ | معركة خالد بمكة مع الاوباش وانهزامهم |
| ٢٣٤ | هدر النبي صلى الله عليه وسلم دم أناس من المشركين |
| ٢٣٨ | منع النبي ﷺ خالداً من القتال |
| ٢٣٩ | اسلام ابي قحافة |
| ٢٤٠ | طريقه ﷺ الى المسجد |
| ٢٤١ | طوافه ﷺ بالكعبة |
| ٢٤١ | امره ﷺ بتكسير الاصنام |
| ٢٤٣ | امره ﷺ على عثمان بن طلحة الحجبي ان يأتيه بمفتاح الكعبة، ودخوله ﷺ الكعبة |
| ٢٤٥ | اعطاؤه ﷺ مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة |
| ٢٤٦ | ذهابه ﷺ الى الصفا |
| ٢٤٦ | اذان بلال على الكعبة |
| ٢٤٨ | دخوله ﷺ دار أم هانئ |
| ٢٤٨ | **خطبة الفتح** |
| ٢٥٠ | بيعة الفتح للرجال على الصفا |
| ٢٥٤ | بيعة الفتح للنساء على الصفا |
| ٢٥٤ | حديث هند بنت عتبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ٢٥٧ | اسلام شيبة بن عثمان الحجبي |
| ٢٥٩ | عفوه ﷺ عن عكرمة بن ابي جهل |
| ٢٦١ | اقبال سادات قريش على الاسلام |
| ٢٦٣ | نظرية المؤلف في عفو النبي ﷺ |
| ٢٦٤ | امره ﷺ بتجديد انصاب الحرم |
| ٢٦٥ | بعثه ﷺ السرايا لهدم الاصنام التي حول مكة |
| ٢٦٧ | سرية خالد بن الوليد الى بني جذيمة |
| ٢٦٩ | نظرية المؤلف فيما وقع بين خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب من الخلاف |
| ٢٧٤ | استقراض النبي ﷺ من اغنياء قريش مالا لحرب هوازن |
| ٢٧٤ | ولاية عتاب بن اسيد امارة مكة |
| ٢٧٥ | **غزوة حنين** |
| ٢٧٥ | بحث المؤلف عن موضع وادي حنين |
| ٢٧٧ | موضع حنين |

صحيفة

٢٧٨ سبب غزوة حنين

٢٧٩ تعبئة هوازن وثقيف لحرب رسول الله ﷺ وخروجهم الى حنين

٢٨٢ استعلام النبي ﷺ بتعبئة هوازن

٢٨٤ خروجه ﷺ الى هوازن

٢٨٥ تعبئة جيش النبي ﷺ حين خروجه للقتال

٢٨٧ **معركة حنين**

٢٨٨ هزيمة المسلمين وثمامة قريش عليهم

٢٩٠ ثبات رسول الله ﷺ مع اربعة من اصحابه

٢٩١ اشتداد المعركة وقول النبي ﷺ «الآن حمي الوطيس»

٢٩٢ هجوم النبي ﷺ بمائة رجل من اصحابه على جموع هوازن وثقيف

صحيفة

٢٩٥ هزيمة هوازن واستغنام اموالهم، وسبي نسائهم، وذراريهم، بالمائة الرجل الذين جالدوهم مع رسول الله ﷺ

٢٩٧ موقف أم سليم الانصارية يوم حنين

٢٩٩ زيارة النبي ﷺ خالد بن الوليد لجرح اصابه يوم حنين

٣٠٠ ادعام المؤلف الادلة على صحة هزيمة جموع هوازن وثقيف وهم نيف وعشرون الفا بمائة رجل من المسلمين

٣٠٧ غنائم هوازن

٣١٠ معركة اوطاس

٣١٣ هدم الصنم ذي الكفين

٣١٤ اسماء من استشهد بحنين وأوطاس

٣١٦ **تاريخ الطائف**

٣١٦ موقع الطائف وطرقه من مكة

٣١٧ وصف الطائف قبل الاسلام

٣١٨ سبب تسميته بالطائف

٣٢٠ نزول ثقيف الطائف

٣٢٢ غرس العنب بالطائف

| صحيفة | |
|---|---|
| ٣٢٣ | اول من عمر جبل كرا |
| ٣٢٤ | الطائف مصيف اهل مكة قبل الاسلام |
| ٣٢٥ | حالة الطائف فى العصر الحاضر، وواديته وحدائقه وقراه، ومنتزهاته |
| ٣٢٦ | السد السملقى |
| ٣٢٨ | جبال الطائف الاثرية |
| ٣٢٩ | مسجد ابن عباس والمسجد النبوى بالطائف |
| ٣٣١ | **غزوة الطائف** |
| ٣٣١ | طريقه ﷺ من حنين الى الطائف |
| ٣٣٣ | نزوله ﷺ وادى لية |
| ٣٣٣ | حصاره ﷺ الطائف ورميه بالمنجنيق |
| ٣٣٤ | آلات الحرب الدبابات والضبور |
| ٣٣٤ | مفاوضة ابى سفيان، والمغيرة، اهل الطائف |
| ٣٣٥ | مفاوضة خالد بن الوليد اهل الطائف |
| ٣٣٦ | حديث عيينة بنت حصن مع اهل الطائف |
| ٣٣٩ | رجوعه ﷺ من الطائف الى الجعرانة |
| ٣٤٠ | اسماء من استشهد بالطائف |
| ٣٤١ | تقسيم غنائم حنين |
| ٣٤٢ | ارجاع النبي ﷺ لهوازن نساءهم واولادهم |
| ٣٤٤ | عفو رسول الله ﷺ عن قائد هوازن مالك بن عوف ورد ماله واهله اليه، ونظرية المؤلف فى ذلك |
| ٣٤٥ | اعطاء رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم من غنائم هوازن |
| ٣٤٨ | حديث ذى الخويصرة مع رسول الله ﷺ |
| ٣٤٩ | انتقاد الانصار عطاء رسول الله ﷺ المؤلفة دونهم |
| ٣٥٠ | نظرية المؤلف فى تقسيم الغنائم |
| ٣٥٤ | عمرة النبي ﷺ من الجعرانة |
| ٣٥٥ | عودة النبي ﷺ الى المدينة |


تمت

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

297.09
B31hA
v.3
c.1

# حياة سيد العرب

## وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية

تأليف

حسين عبد الله باسلامة

عضو مجلس الشورى (بمكة)

الجزء الثالث ٣

قيمته ريالان عربيان

57210

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

المطبعة الشرقية بمكة

١٣٥٣ / ١ / ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

# سرية محمد بن مسلمة الانصارى

## الى القرطاء

القرطاء بطن من بنى بكر بن كلاب وكانت منازلهم بناحية ضرية بالمبكرات وذلك أن ثمامة بن أثال الحنفى اليمامي كان عرض لرسول الله ﷺ يريد قتله فبعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة الأنصارى رضى الله عنه فى ثلاثين راكباً الى القرطاء وهي تبعد عن المدينة سبعة أيام شرقاً فخرج محمد بن مسلمة فى اليوم العاشر من شهر المحرم سنة ست من الهجرة وأمره رسول الله ﷺ أن يسير الليل ويكمن النهار فلما أغار عليهم هربوا جميعهم بعد أن قتل منهم عشرة أنفار ، وأسر ثمامة بن أثال ، وغنم مائة وخمسين بعيراً وثلاثة آلاف شاة ، وقدموا المدينة فى نهاية المحرم سنة ست . فامر رسول الله ﷺ بربط ثمامة فى سارية من سواري المسجد لينظر الى صلاة المسلمين واجتماعهم عليها فيرق قلبه فخرج اليه رسول الله ﷺ فقال « ماذا عندك يا ثمامة ؟ » قال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت .

فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد ثم قال له « ماعندك يا ثمامة ؟ » فاعاد مقالته الأولى فتركه حتى كان الغد فقال : « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال : عندى ماقلت لك فقال النبي ﷺ « أطلقوه » فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله: ثم قال والله يا محمد ماكان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجوه اليّ، والله ما كان من دين أبغض اليّ من دينك فأصبح دينك أحب الأديان كلها إليّ ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فما ترى فبشره النبي ﷺ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة ملبيا بعمرته مظهرا دين الله تعالى قال له قائل صبأت ؟ قال : لا ولكن أسلمت مع رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ : ثم خرج الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا الى مكة شيئا حتى أكلت قريش العلهز[1] فجاء أبو سفيان الى المدينة فقال للنبي ﷺ ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قال « بلى » قال فقد قتلت الاباء بالسيف والأبناء بالجوع أنشدك الله والرحم ؟ فقد كانا العلهز ، فكتب رسول الله ﷺ الى ثمامة بن أثال أن يخلى بينهم وبين الحمل[2].

فحاصل هذه السرية هو أن ثمامة بن أثال بن النعمان من بني حنيفة الحنفى

(١) هي الوبر والدم (٢) أى الميرة والطعام

أبو أمامة اليمامي كان عرض لرسول الله ﷺ ليقتله فدعا رسول الله ﷺ ربه أن يمكنه منه فمكنه الله سبحانه وتعالى منه فتمكن منه وربطه في السارية ليشاهد صلاة المصلين ويقف على عبادة الموحدين ثم أطلقه رسول الله ﷺ قبل أن يؤمن بالله وبرسوله ولم يقتله مقابل ما كان يحاول من قتل رسول الله ﷺ بل عامله بالشفقة والرحمة ونتج من ذلك ان تلك الشفقه والرحمة صادفت محلها فاسلم الرجل بعد أن أطلق سراحه وكان حراً فيما يريد فعاد إلى أهله وبقي على شركه لما عارضه أحد ولكن الرجل العاقل اذا رأى الحق قبله وخضع له فلما أسلم الرجل صار من أنصار رسول الله ﷺ وكان في البقاء عليه خير من قتله فالمصلحون وعلى رأسهم رسول الله ﷺ لا يستعملون القتل الا اذا أعيتهم الحيلة ولم تثمر النصيحة ، لأنه لا غرض لهم مع الناس غير الاصلاح والعدل وسلوك سبيل الهدى والرشاد .

وهذا ابو سفيان بن حرب الذي كان بالأمس رئيس الاحزاب وقد أتى بعشرة آلاف مقاتل لاستئصال رسول الله ﷺ ولم تمكن من ذلك لما تأخر لحظة عن قتل رسول الله ﷺ ، يأتي اليوم الى رسول الله ﷺ يسأله الشفقة والرحمة ويذكره الله والرحم ، فهل ذكّر ذلك نفسه قبل أن يذكر رسول الله ﷺ بها ؟ يأتي رسول الله ﷺ قبل أن تغمد سيوف الأحزاب من وقعة الخندق اما خشي على نفسه من القتل؟ يقدم المدينة على غير عهد ولا عقد مع رسول الله ﷺ ويخاطبه بالألفاظ الخشنة المجردة من

المجاملة والملاطفة كأنما له عليه منّة يطالبه المكافأة عليها ، هل نسي ما وقع منه في حق رسول الله ﷺ من الأذى والتكذيب والمقاطعة التي قاطع هو وقريش رسول الله ﷺ وآله بني هاشم و بني المطلب قبل الهجرة وكان هو من دعاتها ثلاث سنين حتى أن الرجل من بني هاشم و بني المطلب يذهب الى السوق ليأتي بشيء من الزاد لأهله وعياله فيجد من يشفق عليه منهم ولا يبيعه أحد منهم لقمة واحدة فيرجع الى أهله صفر اليدين ، ثم بعدقناه ورؤساء قريش يترأس أبو سفيان الجيوش بنفسه فوقع منه في أحد من التمثيل بحمزة عم رسول الله ﷺ والمسلمين ثم ترأس الاحزاب اخيراً كما تقدم تفصيله في الجزء الثاني من هذا الكتاب ثم يأتي رسول الله ﷺ بنفسه ويسأله الله والرحم بقريش وأن يسمح لثمامة بن أثال أن يأتيهم بالميرة من اليمامة لأن قريشاً أصابها الجوع حتى اكلت العلهز ، نسي كل ذلك ابو سفيان أم تناسى ؟ وهنا نتسائل ونعكس القضية فلو كان ماطلبه أبو سفيان من رسول الله ﷺ طلبه رسول الله ﷺ من ابي سفيان فهل كان يجيبه إلى طلبه في الحالة التي طلب فيها ابو سفيان من رسول الله ﷺ فماذا يكون الجواب ؟ حاشا الله ، ولكن ابو سفيان يعلم علم اليقين أن رسول الله ﷺ لا يغدر ولا يحقد وانه شفوق رحيم بعموم الناس وهو الهادي الى صراط الله المستقيم ، ولكن العظمة والكبرياء هما اللذان جعلا ابا سفيان لا يخضع ولذلك تأخر إسلامه الى الفتح تلك سنة الله في خلقه فمنهم السريع ومنهم البطيء .

# غزوة بني لحيانه

بنو لحيان هم الذين قتلوا عاصم بن ثابت الأنصاري ورفاقه في وقعة الرجيع فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذ بثارهم فخرج رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه ومعهم عشرون فرساً واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وأظهر أنه يريد الشام وذلك في منتصف ربيع الثاني وأول جمادى الأولى سنة ست من الهجرة فسلك على (غراب [1]) ثم على (خبيص) ثم على (الهدة) ثم صفق ذات اليسار فخرج على (يدين) ثم على (صخيرات اليمامة) ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأخذ السير سريعاً حتى نزل على (غران [2]) وهي منازل بني لحيان الى بلد يقال له (صابه) منازل بني لحيان أيضا حيث كان مصاب أهل الرجيع الذين قتلوا فترحم عليهم وبلغهم فسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤس الجبال فلم يقدر منهم على أحد وأخطأ من غزتهم فأقام بحوبين وهو يبعث السرايا في كل ناحية ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر الصديق في عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعرهم فلما (كراع الغميم) ثم رجعوا ولم يلقوا أحداً ورجع رسول الله ﷺ الى المدينة ولم يلق كيداً. فقال رسول الله ﷺ حين وجه راجعاً

(١) جبل بناحية المدينة على طريق الشام

(٢) غران واد بين أمج وعسفان

﴿ آيِبُونَ تَائِبُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ ﴾ وكان مدة غيابه عن المدينة أربع عشرة ليلة .

## سرية عكاشة بن محصن الى غمر

بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن الأسدي رضى الله عنه الى ( غمر مرذوف [1] ) وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة فى أربعين رجلا فندر به القوم فهربوا فنزل عكاشة وقومه فى عليا بلادهم فاستاقوا مائتى بعير وقدموا على رسول الله ﷺ ولم يلقوا كيداً

## سرية محمد بن مسلمة الانصارى

### ( الى ذى قصة [2] )

وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ ان بنى ثعلبة وأعار أجمعوا على أن يغيروا على سرح المدينة فبعث محمد بن مسلمة الأنصارى رضى الله عنه في ربيع الاول سنة ست من الهجرة الى ذى القصة من طريق الربذة فى عشرة رجال فورد عليهم ليلا بمن معه فشعر المشركون بمجيئهم وكانوا مائة رجل فكمنوا لهم حتى ناموا فاشعر محمد بن مسلمة وأصحابه الا بالنبل قد خالطهم فوثب وصاح

(١) هو ماء لبنى أسد على بعد ليلتين من قيد

(٢) موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرين ميلا

في أصحابه السلاح فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم تحاز أصحابه اليه وقد قتل من المشركين رجلاً فحمل المشركون عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحاً وظن المشركون انه قتل مع قومه فجردوهم من ثيابهم وانطلقوا فمر رجل من المسلمين فوجد المسلمين صرعى ووجد بينهم محمد بن مسلمة فبه رمق فحمله حتى ورد به المدينة فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه في أربعين رجلا الى مصارع أصحابه فاغاروا على القوم فهزموهم وهربوا الى الجبل وأصابوا رجلا واحداً منهم فأسلم وتركوه وأخذوا النعم والشاء فساقوها وشيئاً من متاعهم وقدموا به المدينة . فأخرج رسول الله ﷺ الخمس وقسم الباقي . هذا ماحصل في هذه السرية

فما أظن أن أمة من الأمم أو دينا من الأديان فيه من التسامح مثل ما في الأسلام، ان قوما يقتلون أصحاب رسول الله ﷺ ثم يبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة ليأخذ بثار من قتل من أصحابه فيصيبون رجلا منهم فيسلم فيطلقونه لمجرد اسلامه فقط! هذا مما لا يوجد مثله في غير الامة الاسلامية ومن ذلك يعلم ان دين الاسلام يتسامح في كل شيء الا في الدين ولا يقاتل احداً الا لأجل الدين ويترك المشرك المقاتل لأجل مجرد إسلامه ومتى أسلم صفح عن كل ما وقع منه قبل ذلك . وسيأتي أمثال ذلك كثيرا من هذا القبيل من تسامح الاسلام كما سبق من وحشي قاتل حمزة عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله ذلك الحبشي الذي أفقد الأسلام أعظم بطل من أبطاله وأبكى القلوب دما على

مصابه ، وقد هدر النبي ﷺ دمه فلما أسلم أصبح كأن لم يحصل منه شيء ويمشي حراً بين عموم المسلمين وسمح عنه رسول الله ﷺ بمجرد اسلامه فهل ذلك يوجد في دين من الأديان غير دين الاسلام ؟ أو أمة من الأمم تعامل أعظم سفاك سفك دم أعظم رجل بالتسامح غير الامة الأسلامية ؟ الجواب على ذلك انه لا يوجد ، وعلى من يدعي غير ذلك الاتيان عن طريق الكتب الصحيحة المسلَّم بصحتها عند أهل العلم . فهذا التسامح هو الذي جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً عن طيب خاطر

## سرية زيد بن حارثة

### الى بني سليم بالجموم (١)

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه الى بني سليم بالجموم في شهر ربيع الآخر سنة ست من الهجرة فأصابوا امرأة من مزينة اسمها حليمة فدلتهم على محلة من محال بني سليم فأصابوا نعما ، وشاء ، وأسرى ، فكان فيهم زوج حليمة المزنية فلما قفل زيد بما اصاب وهب رسول الله ﷺ حليمة نفسها وزوجها

(١) الجموم نخل بالمدينة على بعد أربعة أميال

# سرية زيد بن حارثة
## الى العيص (١)

بلغ رسول الله ﷺ أن عيراً لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيد ابن حارثة رضي الله عنه في سبعين راكباً الى العيص على شمال غربي المدينة ليعترضها وذلك في ربيع الآخر سنة ست من الهجرة فأدركها وأخذها وما فيها وكان فيها فضة كثيرة لصفوان بن أمية واسر منهم ناساً فيهم أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وهو من رجال قريش الأبطال ومن أشرافهم ، صاحب تجارة وأمانة ومال ، وهو زوج زينب بنت رسول الله ﷺ وكانت زينب رضي الله عنها قد هاجرت الى المدينة وتركت زوجها على دينه هو لهم المدينة زيد بن حارثة بالغنائم استجار أبو العاص بزوجته زينب رضي الله عنها فدخلت المسجد حين صلى رسول الله ﷺ فنادت في الناس « أيها الناس اني قد أجرت أبا العاص » فلما سمع رسول الله ﷺ أقبل على الناس فقال « أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟ » قالوا نعم ، قال « والذي نفسي بيده ما علمت شيئاً من هذا حتى سمعت ما سمعتم ، المؤمنون يد واحدة يجير عليهم ادناهم وقد أجرنا من أجارت » ثم دخل رسول الله ﷺ منزله فدخلت عليه زينب فسألته ان يرد عليه ما أخذ منه فقال النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم « ان هذا الرجل منا حيث

(١) العيص موضع في بلاد جهينة بين رضوى والمدينة

علمتم وقد أصبتم له مالا فأحسنوا وتردوا عليه الذي له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو الفيء الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به » فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه فردوا عليه ماله بأسره . فذهب الى مكة فأدى كل ذي مال ماله ثم قال هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا لا . قال هل أوفيت ذمتي ؟ قالوا اللهم نعم فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفياً كريماً . قال فاني أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني من الاسلام عنده الا تخوفا أن تظنوا اني انما أردت ان آكل أموالكم فلما ردها الله عليكم وفرغت منها أسلمت : ثم خرج من مكة وقدم المدينة ورد عليه رسول الله ﷺ زينب بنكاح جديد . فهذا تكالف المسلمين ، فهل من مجدد له ؟

## سرية زيد بن حارثة
### الى الطَّرَف (١)

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه في جمادى الآخرة سنة ست من الهجرة ( الى الطرف ) وهو ماء عين لبني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فأصابوا نعما وشاء وهربت الأعراب لأنهم خافوا أن يكون رسول الله ﷺ سار اليهم بنفسه وان هؤلاء المقدمة وأصبح زيد في المدينة بالنعم وهي عشرون بعيراً ولم يلق كيداً وغاب أربع ليال .

(١) اسم ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة بطريق العراق شرقا بشمال

# سرية زيد بن حارثة

## الى ذات القرى

ويسمى أيضا هذا الموضع (حِسمي) وهو وراء ذات القري فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضى الله عنه الى وادي القرى وهو موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام وذلك فى جمادى الاخرة سنة ست من الهجرة . وسببها انه أقبل دحية الكلبي من عند قيصر ملك الروم وقد أجازه وكساه فلقيه الهنيد فى ناس من جذام بحسمي فقطعوا عليه الطريق فسمع بذلك نفر من بني الضبيب فنفروا لاقذ دحية اليهم فاستنقذوا لدحية متاعه وقدم على رسول الله ﷺ دحية فأخبره بذلك فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ومعه خمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار فأقبل بهم حتى هجموا على القوم مع الصبح وأغاروا عليهم فقتلوا فيهم واثخنوهم جراحا وقتلوا الهنيد وابنه وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم فأخذوا من النعم ألف شاة ومن النساء والصبيان مائة فرحل زيد بن رفاعة الجزامي فى نفر من قومه الى رسول الله ﷺ فدفع اليه كتابه الذي كان كتبه له ولقومه ليالى قدم عليه فأسلم و بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب الى زيد بن حارثة يأمره ان يخلى بينهم و بين حرمهم وأموالهم فرد زيد عليهم كلما أخذه منهم . فهكذا يكون الوفاء بالعهد ، لأجل كتاب كتبه رسول الله ﷺ لزيد بن رفاعة حين قدم

عليه رد عليه وعلى قومه أموالهم ونساءهم وذلك بمجرد اطلاع رسول الله ﷺ على ذلك الكتاب امر باعادة كل ما أخذه زيد وأصحابه اليه ، وذهبت أتعاب زيد بن حارثة وخمسمائة صحابي معه هباءً لاجل الوفاء بالعهد مع أنهم هم الذين بدأوا بالعداء على دحية الكلبي ، ولكن الوفاء بالعهد فوق كل شئ في نظر الأسلام والمسلمين فهذا شأن الأسلام وأهله وبذلك تقدم الأسلام وبتركه تأخر ، فالوفاء بالعهد أساس الأجتماع وهو شعار الأسلام وبه نزل الكتاب العزيز ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾

## سرية زيد بن حارثة

### الى وادى القرى

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضى الله عنه الى وادى القرى شمال المدينة على طريق الحاج الى الشام وذلك في رجب سنة ست من الهجرة فالتقى به بنى فزارة وقاتلهم فقتل منهم وقتل من المسلمين قتلى منهم ورد بن مرداس رضى الله عنه وجرح زيد بن حارثة جرحا بليغا وحمل على سير الى المدينة وبه رمق

## سرية عبد الرحمن بن عوف

### الى دومة الجندل

دومة الجندل هو حصن وقرى من طرف الشام على بعد خمسة عشر

ليلة من المدينة و بينها و بين الشام خمس ليال وهو اليوم (بالجوف) وذلك في شعبان سنة ست من الهجرة . أحضر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فأقعده بين يديه وعممه بيده الشريفة و قال له « اغز باسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم » ثم أمر بلالاً أن يدفع اليه اللواء و بعثه الى كلب بدومة الجندل وقال له ايضا « ان اجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم » فسار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بجيشه حتى قدم ( دومة الجندل ) فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه الى الاسلام بل أجابوه ان لا يعطوه الا السيف . ثم في اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان ملكهم ورئيسهم وأسلم معه أناس كثير من قومه وأقام من بقي على اعطاء الجزية فكتب عبد الرحمن بن عوف مع رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله ﷺ يخبره فكتب اليه رسول الله ﷺ ان يتزوج ابنة الأصبغ فتزوجها وهي تماضر بنت الأصبغ وقدم بها المدينة فولدت له أبا سلمة

وهذه صورة من صور الاسلام فألفت نظر القارىء الى وصاية رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في عدم الغلو والتمثيل والغدر وكذلك الزواج بابنة رئيسهم فان في المصاهرة من الألفة

والرابطة والعلاقة ما يغني عن الشرح

# سرية علي بن ابي طالب

## الى بني سعد

بلغ رسول الله ﷺ ان بني سعد بن بكر يريدون أن يمدوا يهود خيبر لقتاله بجمع منهم فبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مائة رجل فصار يسير الليل ويكمن النهار حتى انتهى الى (الغمج) اسم ماء بين فدك وخيبر فوجد رجلا فسأله عن حاله فقال : انه يطلب ضالة ، فقال : هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد ؟ قال لا علم لي به . فشدد عليه فأقر أنه عين لهم منوه الى خيبر يعوض على يهودها صبرهم على أن يجعلوا لهم من تمرها كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فقال له علي : أين القوم ؟ قال تركتهم قد تجمع منهم ماشاء رجل قال فسرنا حتى نزلنا : قال علي أن تؤمنوني ؟ قال : ان دللتنا عليهم أو على سرحهم أمنك والا فلا أمان لك : قال فذاك . فخرج بهم دليلا حتى ساء ظنهم به ثم أفضى بهم الى أرض مستوية فاذا نعم كثيرة وشاء فقال هذه نعمهم وشاؤهم ، فاغاروا عليها ، فقال أرسلوني[1] قالوا : حتى نأمن الطلب وهرب الرعاء الى جمعهم فحذروهم فتفرقوا ، فقال الدليل علام تحبسوني وقد تفرقت الأعراب ، قال علي رضي الله عنه : بلغ معسكرهم : فانتهى بهم اليه فلم يرأحداً فارسلوه ، وساقوا النعم والشاء

(١) اطلقوني

معهم وكانت خمسمائة بعير ، والفي شاة فهربت بنو سعد بالظعن وقدم على رضى الله عنه ومن معه المدينة ولم يلق حربا

## سرية زيد بن حارثة

### الى وادى القرى

وسبب ذلك ان زيد بن حارثة رضى الله عنه خرج الى الشام فى تجارة وكانت معه بضائع لبعض الصحابة رضى الله عنهم فلما وصل وادي القرى وهو على سبع ليال من المدينة لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا كل ما كان معهم فقدم زيد على رسول الله ﷺ وأخبره بما جرى فبعثه رسول الله ﷺ فى شهر رمضان سنة ست من الهجرة فى جيش وأمرهم ان يسيروا الليل ويكمنوا النهار وأخذوا معهم دليلا من فزارة فعلمت بهم بنو فزارة فجعلوا لهم عينا على جبل عال على الطريق يرقب قدومهم فلما كانت الصحابة على نحو ليلة من القوم أخطأ الدليل الطريق فأتوا القوم من طريق آخر ولم يشعر بهم النذير فصبحهم زيد واصحابه وكبروا وأحاطوا بمن وجدوا من بنى فزارة فقتلوهم وعمد قيس بن المحسر الى ملكتهم أم قرفة فقتلها وأسر سلمة بن الاكوع ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر ، وقدم زيد بن حارثة المدينة فقرع باب رسول الله ﷺ فخرج اليه يجر ثوبه من اعتنقه وقبله ، وأخبره بما ظفره الله به فاستوهب رسول الله ﷺ جارية من سلمة

بن الأكوع رضى الله عنه فوهبها له ثم وهبها ﷺ لخاله حزن بن أبى وهب أسلم يوم الفتح وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد رضى الله عنهما

# سرية عبد الله بن عتيك

## لقتل ابن ابى الحقيق

كان أبو رافع عبدالله ويقال له سلام بن أبى الحقيق النضيرى من بنى النضير الذين حاربوا رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فحيل وعفى عنهم من القتل وأجلاهم الى خيبر، وكان أبو رافع من أشد اليهود إيذاء لرسول الله ﷺ فهو الذى قام مع حيي بن أخطب بتحزب الاحزاب فى وقعة الخندق وأعطى المال الكثير لغطفان لقتل النبي ﷺ . وكان الأوس والخزرج يتبارون ويتنافسون على نصرة رسول الله ﷺ والذب عنه والنيل من كل من عاداه وأضمر له كيداً، ويتسابقون الى تنفيذ أوامره ، فكانت لا تفعل أحدى القبيلتين شيئا مما فيه مكرمة عند رسول الله ﷺ الا قامت الاخرى جادة فى عمل يكون فيه مضاهات لتلك القبيلة الاخرى أو ما يفوق عنها ، فلما بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة رضى الله عنه الأوسى الأنصاري لقتل كعب بن الاشرف فتوفق لذلك وقتله كما تقدم تفصيله غبطت الخزرج الاوس على ذلك وقالوا: والله لا تذهب الاوس بهذه فضلا علينا : فلما ظهر من أبي رافع بن ابي الحقيق من سعيه فى ابادة

النبي ﷺ وأصحابه ذهبت الخزرج الى رسول الله ﷺ فاستأذنته في قتل ابن ابي الحقيق ، فأذن لهم وبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن عتيك الخزرجي الانصاري رضي الله عنه وبعث معه مسعود بن سنان ، وعبدالله ابن أنيس ، وابا قتادة الحارث بن ربعي ، وعبدالله بن عتبة ، وخزاعي ابن الاسود حليفا لهم من أسلم ، وكل هؤلاء الرهط من الخزرج رضي الله عنهم فخرجوا في شهر رمضان سنة ست من الهجرة الى أبي رافع بخيبر فأمرهم رسول الله ﷺ قتله ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة وأمر عليهم عبدالله بن عتيك. فلما دنوا من الحصن بخيبر وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم فقال عبدالله بن عتيك لأصحابه : اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل : فاقبل عبد الله بن عتيك حتى دنا من باب الحصن فوجدهم قد قدروا حمارا لهم وخرجوا بقبس يطلبونه فخشي أن يعرف فغطى رأسه ورجله كانه يقضي حاجته ، ثم نادى صاحب الباب من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه يعني باب الحصن فدخل عبدالله ابن عتيك واختبأ في مربط حمار عند باب الحصن ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق المفاتيح على وتد ، فذهب أهل الحصن عند أبي رافع وتعبثوا وسمر وا فلما ذهبوا من عنده الى اماكنهم أخذ عبدالله بن عتيك المفاتيح وأغلق ابواب أماكن القوم عليهم من الخارج كي لا ينجده ويغيثه أحد منهم ففتح باب الحصن فصار كلما فتح بابا اغلقه عليه بعد دخوله منه

ثم صعد الى أبى رافع فقال عبدالله ابن عتيك:ان نذروا بي أهل الحصن لم يصلوا الي حتى أقتله:فلما انتهى اليه وجد البيت مظلما قدطفئ سراجه فلم يدر أين أبو رافع و كان يعرف نفسهم فقال : يا أبا رافع : قال أبو رافع من هذا فهوى عبدالله نحو الصوت فضربه ضربة بالسيف وهو دهش فما أغنت شيئا ، فصاح أبو رافع فخرج عبدالله ثم جاءه كأنه يغيثه وغير صوته فقال له : مالك يا أبا رافع ؟ فقال ألا أعجبك لأمك الويل دخل على رجل فضربنى بالسيف ، فعمدا اليه عبدالله فضربه ضربة أخرى بالسيف فلم تغن شيئا . فصاح أبو رافع وقام أهله ثم جاءه الثالثة وغير صوته كهيئة المغيث فوجد أبا رافع مستلقيا على ظهره فوضع ذبابة السيف فى بطنه وتحامل عليه حتى سمع صوت العظم ، فعرف أنه قتله فخرج وجعل يفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهى الى درجة فوضع رجله يظن انه قد انتهى الى الارض فوقع على الارض فانخلعت رجله ، فعصبها بعمامته و كانت الليلة مقمرة ثم انطلق الى اصحابه وهو يحجل على رجل واحدة فقال لهم : انطلقوا فبشروا رسول الله ﷺ فانى لا أبرح حتى أسمع الناعية : فلما كان وجه الصبح صعد الناعى فقال أنعى أبا رافع . فقام عبد الله بن عتيك يمشى حتى أدرك اصحابه قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ . فانتهى الى النبي ﷺ فحدثه بما وقع فقال له « أبسط رجلك » فبسطها فمسحها له ﷺ فشافاه الله تعالى وعادت كما كانت هذه القصة لخصتها من صحيح البخارى

وشرحه للحافظ بن حجر العسقلانى لأنهـا عجيبة جـدا فاعتمدت على أصح المصادر فيها .

فهذا عبدالله بن عتيك الانصارى الخزرجي الذى اجترأ هذه الجرأة النادرة التى قل أن يوجد لها نظير فى التاريخ ولما رأيتها فى كتب السير لم أطمئن لتقابلها لشدة غرابتهـا حتى وجدتها فى صحيح البخارى الذى هو أصح كتاب عند المسلمين بعد كتاب الله تعالى . هذا عبد الله بن عتيك الذى حير الافكار بجرأته ، وأدهش الأبطال بشجاعته . اقتحم الحصن المملوء بالحرس وأهله وأخذ يقفل الأبواب على نفسه حتى لا يحول أحد بينه و بين فريسته ، وهو مع ذلك يجهل حال الحصن ومداخله ، وفوق هذا لم يستعن بأحد من أصحابه أبدا ، لكونه لم يفكر فى السلامة بل كان جل قصده قتل أبى رافع ولو فنى حياته فى سبيل ذلك . ثم يضرب أبا رافع الأولى ويخطىء المقتل . ويصرخ أبو رافع يستنجد أهل القصر فيجعل نفسه منجداً ، ثم يخطىء الثانية حتى قام أهل الحصن من صراخ أبى رافع ولم يحُل كل ذلك بينه و بين قتل أبي رافع حتى ضربه بالسيف الضربه القاضية وهو رابط الجاش ثابت القلب ولم يكتف بذلك بل انه حين نزوله من الحصن انخلعت احدى رجليه وقد انتهى من أبى رافع ثم يدرك اصحابه وهو فاقد احدى رجليه التى يستعين بهـا على الهرب فيقول لهم اذهبوا و بشروا رسول الله ﷺ بقتل أبى رافع ودعونى اسمع

الناعى حتى أطمئن ، ألم يخطر بباله ان أهل الحصن اذا أصبحوا يبحثون عن القاتل فيدركونه ورجله منخلعة فيقع فى أيديهم ولايستطيع الهرب ؟ وفوق ذلك لم يبعث أحد رفاقه الاربع يبشر رسول الله ﷺ ويبقى الباقين معه ليعينوه على الهرب ثم لم يبرح من خيبر حتى يسمع الناعى ويطمئن بقتله ، ثم بعد ذلك يخرج من خيبر ويعود الى المدينة ، فهل حدث التاريخ بمثل هذه الجرأة ؟ وهذا الثبات ، وقوة الارادة التى هى فوق طاقة البشر ؟ والله لو وقعت فى هذا العصر من أحد الذين سموا أنفسهم بالفدائيين أو مايقرب منها لغنّت له الجرائد والمجلات ، ولرقصت له ادوار التمثيل ، ولأصبح حديث المجتمعات والأندية ، ولأتعب ألسنة الناس حديثه ، فلذلك اعتبرنا عمل عبدالله بن عتيك هذا مبنياً على قوة الايمان ولهذا اعتبرنا ايضا ان جرأته فوق كل جرأة ، وشجاعته أعظم من كل شجاعة ، وهكذا تكون البطولة فأصبح ذكره مسطراً فى أصح المصادر وفضله فوق كل فضيلة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وليحيى ذكره مخلدا مدى الدهر .

—:*:—

# سرية عبد الله بن رواحة

## الى أُسَير بن رزام اليهودى

بلغ رسول الله ﷺ ان يهود خيبر بعد قتل ابن أبي الحقيق أمّرت عليها أُسَيْر بن رزام اليهودى فقال أسير والله ما سار محمد الى أحد من يهود ولا بعث احداً من أصحابه الاّ اصاب منهم ما أراد ، ولكن سأصنع ما لم يصنع أصحابي ، فقالوا وما عسيت ان تصنع ؟ قال اسير في غطفان فأجمعهم وأسير الى محمد فى عقر داره ، قالوا نعم ما رأيت ، فسار فى غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ ، فوجه رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة الخزرجي الأنصاري رضى الله عنه فى ثلاثة نفر في شهر رمضان سنة ست من الهجرة سراً ليستكشف له الخبر ، فأتى ناحية خيبر ففرق أصحابه فى ثلاثة اماكن فدخل كل واحد منهم حائطاً فوعوا ما سمعوا من اسير وغيره و بعد ثلاثة ايام عادوا الى المدينة وأخبروا رسول الله ﷺ بكل ما رأوه أو سمعوه ، وقدم على رسول الله ﷺ خارجة ابن سهيل فاستخبره ﷺ عما وراءه ؟ فقال تركت اسير بن رزام يسير إليك فى كتائب من يهود . فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة فى ثلاثين رجلا الى خيبر فى شهر شوال سنة ست من الهجرة فقدموا على اسير بن رزام فقالوا له : انك ان قدمت على رسول الله ﷺ استعملك

على خيبر ويحسن اليك : فشاور اليهود فخالفوه فى الخروج . وقالوا ما كان محمد يستعمل رجلا من بنى إسرائيل ، قال بلى قد مالنا الحرب ، فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل ردىف من المسلمين فحمل اسير عبد الله بن رواحة حتى اذا كانوا ( بقرقرة ) موضع على ستة أميال من خيبر ندم اسير على مسيره الى رسول الله ﷺ واراد الفتك بعبد الله ابن رواحة ومن معه ، ففطن له عبد الله وهو يريد السيف فاقتحم به عبد الله فضربه اسير بمخرش فى يده فشجه ثم دفع به عنه فقال عبد الله : غدر اى عدو الله ! فنزل فسأل باقوم حتى أفرد له اسير فضربه ابن رواحة بالسيف فقطع ساقه مع فخذه فسقط عن بعيره ، ومال أصحاب رسول الله ﷺ على أصحاب أسير فقتلوهم لظهور الغدر منهم غير رجل واحد أعجزهم جريا فهرب على رجليه ، ولم يصب من المسلمين أحد غير الشجة التى فى يد عبد الله بن رواحة ثم قدموا المدينة على رسول الله ﷺ فقال « قَدْ نَجَّاكُمُ اللهُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ »

هذا ما كان من قصة أسير بن رزام اليهودى مع عبد الله بن رواحة الخزرجى الانصارى وأصحابه رضى الله عنهم ، قاتل الله اليهود حيث ماحلوا وارتحلوا فانهم لايتركون الغدر لانه سلاحهم الوحيد الذى يعتمدون عليه فى كل أعمالهم وأفعالهم ، فلو لم يغدروا وذهبوا مع عبد الله بن رواحة الى رسول الله ﷺ لرأوا منه كل حفاوة واكرام ، ولم اكن مبالغا فى قولى

هذا اومحابيا فقد عفى رسول الله ﷺ عمن اراد قتله حين كان نائما تحت الشجرة فسل سيفه وقال يا محمد من يمنعك مني ؟ فقال له رسول الله ﷺ «الله يمنعني» فوقع السيف من يده وأخذه رسول الله ﷺ وقال له «من يمنعك مني؟ » فقال لا احد . فعفى عنه ، وذلك لان النبي ﷺ ما جاء لسفك الدماء ، بل جاء لحقنها وليجعل الناس امة واحدة تعبد الله تعالى وتكف عن الاذى ولكن من كان قلبه مملوء غدراً وخيانة يظن ان الناس كلهم على شاكلته ، كما ان المؤمن المتقي يظن ان الناس مثله ، ولأن اليهود لا يعرفون من أمور الاجتماع غير المكر والخدعة ، فقد جعلهم الله تعالى على الدوام مخذولين لانهم قاعدة مدى الدهر ، ولا يحيط المكر السيء الا باهله . كان أسير وقومه هم أصحاب الركائب وهم يومئذ على الاشدة ، والمسلمون مشاة غير عبد الله بن رواحة كان ردف أسير . فالقوة والمنعة كانت في هذه الوقعة في جانب اليهود فلما علموا انهم أصحاب القوة والتفوق على المسلمين غدروا بهم ، ولم يعلموا أن قوة الايمان فوق كل قوة . فلذلك كان الفوز في جانب المؤمنين على الكافرين فمكنهم الله تعالى من رقابهم ونالوا جزاء الغادرين ، وهم يعرفون ذلك من أنفسهم وقد صرح به أسير كما جاء في أول هذه السيرة فقال : والله ما سار محمد الى أحد من يهود ولا بعث أحداً من أصحابه الا أصاب منهم ما أراد . ومن الغريب أنهم يعرفون ذلك ويعتقدونه ولكنهم لا يسلمون ، ولا يسالمون ، مع علمهم

بحالة من أسلم منهم وكيف بلغ من الرفعة عند نبي الاسلام والمسلمين ، ولكن من جبل على الخبث ، والمكر ، والغدر ، فلا علاج له غير السيف

# سرية كرز بن جابر الفهري

## الى عكل ، وعرينة ،

جاء الى رسول الله ﷺ ثمانية أشخاص من ( عكل ) وهم حي من قضاعة ، و ( عرينة ) وهم حي أيضاً من بجيلة ، وأظهروا الاسلام وكانوا مصابين بمرض في بطونهم ، فقالوا يا نبي الله انا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف — واستوخموا المدينة — فاستأذنوا من رسول الله ﷺ بالخروج الى الأبل وكان من صفاته ﷺ التلطف بالغرباء ، والشفقة على الفقراء ، وعنايته بهم أكثر من غيرهم ، فأمرلهم رسول الله ﷺ بذود نحو عشرة من لأبل وراع لها وهو مولاه يسار ، وأمرهم أن يخرجوا اليها فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فانطلقوا حتى اذا كانوا بناحية الحرة شربوا حتى صحت أجسامهم وسمنوا ، ثم كفروا بعد سلامهم وحاربوا الله ورسوله ، واستاقوا الأبل فأدركهم يسار الراعي فقاتلهم فقطعوا يديه ورجليه وسملوا عينيه وغرزوا الشوك في لسانه فمات . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث كرز بن جابر الفهري القرشي الشجاع الفارس الشهير رضي الله عنه في عشرين فارساً في طلبهم وذلك في شوال

سنة ست من الهجرة ، فساروا فى طلبهم فوجدوا امرأة تحمل كتف بعير فقالت مررت بقوم قد نحروا بعيراً فاعطونى هذا وهم بتلك المنازة فساروا اليهم فوجدوهم فأسروهم ، وأتوا بهم الى رسول الله ﷺ فامر عليهم بالقصاص ، فقطعت أيديهم وسملت أعينهم — فقؤها بحديدة محماة — وألقوا فى الحرة حتى ماتوا ، فقالوا حزاءهم ، وهذه سنة الله تعالى فى خلقه فكل من يطلب الخير يجده ، وكل من يطلب الشر يناله ، وجعل عاقبة الظالمين والباغين والمعتدين والمتعدين الى الانسانية ومكارم الاخلاق الردى ، وعاقبة المتقين الخير والسعادة والرشد والفلاح فى الدنيا والآخرة . فلو أن هؤلاء اعترفوا بالجميل وشكروا رسول الله ﷺ على حسن عنايته بهم فى كونه أمرهم بعشرة من الأبل وخادم يخدمها لما نالهم مما نالهم شيء ، ولكنهم أبوا الا أن يكونوا مثال الشر والخيانة . وأمثال هؤلاء كثير ، ولا يخلوا منهم زمان ولا مكان وتراهم مخذولين غير ناجحين ومنبوذين غير مرضيين فهم فى شقاء مستمر فى الدنيا والآخرة

## سرية عمرو بن أمية الضميري

### الى أبى سفيان

كان ابو سفيان بن حرب لا يترك وسيلة من وسائل النكاية برسول الله ﷺ الا عملها ، ولا حيلة من حيل الفتك به الا ارتكبها ، حتى

ضاع فكره وذهب رشده ، ولم يظهر بغيته ، فقال يوما لقريش يا معشر قريش الا أحد يغدر محمداً فانه يمشي في السوق وحده ؟ فأتاه رجل من الاعراب في منزله فقال قد وجدت أجمع الرجال قلباً ، وأشدهم بطشا ، وأسرعهم جريا ، فان أنت قويتني خرجت اليه حتى أغتاله ومعي خنجر مثل خافيه النسر واني هاد بالطريق . فقال له أبو سفيان بن حرب : أنت صاحبنا : فأعطاه بعيرا ونفقة وقال له أطو أمرك . فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وأصبح ظهر الخرة في اليوم السادس ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى دل عليه فعقل راحلته ، ثم أقبل على رسول الله ﷺ وهو في مسجد بني عبد الأشهل فأقبل الرجل ومعه الخنجر ليغتاله فلما رآه رسول الله ﷺ قال « ان هذا يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد » فذهب لينحني على رسول الله ﷺ فجذبه أسيد بن حضير رضي الله عنه بداخلة ازاره فاذا بالخنجر سقط في بد أسيد ابن حضير فقال الأعراب دمي ، دمي فأخذ أسيد بن حضير بلبته وخنقه أشد خنقا فقال له رسول الله ﷺ « أصدقني ما أنت » قال وأنا آمن؟ قال « نعم » فأخبره فخلى عنه فأسلم ، وقال يا محمد والله ما كنت أخاف الرجال فما هو الا ان رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم أنك أطلعت على ما هممت به مما لا يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان فجعل ﷺ يتبسم هذا ما كان

من غدر أبي سفيان . وفشل الاعرابي واسلامه ، فاذا أردنا أن نتكلم حول هذه الحادثة بانصاف وقسناها على غيرها من الحوادث أمثالها فهل يوجد احد في الدنيا من الملوك ، أو السلاطين ، أو الامراء ، أو الوزراء ، يرى رجلا يقدم على قتله ويتركه بدون ان يذيقه أنواع العذاب ، واصناف البلاء ، وتُكال الموت ؟ كلا والله ، ثم كلا والله ، ان النفس البشرية لا تسمح عمن اراد بها شراً مهما كانت صفته ، ومهما بالغ في الصفح والتسامح . ولم تكن هذه الحادثة الأولى في بابها بل قد سبقها حوادث مثلها . وقد عفا رسول الله ﷺ عن فاعلها غير ان رسول الله ﷺ استعظم ذلك من أبي سفيان بن حرب بعد ان وصل الى المدينة مستجيراً برسول الله ﷺ ان يسمح لثمامة ابن أثال ان عدهم بالميرة من اليمامة كما تقدم تفصيله ولم يقابل الحسنة بمثلها ولا الجميل بالشكر ، بل انه عدّ ذلك الاعرابي على قتل رسول الله ﷺ لا لشيء سوى الحسد المحض الذي مكنه الشرك بالله تعالى في نفسه . فاراد رسول الله ﷺ ان يقابله بالمثل

فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري وكان شجاعا ذا جرأة ونجدة ، ومعه سلمة بن أسلم الأنصاري رضي الله عنهما الى أبي سفيان ابن حرب وقال « ان أصبتما منه غرة فاقتلوه » فقدما مكة وجلسا بشعب ثم دخلا مكة ليلا فقال سلمة الانصاري لعمرو بن أمية الضمري لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ؟ فقال عمرو : ان القوم اذا نعشوا

جلسوا بأفنيتهم وانهم ان رأوني عرفوني فاني أعرف بمكة من الفرس الأبلق ، فقال سلمة : كلا ان شاء الله ، وأبى ان يطيع عمرا في رأيه فطافا بالبيت وصليا فخرجا يريدان أبا سفيان فرآى معاوية بن أبي سفيان عمرو بن أمية الضميري فعرفه فقال ما قدم مكة عمرو الا لشر فقال عمرو لصاحبه النجاة فقد عرفنا القوم فخرجا يشتدان حتى صمدا في جبل وخرجت قريش في طلبهما فلما علا عمرو وصاحبه الجبل يأست قريش منهما فدخلا كهفا في جبل فأخذا حجارة ورضماها دونهما وباتا فيه فلما أصبحا غدا عبدالله بن مالك التيمي يقود فرسا له فقتلهما في الغار فقال عمرو ان رآنا صاح بنا فأخذنا وقتلنا وكان معه خنجر قد أعده لأبي سفيان فخرج اليه عمرو فضربه على ثديه ضربة فصاح صيحة أسمع أهل مكة ورجع عمرو فدخل مكانه وجاءت قريش يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا من ضربك فقال عمرو بن أمية وغلبه الموت فمات مكانه ولم يدل على مكانهما فاحتملاه فقال عمرو لصاحبه لما أمسيا النجاء ، فخرجا من مكة قاصدين المدينة فمرا بحرس وهم يحرسون جثة خبيب ابن عدي الأنصاري رضى الله عنه بعد ما قتله المشركون صبرا وهو أحد العشرة القراء الذين كانوا مع عاصم بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه خشية أن يأخذها المسلمون فيدفنوها فلما حاذى عمرو الخشبة التي عليها خبيب شد عليها فاحتملها وخرج يشتد فخرجوا وراءه فأتا جرفا

فرمى الجثة فيه فهال عليها التراب فتوارت الجثة وغيبها الله تعالى عنهم فلم يقدروا عليه . فقال عمرو لصاحبه النجاة وعضيا ثم أتيا الى جبل ودخلا فى كهف فبينما هما فيه اذ دخل عليهما شيخ من بنى الديل أعور فى غُنيمة له فقال من الرجل؟ فقلت من بنى بكر قال ، فمن أنت؟ قال من بنى بكر ، فقلت مرحبا فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال:

واست بمسلم ما دمت حيا ولست أدين دين المسلمينا

ثم أمهله عمرو حتى نام فأخذ قوسه فجعل طرفه فى عينه الصحيحة ثم تحامل عليه حتى بلغ العظم ثم خرج ومعه صاحبه حتى جاء الصرح ثم سلك حتى هبط التنعيم فالقى بجاسوسين من قريش كانت بمكة عينا الى المدينة فقال عمرو لهما استأسرا ؟ فأبيا فرمى أحدهما بسهم فقتله وأسر الآخر فقدما به المدينة وأخبرا رسول الله ﷺ الخبر فضحك . هذا ما كان أمر عمرو بن أمية الضمرى وسلامة أبى سفيان بن حرب ، على يد سلمة بن أسلم الأنصارى وذلك لانه خالف سلمة رأى عمرو بن أمية وصمم على الطواف فلما طاف رآها معاوية بن أبي سفيان فاحترز منه لما يعلم من بأس عمرو بن أمية ذلك الجرئ المدهش والشجاع الجبير بأسه الافكار وكان القتل نصيب عبدالله بن مالك النيمى والشيخ الاعور الديلى ودفن جثة خبيب بن عدى الأنصارى رضى الله عنه فسلم أبو سفيان من القتل وذلك لأمر أراده الله تعالى فلا راد لقضائه . ولاجل

ان تختم له السعادة بالاسلام ويكون فى عداد الصحابة بعد ان ناضل رسول الله ﷺ وحاربه وآذاه ومكر به وغدر. فأبقاه الله تعالى حتى يرى عز الاسلام وفتح مكة وذل المشركين ومعاملة رسول الله ﷺ أهل مكة عكس ما كانوا يعاملونه وأصحابه حيث عاملهم بالرفق واللطف والاحسان وائتلاف قلوبهم بالعطايا الجزيلة وفى مقدمتهم أبو سفيان نفسه وابنه معاوية وزوجته هند بنت عتبة آكلة كبد حمزة عم رسول الله ﷺ كما سيأتى تفصيل ذلك فى فتح مكة

# عمرة الحديبية

## وبيعة الرضوان

### وصلح قريش

لما عزم رسول الله ﷺ ان يعتمر ندب أصحابه المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم للعمرة، واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت، وقدم عليه فى ذلك الخبر بشر بن سفيان بن عمرو الخزاعى فى أواخر شوال مسلما فقال له رسول الله ﷺ « يا بشر لا تبرح حتى تخرج معنا فانا ان شاء الله معتمرون » فاقام واتاع رسول الله ﷺ

بدناً فكان يبعث بها الى ( ذالجدر ) حتى حضر خروجه فأمر بها فجلبت الى المدينة وسلمها الى نجية بن جندب الأسلمي فقدمها الى ذى ( الحليفة ) ثم لما آن وقت السفر دخل بيته فاغتسل ولبس ثوبين من نسيج صحار . وخرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة قاصدا مكة يريد العمرة ، ولا يريد قتالا وخرج من أصحابه المهاجرين والانصار ألف وخمسمائة وأخرج معه زوجته أم سلمة رضي الله عنها ، وساق ستين بدنة . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فلما أتى ( ذا الحليفة ) صلى الظهر ثم دعى بالبدن فجللت ثم اشعر منها عدة وهى موجهات الى القبلة فى الشق الايمن بيده الشريفة ، ثم أمر ناجية ابن جندب فاشعر مابقى ، وقلدهن نعلا وأشعر المسلمون بدنهم وقلدوها وكان معهم . أتا فرس وبعث رسول الله ﷺ بسر بن سفيان الخزاعى عينا له الى قريش ليأتيه بخبرهم . وقدم عباد بن بشر طليعة فى عشرين فارسا ، ثم صلى ركعتين وركب ناقته القصواء من باب المسجد بذى الحليفة فلما انبعثت به راحلته مستقبلة أحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه وليعلموا أنه ما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له ، وأحرم غالب أصحابه وأم المؤمنين أم سلمة باحرامه ومنهم من لم يحرم الا بالجحفة ، وسلك طريق البيداء ومر فيما بين مكة والمدينة بالاعراب من بني بكر ، ومزينة ، وجهينة ، فاستنفرهم فتثاقلوا باموالهم وقالوا فيما بينهم يريد محمد يغزو بنا الى قوم معدين فى الكراع والسلاح

وانما محمد وأصحابه أكلة جزور ان يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبدا قوم لا سلاح معهم ولا عدة . وذلك لما رأوا رسول الله ﷺ محرما ولم يكن معه واصحابه من السلاح شيء الا السيوف في القرب ظنوا أنهم قادمون لحرب قريش بغير سلاح ، وكذلك كل من لحقه من العرب لا يشكون في الفتح ، ثم قدم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب بالهدى مع فتيان من أسلم ومعهم هدى المسلمين ، ولقي رسول الله ﷺ طائفة من بني نهد فدعاهم الى الاسلام فأبوا وأهدوا له لبنا من نعمهم فقال « لا أقبل هدية مشرك » فابتاعه المسلمون منهم وابتاعوا منهم ثلاثة (اضب) فأكل قوم أكلة وسأل المحرمون رسول الله ﷺ عنها فقال « كلوا فكل صيد البر لكم حلال في الاحرام تأكلونه الا ما صدتم أو صيد لكم » ثم سار رسول الله ﷺ حتى اذا كان بغدير ( الاشطاط ) قريبا من عسفان أتاه بسر بن سفيان الخزاعي وقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش[1] وغيرهم وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت وما نعوك من دخول مكة فانهم قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ والمطافيل[2] ولبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قدموها الى كراع الغميم في مائتي فارس فقال

(١) وهم جماعة من قبائل شتى من العرب حلفاء قريش

(٢) العوذ الناقة ذات اللبن ، والمطافيل الامهات التي معها أولادها

رسول الله ﷺ « يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فان هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » ثم قال « أشيروا أيها الناس علي أترون أن أميل الى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يصدوننا عن البيت فان يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين والا تركناهم محروبين » فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله خرجت قاصداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه : فقال رسول الله ﷺ « امضوا على اسم الله » فساروا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال رسول الله ﷺ « ان خالد بن الوليد بالغميم — موضع قريب من مكة — في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين » فاشعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا قريش وسار رسول الله ﷺ حتى اذا كان بالثنية التي يهبط منها عليهم برکت راحلته فقال الناس حل ، حل — اي تمادت على عدم القيام — فقالوا خلأت القصواء ، خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل — أي حبسها الله تعالى عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها . ومناسبة ذلك أنه لو دخل رسول الله ﷺ مكة وأصحابه على تلك الصورة وصدهم قريش عن دخولها لوقع بينهم القتال الغض الذي

لايبقى ولايذر ولسفكت الدماء أنهارا ونهبت الاموال ، كما توقد لدخول الفيل واصحابه مكة ، لكن السابق فى علم الله تعالى أن سيدخل فى الاسلام معظم قريش وسيخرج من أصلابهم الطيب الطاهر من النسل الذين يجاهدوا فى الله حق جهاده ويفتحوا الممالك والأمصار وينشروا دين الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها وينظموا المشاريع العمرانية ، وكذلك كان بمكة جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، لو دخلها حربا لما أمن عليهم من أن يصاب منهم أناس بغير عمد ثم قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم أياها » ثم زجرها فوثبت وكره ان يلقاهم . وكان بهم رحيما ، لأن غرضه الوحيد اصلاحهم ولم يقصد هلاكهم ، بخلاف غرض المشركين الذى هو ضد رسول الله ﷺ واصحابه واستعدادهم كل وسيلة على النكال برسول الله ﷺ وأصحابه بكل ما استطاعوا .

ثم قال رسول الله ﷺ « من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها » فقال ناجية بن جندب بن عمير الاسلمى سائق البدن . أنا بأبى أنت وأمى يا رسول الله فسلك بهم طريقا وعرة جرداء بين شعاب فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين ، وافضوا الى أرض سهلة عند مقطع الوادى قال رسول الله ﷺ للناس « قولوا نستغفر الله ونتوب اليه » فقالوا ذلك فقال « والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل

فلم يقولوها » فأمر الناس فقال « اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض » في طريق على ثنية المرار مهبط الحديبية من اسفل مكة ، فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم رجعوا راكضين الى قريش ، وخرج رسول الله ﷺ حتى سلك فى ثنية المرار بركت ناقته بأقصى الحديبية على بئر فيها ماء قليل فصار الناس يأخذون منه قليلا قليلا فلم يلبث حتى نزحوه وشكوا الى رسول الله ﷺ العطش فنزع سهما من كنانته وأعطاه ناجية بن جندب الأسلمى فنزل البئر فغرزه فى جوفه فجاش الماء فشربوا وسقوا وما زال يجيش بالري حتى صدروا عنه . أي ارتووا من الماء .

فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى من أهل تهامة فى نفر من قومه خزاعة منهم عمرو بن سالم ، وخراش بن أمية ، وخارجة بن كرز ، ويزيد بن أمية ، وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله ﷺ حيث كانوا قد تحالفوا مع بنى هاشم فى الجاهلية وبقي ذلك الى الاسلام . فقال بديل انى تركت كعب بن لؤى ، وعامر بن لؤي ، نزلوا على اعداد مياه الحديبية معهم العوذ والمطافيل وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت فقال النبي ﷺ « انا لم نجيء لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان أظهر فان شاؤا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا — اي استراحوا —

وانهم ابو فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى - اى تنفصل رقبتى - أو لينفذن الله أمره » فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق بديل حتى أتى قريشا فقال انا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذو الرأى منهم : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبى ﷺ . فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال يامعشر قريش : ألستم بالوالد ؟ قالوا بلى ، قال أألستم بالولد ؟ قالوا بلى ، قال فهل تتهمونى ؟ قالوا لا ، قال ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ لنصركم فلما بلحوا علىّ — اى امتنعوا — جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا بلى قد فعلت ما انت عندنا بمتهم . قال : فانى لكم ناصح وعليكم شفيق لا أدخر عليكم نصحا فان بديلا قد جاءكم بخطة رشد لا يردها أحد أبدا الا أخذ شرا منها فاقبلوها منه وابعثونى حتى آتيكم بمصداقها من عنده وانظر الى من معه وأكون لكم عينا آتيكم بخبره . فبعثته قريش الى رسول الله ﷺ فجاء الى النبى ﷺ فجعل يكلمه النبى ﷺ نحو قوله لبديل وأخبره أنه لم يأت يريد حربا . فقال عروة عند ذلك أي محمد أرأيت ان استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب احتاج أهله قبلك ، وإن تكن الأخرى فانى والله لأرى وجوها وانى لأرى أشوابا من الناس — خليطا — خليقا ان يفروا عنك ويدعوك

فقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أمصص بظر ( اللات ) انحن نفر عنه وندعه : فقال عروة من هذا الذى أجابنى ؟ قالوا أبو بكر . قال :أما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك: وقد كان أبو بكر رضى الله عنه أعانه فى دية كانت عليه بعشرة ثلاثص . وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم أخذ بلحيته وكان المغيرة بن شعبة قائما على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف ، وقال له أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فانه لا ينبغي لمشرك أن يمسه فلما أكثر عليه غضب عروة وقال ويحك ما أفظك وأغلظك ليت شعرى من هذا الذي آذاني من بين أصحابك ؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال « هذا ابن أخيك المغيرة ابن شعبة » فقال عروة وأنت بذلك يا غدر ، والله ما غسلت عنك بمكاظ الا أمس ولقد أورثتنا العداوة من ثقيف الى آخر الدهر . وكان المغيرة بن شعبة ابن أخ عروة بن مسعود الثقفى ، وكان المغيرة صحب قوما فى الجاهلية من ثقيف من بنى مالك لما خرجوا زائرين المقوقس ملك مصر فأحسن اليهم وقصر بالمغيرة فعلت له الغيرة منهم لأنه ليس من القوم ، فلما كانوا بالطريق شربوا الخمر فلما سكروا وناموا غدر بهم المغيرة فقتلهم وأخذ أموالهم ، فلما بلغ ثقيفا فعل المغيرة تداعوا للقتال فى عروة عم المغيرة حتى أخذوا منه دية ثلاثة عشر نفسا واصطلحوا .

فهذا هو سبب قول عروة لمغيرة أي غدر ، ثم جاء المغيرة الى المدينة فأسلم فقال له أبو بكر الصديق : ما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قال قتلتهم وجئت بأسلابهم الى رسول الله ﷺ لتخمس أو يرى رأيه فيها : فقال النبي ﷺ « أما الاسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء » وكان اسلامه قبل الحديبية بقليل . ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، ولا يسقط من شعره شيء الا أخذوه ، واذا أمرهم ابتدروا أمره ، واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فرجع عروة الى قريش فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، والنجاشي ملك الحبشة ، والله اني ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله ان تنخم نخامة وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، قد حرزت القوم واعلموا أنكم اذا أردتموه السيف بذلوه لكم وقد رأيت قوما لا يبالون ما يصنع بهم اذا منعوا صاحبهم والله لقد رأيت معه ناساً ما كانوا ليسلمنه أبدا على حال ، فروا رأيكم فما دونه يا قوم

واقبلوا ما عرض عليكم فانى لكم ناصح مع انى أخاف ان لا تصبروا على رجل أتى زائراً لهذا البيت معظما له ، معه الهدى ينحره وينصرف . فقالت قريش لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور لغيرك تكلم بهذا ، ولكن نرده عامنا هذا ويرجع الى قابل ، فقال ما أراكم الا استعجلتم فانصرف هو ومن تبعه الى الطائف .

فقام الحليس بن علقمة الكنانى سيد الاحابيش فقال : دعونى آته؟ فقالوا ائته ، فلما أشرف على رسول الله ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ « هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له » فبعثت واستقبله الناس يلبون . فلما رأى الكنانى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فيأبى الله ان تحج لخم ، وجذام ، وكندة ، وحمير ، ويمنع ابن عبد المطلب . فصاح وهو على بعد فقال : هلكت قريش ورب الكعبة ان القوم انما أتو عماراً ، فقال رسول الله ﷺ « أجل يا أخا بنى كنانة » فلما رجع الى قريش قال اني رأيت مالا يحل منعه رأيت الهدى فى قلايده قد أكل أوباره ممكوفا عن محله والرجال قد ملوا وقلوا فما أرى ان يصدوا عن البيت . وغضب وقال : يا معشر قريش ما على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له مؤديا لحقه والهدى ممكوفا ان يبلغ محله والذى نفسى بيده لتخلن بينه وبين ما جاء له أولاً نفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، فقالوا كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا

ما ترضى به ، ثم قام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص من عامر بن لؤى القرشى فقال دعونى آته فلما أشرف عليهم قال النبى ﷺ « هذا مكرز وهو رجل فاجر » وذلك ان مكرزا أراد أن يبيت المسلمين بالحديبية فخرج فى خمسين رجلا فأخذهم محمد بن مسلمة الأنصارى رضى الله عنه وهو على الحرس ، واعلمت مكرز وجاء الى النبى ﷺ وجعل يكلمه بنحو ما كلم به بديلا ، وعروة ، فرجع الى أصحابه فاخبرهم بما دعاهم اليه رسول الله ﷺ

وقد أصاب رسول الله ﷺ وأصحابه مطر ، فقال عبد الله بن أبى ابن سلول هذا نوء الخريف مطرنا بالشعرى ، فلما صلى بهم رسول الله ﷺ الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال « أتدرون ما ذا قال ربكم » قالوا الله ورسوله أعلم قال « قال الله عز وجل أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنجم كذا وكذا فهو مؤمن بالكواكب كافر بى »

وأهدى الى رسول الله ﷺ عمرو بن سالم ، وبشر بن سفيان الخزاعيان رضى الله عنهما بالحديبية غنما وجزوراً ، وأهدى عمرو بن سالم ، لسعد بن عبادة رضى الله عنه جزورا وكان صديقا له ، فجاء سعد بالجزور الى رسول الله ﷺ وأخبره ان عمرا أهداها له فقال أو عمرو وقد أهدى لنا ما ترى فبارك الله فى عمرو ، ثم أمر بالجزور ينحر ويقسم فى أصحابه ، وفرق الغنم فيهم من آخرها وشرك فيها فدخل على أم سلمة من لحم الجزور

كنحو ما دخل لرجل من القوم وشرك ﷺ فى شاته فدخل على أم سلمة بعضها وأمر ﷺ للذى جاء بالهدية بكسوة .

فبعث رسول الله ﷺ الى قريش خراش بن أمية على جمل رسول الله ﷺ يقال له الثعلب ليبلغ عند أشرافهم ما جاء فعقر عكرمة بن أبى جهل ذلك الجمل وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ ولم يكد ، فأخبر رسول الله ﷺ بما لقى . ثم دعى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه الى قريش فقال : يا رسول الله انى أخاف قريشا على نفسى قد عرفت قريش عداوتى لها ، وليس بها من بنى عدى من يمنعنى ، وان أحببت يا رسول الله دخلت عليهم : فلم يقل له رسول الله ﷺ شيئا . فقال عمر رضى الله عنه : ولكن أدلك على رجل أعز بمكة منى وأكثر عشيرة وأمنع وابلغ ذلك ما أردت عثمان ابن عفان : فدعا رسول الله ﷺ عثمان رضى الله عنه فقال « اذهب الى قريش وأخبرهم انا لم نأت لقتال وانما جئنا عمارا وادعهم الى الاسلام » وأمره ان يأتى رجالا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم ان الله تعالى وشيك ان يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان . فانطلق عثمان رضى الله عنه الى قريش فمر عليهم ببلدح فقالوا أين تريد فقال : بعثنى رسول الله ﷺ اليكم لادعوكم الى الاسلام والى الله جل ثناؤه وتدخلوا فى الدين كافة فان الله تعالى مظهر دينه ومعز

بيه ، وأخرى تكفون ويكون الذى يلى هذا الأمر منه غيركم . فان ظفر برسول الله ﷺ فذلك ما أردتم ، وان ظفر كنتم بالخيار بين أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس وتقاتلوا وأنتم وافرون جامون ، وان الحرب نهكتكم وأذهبت الاماثل منكم ، وأخرى ان رسول الله ﷺ يخبركم انه لم يأت لقتال أحد ، انما جاء معتمرا معه الهدى عليه القلائد ينحر وينصرف . فقالوا قد سمعنا ما يقول ولا كان هذا أبدا ولا دخلها علينا عنوة فارجع الى صاحبك فاخبره انه لا يصل الينا . ولقيه أبان بن سعيد وأسلم بعد ذلك ، فرحب به أبان وأجازه ، وقال لا تقصر عن حاجتك ، ثم نزل عن فرس كان عليه فحمل عثمان على السرج وردف وراءه وقال

أقبل وأدبر لا تخف أحداً بنو سعيد غرة الحرم

فدخل به مكة فأتى عثمان أشراف قريش رجلا رجلا ، فجعلوا يردون عليه ان محمداً لا يدخلها علينا أبداً . ودخل على قوم مؤمنين من رجال ونساء مستضعفين بمكة فقال : ان رسول الله ﷺ يقول قد أظلكم حتى لا يستخفى بمكة بالايمان : ففرحوا بذلك وقالوا اقرأ على رسول الله ﷺ السلام . ولما فرغ عثمان من رسالة رسول الله ﷺ الى قريش قالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ

وكان رسول الله ﷺ يأمر اصحابه بالحراسة بالليل فكانوا ثلاثة

يتناوبون الحراسة . اوس بن خولى ، وعباد بن بشر ، ومحمد بن مسلمة على حرس رسول الله ﷺ ، وكانت قريش بعثت مع مكرز رجالا فأخذهم محمد بن مسلمة وأفلت مكرز كما تقدم وعثمان بمكة ، وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكة باذن رسول الله ﷺ وهم (١) كرز بن جابر الفهرى (٢) عبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس (٣) عبد الله بن حذافة السهمى (٤) أبو الروم بن عمير العبدرى (٥) عياش بن أبي ربيعة (٦) هشام بن العاص بن وائل (٧) حاطب بن عمرو (٨) عمير بن وهب الجمحى (٩) حاطب بن ابي بلتعة (١٠) عبدالله بن أمية . فلما بلغ قريشا حبس أصحابهم الذين أسرهم محمد بن مسلمة أخذوا هؤلاء الرهط وحبسوهم وجاء جمع من قريش الى النبي ﷺ وأصحابه حتى تراموا بالنبل والحجارة وأسر المسلمون من المشركين أيضا اثني عشر فارسا وقتل من المسلمين ابن زنيم وكان قد طلع الثنية من الحديبية فرماه المشركون فقتلوه .

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو العامرى ، وكان خطيب قريش فقال النبي ﷺ « لقد سهل لكم من أمركم » وذلك ان قريشا دعت سهيل بن عمرو ، وقالت له اذهب الى هذا الرجل وصالحه فلما انتهى الى النبي ﷺ برك على ركبته وجلس النبي ﷺ متربعا ، وقام عبادة ابن بشير ، وسلمة بن أسلم الانصاريان على رأسه مقنعين فى الحديد وجلس المسلمون حوله فجرى بينهم القول وأطال سهيل الكلام وتراجعا

فقال له عبادة بن بشير الانصاري خفض صوتك عند رسول الله ﷺ فخفض صوته ولم يزالا يتراجعان حتى تقارب بينهما الصلح فرجع سهيل بن عمرو الى قريش وأخبرهم بما تم بينه وبين رسول الله ﷺ من التقارب في أمر الصلح اجمالا .

## شروط صلح الحديبية

فقال اهل الرأي من قريش ليس خير من ان نصالح محمدا على ان ينصرف عنا عامه هذا ولا يخلص الى البيت حتى يسمع من سمع بمسيره من العرب انا قد صددناه وبرجع قابلا فيقيم ثلاثا ينحر هديه وينصرف ولا يقيم ببلدنا ولا يدخل علينا فلما اجتمعت قريش على الصلح والموادعة بعثت سهيل بن عمرو ، وبعثت معه حويطب بن عبد العزى ليمضوا الصلح ولما أقبل سهيل قال رسول الله ﷺ « أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل » فجاء سهيل فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل أما الرحمن الرحيم فوالله ما أدري ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ « أكتب باسمك اللهم » ثم قال « هذا ما قضى عليه محمد رسول الله » فقال سهيل لا تكتب محمد رسول الله فلو

علم أنك رسول الله ما منعناك ولم نقاتلك ولكن أنت محمد بن عبد الله فقال « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله » ثم قال لعلي « امح رسول الله » قال علي لا والله لا أمحوك فقال رسول الله ﷺ « أرني مكانها » فأراه مكانها فمحاها وكتب « هذا ما قضى محمد بن عبدالله » فقال ﷺ « على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به » فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك في العام المقبل وأن نقيم بها ثلاثة أيام ولا ندخلها الا بجلبان السلاح السيف ، والقوس ، ونحوه وان لا نخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعك ، وأن لا نمنع أحداً من أصحابك أراد أن يقيم بها ، وأنه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا ، وخليت بيننا وبينه ، ومن أتانا من المسلمين لم نرده اليك ، وان بيننا عيبة مكفوفة — أي تكون صدورنا سليمة من كل حقد — وأنه لا أسلال ، ولا أغلال — أي نترك كل خيانة وغل — وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتواثبت خزاعة وقالوا نحن في عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم قال سهيل وان توضع الحرب عشرة سنين تأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، فلما أبى سهيل ان يقاضى رسول الله ﷺ الا على ذلك كاتبه رسول الله ﷺ ، فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا ، فقالوا سبحان الله

كيف يرد الى المشركين من قد جاء مسلماً . وكان ممن قال ذلك عمر ابن الخطاب ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن عبادة ، وسهل بن حنيف ، رضي الله عنهم

ثم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى رسول الله ﷺ فقال : ألست نبي الله حقاً ؟ قال « بلى » قال : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال « بلى » قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال « بلى » قال : فعلى م نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم : فقال رسول الله ﷺ « اني عبدالله ورسوله ولست أعصيه وان يضيعني وهو ناصري » قال عمر : أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال « بلى ، أفأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ » قال لا قال « فانك آتيه ومطوف به » فذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه متغيظاً ولم يصبر فقال يا أبا بكر أليس هذا نبيا حقاً ؟ قال بلى ، قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى ، قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال بلى ، قال فلم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال أبو بكر لعمر : أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق ، قال عمر أوليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قال لا ، فقال انك آتيه فتطوف

به فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله ﷺ يقول ما يقول تعوذ بالله من الشيطان الرجيم واتهم رأيك ، فقال عمر : فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان حينا فما أصابني شيء قط مثل ذلك اليوم فما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً ، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم أخذوا يتساءلون في ذلك حتى كادوا يهلكون وشق عليهم أمر الصلح على هذه الشروط .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من شروط الصلح أشهد عليه رجالا من المسلمين وهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنهم ، ومن المشركين حويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص ، وما تم الصلح الا بعد توقف كثير من المسلمين وصاروا يراجعون النبي ﷺ ويسألونه ان لا يوافق على تلك الشروط ، وكتب علي بن أبي طالب شروط الصلح . ونقل صورتها محمد بن مسلمة الأنصاري القريشي .

وكان في ظاهر هذه الشروط ضغط واجحاف على المسلمين ولكن في باطنها من الحكمة والفائدة والاصلاح ما ظهر لهم بعد ذلك من النتائج الحسنة والخير العميم وقد قلنا غير مرة ان النبي ﷺ لم يبعث

لابادة البشر و لهلاك الناس بل بعث بالحكمة والموعظة الحسنة وتألف القلوب وجلب الخواطر فكان معظم قريش نافرين من النبي ﷺ ومباغضين لأصحابه وذلك لأنهم يجهلون حالة النبي ﷺ وما هو عليه من الشفقة والتودد للناس ومواسات أصحابه وتفانيهم لبعضهم البعض فاحب رسول الله ﷺ ان يجارى المشركين موقتا ، وأعطاهم كل ما طلبوا رغم ممانعة أصحابه له ، فاطمأنت قلوبهم من جهة وعلموا أنه لم يكن بالفظ الغليظ ، ولا بالسفاك الأشر ، ثم بعد أن تم الصلح اختلطوا مع بعض من إرتاحت نفوسهم اليه من المسلمين ، وذهب كثير منهم الى المدينة ورأوا حالة النبي ﷺ مع أصحابه وشدة عطفه على الفقراء والمساكين وأهل الحاجة منهم وما هو عليه من مكارم الاخلاق ، واطلعوا على حالة المؤمن بعد انسلاخه من الشرك ، وما ذهب اليه من طهارة النفس والصدق والوفاء .

وكذلك بسبب الصلح ذهب كثير من المسلمين الى مكة واختلطوا بأهلها عموما واختلوا بأهليهم ، واصدقائهم خصوصا فظهرت لمعظمهم حكمة الايمان ورابطة الاسلام ، وغير ذلك من ثمرات الدين الحنيف فآبوا الى رشدهم ونبذوا النفي من نفوسهم وحاكموا أنفسهم بأنفسهم وظهر لهم ما هم عليه من فساد الرأى ، ورداءة الطباع ، وخساسة النفس ، وشراسة الاخلاق ، بسبب الشرك فمالت بعد ذلك نفوسهم الى الايمان بالله وبرسوله وبادر أبطالهم من تلقاء أنفسهم مثل عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ،

وعثمان بن طلحة ، الى الهجرة والالتحاق برسول الله ﷺ والايمان بالله تعالى وبرسوله وبما جاء به من ربه وتتابع سادتهم على ذلك قبل الفتح في مدة الهدنة ، وفي يوم فتح مكة أسلم باقيهم بل تم اسلام عموم قريش توافدت العرب من جميع الآفاق ومن عموم القبائل على رسول الله ﷺ ودخلوا في الاسلام أفواجا ، أفواجا . فكان قبول النبي ﷺ هذه الشروط لجحفة لهذه الحكمة الباهرة ، ومهما تكن درجة الصحابة من الذكاء والفطنة والادراك لا تبلغ درجة النبي ﷺ حيث لم تظهر لهم هذه الفائدة الا بعد ذلك فزادتهم ايمانا على ايمانهم وتيقنوا أنهم لو تشبثوا برأيهم وجاراهم عليه النبي ﷺ ورفضوا الصلح لوقع القتال وسفكت الدماء وضاعت هذه الحكمة القيمة الباهرة وأصبحت القضية على غير مبادئ الاسلام من بث الدعوة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ﴾

فبينما هم على ذلك الحال من كتابة معاهدة الهدنة اذ دخل أبو جندل العاص ابن سهيل بن عمرو وكان قد أسلم بمكة قبل ذلك فحبسه أبوه ومنعه من الهجرة وأوثقه بالقيود فلما سمع بأن النبي ﷺ وأصحابه بالحديبية احتال لنفسه حتى خرج من السجن وتنكب الطريق وركب الجبال حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه ان ترده الي ، فقال رسول الله ﷺ « انا لم نقض الكتاب

بعد » فقال سهيل فوالله اذا لا أصالحك على شيء أبدا ، قال النبي ﷺ « فأجزه لي » قال ما أنا بمجيزذاك ، قال « بلى فافعل » قال ما أنا بفاعل ، قال مكرز بلى قد أجزناه لك. فلما رأى أبو جندل أباه مصمما على أخذه قال يا معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلماً الا ترون ما قد لقيت وقد عذبت فى الله عذابا شديداً ؟ فثار مجىء أبى جندل غضب أصحاب رسول الله ﷺ مرة ثانية بعد ان سكنوا نوعا مما أصابهم من شروط الصلح وزادهم هياجاً على ما بهم فقال النبي ﷺ « يا أبا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وقد تم الصلح قبل ان تأتى وقد تلطفت بأبيك فأبى وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجاً » فوثب عمر بن الخطاب الى أبي جندل فقال له : اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون ، وانما دم أحدهم كدم الكلب : ويدنى له السيف يرجو أن يأخذ السيف منه فيضرب به أباه ، وجعل يقول له : ان الرجل يقتل أباه والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم فى الله : فقال له أبو جندل ما لك لا تقتله أنت ؟ قال : نهاني رسول الله ﷺ عن قتله وقتل غيره : فقال أبو جندل ما أنت أحق بطاعة رسول الله ﷺ منى . فكان عمر رضى الله عنه متهيجا شديد الانفعال والغيرة ولولا قوة ايمانه وانقياده لامر رسول الله ﷺ انتك بسهيل بن عمرو مهما كانت العاقبة وحروجة الموقف

=()=

# بيعة الرضوان

كان بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضى الله عنه كتاب الصلح ليدفعه الى قريش فامسك المشركون عثمان والعشرة الاصحاب الذين تقدم ذكرهم ، فيمن أسرهم محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله عنه ثلاثة أيام وأشاع الناس أنهم قتلهم المشركون بمكة فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك الخبر ، قال « لا نبرح حتى نناجز القوم » فنادى منادى رسول الله ﷺ ان الله تعالى أمرني بالبيعة ، وصادف ذلك ما كان كامنا فى نفس أصحابه ، فرجع المسلمون الى رسول الله ﷺ تحت الشجرة فى الحديبية و يسمى الموضع الآن (الشميسى) على ثلاثة عشر ميلا من مكة وهو حد الحرم من الجهة الغربية ، فاول من بايع رسول الله ﷺ من الصحابة أبو سنان عبد الله ابن وهب الاسدي قال لرسول الله أبسط يدك أبايعك :قال « على ماذا ؟» قال : على ما فى نفسك :قال « وما فى نفسى ؟ » قال : فتح أو شهادة : قال « نعم » فبايعه ، ثم بايعه سلمة بن الاكوع الأسلمى على الموت . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه آخذا بيد رسول الله ﷺ وصار الناس يتهافتون على بيعة رسول الله ﷺ يبايعون على بيعتها و بعضهم يبايع على أن لا يفر ، ثم دعى رسول الله ﷺ سلمة بن الاكوع فقال «بايع يا سلمة» قال قد بايعت يا رسول الله في أول الناس قال « وأيضا » ورآه رسول الله ﷺ عزلا ليس معه سلاح فأعطاه جعبة أو درقة ثم بايعه حتى اذا كان

آخر الناس قال له رسول الله ﷺ «الا تبايعني يا سلمة ؟» قال قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس وفي أوسط الناس قال «وأيضا» فبايعه الثالثة ثم قال «يا سلمة أين جحفتك أو درقتك التي أعطيتك» قال يا رسول الله لقيني عمي عامر عزلا فأعطيته اياها فضحك رسول الله ﷺ ، وذلك لعلمه بشجاعته وعنايته في الاسلام ، وشهرته في الثبات ، وصلابته في ايمانه ، وشدة بأسه ، وجرأته الفائقة . ثم وضع رسول الله ﷺ يده اليسرى على اليمنى وقال «هذه بيعة عثمان بن عفان» فانزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي

وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً * وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ الى آخر السورة وفي هذه الآيات بشائر كثيرة بالفتح الذي سينا له المؤمنون وطمأنينة لهم وتهدئة لنفوسهم مما كانوا فيه من الغيظ على المشركين وبين الله تعالى ان ما وقع لهم كان فيه الخير الكثير والفضل الجزيل ولو أردنا ان ندلي بما قاله المفسرون في ذلك من تعدد الحكم التي ظهرت ثمرتها للمسلمين بعد قبول هذا الصلح لطال علينا المجال ولكن الأمر واضح ومفهوم وسيأتي تفصيل ثمرات هذا الصلح فعلا في هذا الجزء والاجزاء المتتابعة ان شاء الله تعالى ويرى القارئ حكمة التأني والصبر والثبات في الامور والنتائج الحسنة التي اجتناها أصحاب رسول الله ﷺ بسبب تمسكهم بمبادئ الاسلام وتعاليم النبي ﷺ في سياسة الحروب وشؤون الادارة ونظام العمران .

كان بعض المشركين مختلطين مع المسلمين بالحديبية ومنتشرين في بعض

تلك الأنحاء وكان وقع بينهم و بين المسلمين بعض تناوش فى اطراف الجيش بالسلاح و رمى بالحجارة والنبل وقد قتل من المسلمين ابن زنيم وأسر المسلمون من المشركين اثني عشر رجلا ونادى مناد من اسفل الوادي يا للمهاجرين قتل ابن زنيم وكان سلمة بن الاكوع مستظلا تحت شجرة وكان اربعة من المشركين مستظلين تحت شجرة أخرى ومعلقين سيوفهم بها فلما سمع سلمة المنادى اخترط سيفه وشد على اولئك الاربعة وأخذ سلاحهم وجعله ضغثا — قبضة محزمة — في يده وقال لهم والذى كرم وجه محمد ﷺ لا يرفع احد منكم رأسه الا ضربت الذى فيه عيناه ، فأسرهم ثم جاء بهم يسوقهم الى رسول الله ﷺ . ثم جاء عامر بن سنان بن الاكوع الأسلمى عم سلمة يقود مكرز الى رسول الله ﷺ على فرس مجفف [1] في سبعين من المشركين فنظر اليهم رسول الله ﷺ قال «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه » أي عودة ثانية فعفا عنهم رسول الله ﷺ .

اذا نظرنا الى معاملة رسول الله ﷺ المشركين فى هذا الموقف الحرج باطلاق الاسرا قبل رجوع عثمان بن عفان وأصحابه من مكة والعفو عنهم ، نجد فيه من التسامح ما لا يتصوره العقل ولا أظن أن أحدا فى العالم قبله أو بعده تسامح بمثل هذا التسامح فى مثل هذا الموقف العصيب

فلما سمعت قريش بهذه البيعة خافوا و بعثوا عثمان بن عفان وجماعة

(١) هو ثوب كالجلد تضعه العرب على الفرس ليقيه من السلاح أشبه شئ بالدرع

من المسلمين الذين ذهبوا الى مكة لرؤية آلهم حيث قد علموا ممن كان معهم بالحديبية عن غيظ المسلمين عليهم وشوقهم الشديد اقتالهم ولو لم يتداركوا الامر بسرعة اطلاق عثمان ومن معه لكان الامر عليهم وبالا ، والعاقبة بالفوز للمؤمنين . فلما أتى عثمان بن عفان رضى الله عنه ومن معه من المسلمين بايعه عثمان . وقبل المشركون الصلح وتوجه سهيل بن عمر الى مكة . وقال المسلمون لعثمان بن عفان رضى الله عنه اشتنيت من البيت يا أبا عبد الله ؟ فقال عثمان : بئس ما ظننتم بي فوالذى نفسى بيده لو مكثت مقيما بها سنة ورسول الله ﷺ لم يطف ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ وقد دعتنى قريش الى ان اطوف بالبيت فأبيت : فقالوا كان رسول الله ﷺ أعلمنا وأحسننا ظنا .

## نحر الهدى والتحلل من العمرة

فلما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الصلح وكتاب العهد قال رسول الله ﷺ لأصحابه « قوموا فانحروا » فما قام منهم رجل وجاء ان ينزل الوحي بابطال الصلح وذلك قبل نزول القرآن الذى سبق ذكره ليتم لهم قضاء نسكهم حتى قال ذلك رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فلم يقم منهم احد فدخل رسول الله ﷺ على ام سلمة رضى الله عنها فذكر لها ما لقي من الناس فقالت ام سلمة : يا نبي الله لا تلمهم فانهم قد دخلهم امر عظيم

مما ادخلت على نفسك من المشقة فى امر الصلح ورجوعهم بغير فتح أتحب ذلك اخرج عليهم ثم لا تكلم احداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. انظر ايها القارئ الى رأي ام المؤمنين ام سلمة رضى الله عنها فى هذا الموقف وخطابها لرسول الله ﷺ والتلطف به والتماس العذر لاصحابه، وابداء رأيها فى الطريقة التى يستعملها فى اخضاع اصحابه الى نحر الهدى لكونهم لا يستطيعون ان يتقاعدوا عن اي عمل يعمله رسول الله ﷺ فهل يتصور متصور ان سيدة من السيدات يكون عندها من الرأى ما يضاهى رأي ام المؤمنين السيدة ام سلمة فى ذلك الموقف الرهيب الذى حارت فيه افكار جهابذة الرجال العظام المحنكين؟ فهذه المزايا لا تقدر ولا يمكن ان نقدر اذا قدرنا الموقف حق قدره حيث ان المواقف تقدر بحسبها فالرأي الصائب فى الموقف الحرج له قيمته ولا يقاس بالرأي الصائب الذى يبديه صاحبه فى وقت الراحة والسكون فرضي الله عن ام سلمة ام المؤمنين وجزاها الله عن ثاقب رأيها خير الجزاء.

فخرج رسول الله ﷺ فلم يكلم احداً منهم كلمة حتى فعل ذلك قام الى هديه واهوى بالحربة الى البدنة رافعا صوته «بسم الله والله اكبر» فنحر هديه السبعين ومن جملتها جمل كان لابى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ به الكفار، وكان قد اغتنمه فى غزوة بدر فأراد المشركون ان يفتدوه بمائة بعير، فلم يقبل ولما فرغ رسول الله ﷺ من نحرها دخل

قية له من أدم ودعا بخراش الخزاعي فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة فأخذه الناس واحصوه . ولما رآه الناس نحر وحلق ، قاموا ونحروا وحلقوا وقصروا فقال رسول الله ﷺ « يرحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله ، قال « يرحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله ، قال « يرحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله ، قال « والمقصرين » فقالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين . قال « لم يشكوا »

## التجاء المؤمنات

ثم جاء رسول الله ﷺ نسوة مؤمنات منهن ام كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط ، كانت تحت عمرو بن العاص ، واميمة بنت بشر ، وكانت تحت حسان بن دحداحة قبل ان يسلم فتزوجها سهل بن حنيف فولدت له ابنه عبد الله ، وسبيعة بنت الحارث الأسلمية وكانت تحت مسافر المخزومي ، وامرأة صيفي بن الراهب واسمها سعيدة فتزوجها عمر ابن الخطاب ، وام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد فارتدت ، وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان ، وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة كانت تحت عمرو بن عبدود العامري وقد قتل يوم الخندق ، وكان من سنة الجاهلية أن من مات زوجها كان اهله احق بها ، فقرت مع النسوة يوم الحديبية فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا

إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ ازواجهن الكفرة ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا ﴾ ما دفعوه لهن من المهور ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهن فاباح الله تعالى زواج المهاجرات وإن كان أزواج كفار لأن الاسلام فرق بينهن وبين أزواجهن . ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ﴾ اذا ارتدت امرأة من المسلمين ولحقت بالمشركين فطالبوا بما أنفقتم من المهر كما انه من لحق بكم منهن مؤمنات متزوجات فادفعوا لهم مهورهن ﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فلما نزلت هذه الاية طار كل من اتى منهن امتحنهن ، قال ابن عباس رضى الله عنهما كان امتحانهن ان نستحلف ما خرجت من بغض زوج ، ولا رغبة عن ارض الى ارض ، ولا لحدث احدثته ، ولا التماس دنيا ، وما خرجت الا رغبة فى الاسلام وحبا لله ورسوله ﷺ فاذا حلفت على ذلك لم يردها فجاء رسول الله ﷺ مسافر المخزومي فى طلب زوجته سبيعة بنت الحارث الاسلمية وهو كافر ، فقال يا محمد أردد علي امرأتى فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طيبة الكتاب لم تجف بعد ، فاستحلف رسول الله ﷺ سبيعة فحلفت فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها

فتزوجها عمر بن الخطاب ، وطلق عمر رضى الله عنه يومئذ امرأتين قريبة بنت أبي امية ، وابنة جرول الخزاعى كانتا له فى الشرك ، فتزوج احداهما معاوية بن ابى سفيان ، والاخرى صفوان بن امية .

واقام رسول الله ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوماً ثم خرج مع اصحابه راجعاً الى المدينة . وكان في نفس بعض الصحابة شيء من عدم دخول مكة فنزل رسول الله ﷺ منزلا بينه وبين لحيان ( جبل ) وكانوا مشركين فهمه ذلك فاستغفر لمن رقيه ، فرقاه سلمة بن الاكوع رضى الله عنه ثلاث الليلة مرتين او ثلاثة ، ثم سار حتى أتى ( كراع الغميم ) موضع امام عسفان فنزلت سورة الفتح فجمع رسول الله ﷺ الناس وقرأ عليهم ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ فقال رجل يا رسول الله او فتح هو ؟ قال « والذى نفسى بيده انه لفتح » فعند ذلك زال ما فى نفوسهم وارتاحت قلوبهم ثم توجه حتى اتى المدينة .

فحاصل هذه القضية التى هى عمرة الحديبية بما احتوت عليه من الهدنة وبيعة الرضوان فقد اوضحنا كل شيء في محله غير مسألة واحدة وهي : هل كان النبي ﷺ أمياً أو انه يقرأ ويكتب ؟ وذلك لما امر علي بن ابي طالب رضى الله عنه ان يمحو محمداً رسول الله كما طلب سهيل بن عمرو مندوب قريش وأبى علي ان يمحوها فقال له رسول الله ﷺ أرني مكانها فأراه اياها فأخذ الصحيفة من يد علي ومحاها وكتب محمد بن عبدالله ،

وقد ورد فى الصحيحين وغيرهما هذه الرواية المتقدمة وغيرها وجاء في بعض الروايات ان النبي ﷺ محى محمداً رسول الله وان عليا هو الذى كتب بعدذلك محمد بن عبدالله واخذشراح الصحيحين في تحليل المسألة وكون النبي ﷺ كتب بيده محمد بن عبد الله ينافى أميته أولا ينافى ، مع ان المسألة لا تحتاج الى كبير عناء فى كونه عرف اسمه ومحاه وكتب بيده محمد بن عبدالله ، وذلك انه يوجد كثير من الأميين العاديين الذين يعرفون أسماءهم في الكتب ويستطيعون كتابة اسمهم وامضائهم فى الرسائل والوثائق ، وهم اقل ذكاء وادراكا وفطنة من رسول الله ﷺ فاذا كان كثير من الأميين فى هذا العصر وفى كل عصر يدرى كون معرفة اسمهم ويستطيعون كتابة اسمهم فهل يكون ذلك غريبا فى كون النبي ﷺ عرف اسمه وكتب بيده اسمه؟وهو بلا مراء أذكى خلق الله اجمعين فهذا لاينافى كونه أميا ، ولا عبرة بقول من يقول من الملاحدة انه ليس بأمي وانه يكتب ويقرأ ويدرس الكتب وحجته فى ذلك هذه القضية ، فهؤلاء وامثالهم لا عبرة بنظرياتهم الفاسدة واحتجاجاتهم الواهية التى هى أوهى من بيت العنكبوت والتى لا تنطبق على العقل الصحيح والنقل الصريح فلو كان عندهم مثقال ذرة من عقل او ادراك لما بنوا نظريتهم على معرفة النبي ﷺ كتابة اسمه أنه يقرأ ويكتب ويدرس الكتب وغير ذلك ، وانما مثلهم كمثل المشركين لما تلا عليهم رسول الله ﷺ القرآن ولم يجدوا

لهم مفرا من الخضوع اليه قالوا اساطير الاولين اكتتبها ، وقالوا سحر ، لأنهم لما قاسوه على ما يعرفونه من الشعر ومن اقوال الكهنة وجدوه كما صرحوا به بقولهم ( ان لقوله لطلاوة ) وهذه هي قاعدة المكابرين في احتجاجاتهم الواهية حيث يتمسكون بحبال العنكبوت ، ولو كانوا من اهل العلم كما يزعمون لأدركوا خطأهم قبل الوقوع فيه ، فالعاقل لا يحتج بشيء قبل التثبت منه لأن القول المجرد الذي لم يدعم بالأدلة القوية يضرب به وجه قائله . فكم كان في عصر النبي ﷺ وقبله وبعده ممن يقرأ ويكتب ويعلم ويتعلم ، وساح الارض واطلع على التوراة والانجيل والزبور ، وجالس الاحبار والرهبان والفلاسفة ، فهل استطاع أحدهم أن يؤلف أو يكتب شيئا يضاهي القرآن في حكمه وتشريعه ومعانيه وأمثاله واتجاهه الفلكية ، والعمرانية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والادارية ، وغير ذلك مما حواه الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، حتى يقال ان محمدا ﷺ كان يقرأ ويكتب وليس هو بأمي ولذلك قرأ الكتب وألف القرآن ، فلو كان ذلك حصل الخفي على احد ، وكان دوّنه التاريخ وتناقلته الامم عن بعضها بعضا طبقة بعد طبقة . ثم يرد لنا سؤال آخر ما هي الكتب التي قرأها رسول الله ﷺ وألف منها القرآن ؟ فاذا كان المراد من تلك هي التوراة والانجيل فهي بين ايدينا فهل فيها شيء من التشريع الذي جاء به القرآن أو الحكم والامثال أو البلاغة

أو السياسة أو الادارة أو الاجتماع غير بعض قصص بني اسرائيل قد حرفها القسس والاحبار والرهبان وجاءت في القرآن صحيحة سالمة من التحريف والتغيير والتبديل ، وأقام بها رسول الله ﷺ الحجة على معاصريه من اليهود والنصارى وألجمهم والجمهم ، ولم يسعهم غير الانكار والتكذيب اللذين هما حجة المارقين والافاكين وسلاح المنهزمين والمتمردين على الحقيقة . ولا يزال القرآن بين ايدينا كما انزل على محمد ﷺ ولا يزال فوق مستوى ادراك البشر ، ولا يزال المرشد الحكيم الى سبيل الهدى والرشاد ، ولا يزال معجزة لرسول الله ﷺ في عصره والعصر الحاضر والى يوم البعث والنشور ، ولا يزال حجة الله البالغة على جميع البشر . ولما كون النبي ﷺ أمياً فقد انبأه القرآن وتناقلته الامة الاسلامية طبقة بعد طبقة وجيلا بعد جيل وليس على المكابر الا ان يحك رأسه في اي صخرة شاء وينفخ في اي بوق شاء فلا يؤثر على الحقائق مهما بلغ من الوقاحة والترهات شيء .

## نهوض المستضعفين بمكة

جاء رسول الله ﷺ أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية الثقفي حليف بني زهرة وكان من المستضعفين وممن أسلم قديما وقد حبسه قومه بمكة فلما علم قومه بهجرته الى رسول الله ﷺ ، كتب فيه أزهر بن عبد عوف

الزهري » ولاخنس بن شريق الثقفي الى رسول الله ﷺ و بعثا في طلبه خنيس بن جابر من بني عامر بن لؤي استأجراه ببكرتين لبون وحملاه على بعير وكتبا الى رسول الله ﷺ يذكران الصلح الذي بينهم وأن يرد اليهم أبا بصير ، فقرأ أبيّ بن كعب الكتاب على رسول الله ﷺ فاذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه وأشهدنا بيننا وبينك من رَدّ من قدم عليك من قومنا فابعث الينا بصاحبنا وكان مع خنيس مولى لهم يقال له كوثر يهديه الطريق ، فقال رسول الله ﷺ « يا أبا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك » قال أبو بصير يا رسول الله أتردني الى المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال « يا أبا بصير انطلق فان الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا » فانطلق معهما حتى اذا كان بذي الحليفة صلى الظهر في مسجدها ومعه زاد له من تمر يحمله ودعا العامري وصاحبه ليأكلا معه فقدما سفرة فيها كسر فاكلوا جميعا فسل العامري سيفه فهزه ثم هزه فقال لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوما الى الليل ، فقال له أبو بصير أصارم سيفك هذا قال نعم قال ناوانيه أنظر اليه ان شئت فناوله اياه فلما قبض عليه ضربه به حتى برد وطلب الآخر فخرج كوثر يعدو نحو المدينة وأبو بصير في أثره فأعجزه ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه

بعد العصر فقال رسول الله ﷺ حين رآه « لقد رأى هذا ذعرا » فلما أنتهى الى رسول الله ﷺ قال « ويحك ما لك؟ » قال قتل والله صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم اكد واني لمقتول ، واستغاث برسول الله ﷺ فأمّنه ، وأقبل أبو بصير فناخ بعير العامرى ودخل متوشحا سيفه فقال يا رسول الله قد وفيت ذمتك وأدى الله عنك وقد أسلمتنى بيد العدو ، وقد امتنعت بديني من أن أفتن ، فقال رسول الله ﷺ « ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد » فلما سمع ذلك أبو بصير عرف انه سيردده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر على ساحل البحر من جهة العيص بارض جهينة من ناحية ذي المروة بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها الى الشام ، فبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لابى بصير ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد ، فخرج عصابة منهم اليه وافلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبى بصير . ولما بلغ سهيل ابن عمرو قتل أبو بصير العامرى أشتد عليه وقال ما لصاحبنا محمد على هذا فقالت قريش قد برئ محمد منه وقد أمكن صاحبكم منه فقتله بالطريق فما على محمد فى هذا . فأسند سهيل بن عمرو ظهره الى الكعبة وقال والله لا أوخر ظهرى حتى يؤدي هذا الرجل ، قال أبو سفيان بن حرب ان هذا لهو السفه والله لا يؤدي ثلاثة قريش تدبه ، وانما بعثه بنو زهرة . فقال الأخنس بن شريق والله ما نوديه ما قتلناه ولا أمرنا بقتله فقتله

« م ٥ ج ٣ حياة سيد العرب »

رجل مخالف فأرسلوا الى محمد يديه ، فقال أبو سفيان بن حرب لا ما على محمد دية ولا غرم قد جرى محمد ما كان على محمد اكثر مما صنع . فكان أبو سفيان بن حرب فى هذا الموقف رجل العدل والانصاف حيث ما كان يرجى منه ان يقول ما قال لانه كان من أشد أعداء رسول الله ﷺ وعلى كل فلا بد للحق من ناصر . فلم تخرج له دية ، فأتى أبو بصير ومن معه بسيف البحر ، وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة قول النبي ﷺ لأبي بصير « ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد » فخرج المستضعفون اليه حتى بلغوا سبعين راكبا ورأس القوم هناك أبو جندل لكونه قرشيا فكان يؤمهم ، واجتمع الى أبي جندل حين قدومه من سمع به من بنى غفار ، وأسلم ، وجهينة ، وطوائف من الناس حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل كما عند البيهقي عن ابن شهاب لا تمر بهم عير لقريش الا أخذوها وقتلوا من فيها وضيقوا على قريش فلا يظفرون بأحد الا قتلوه فقال أبو جندل

أبلغ قريشا عنى أبى جندل ... أنا بذي المروة فالساحل
فى معشر تخفق أعناقهم ... بالبيض فيها والقنا الذابل
يأبون أن تبنى لهم رفقة ... من بعد اسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا ... والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء باسلامه ... ويقتل المرء ولم يأتل

فأرسلت قريش الى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب تناشده الله والرحم ويتضرعون اليه أن يبعث الى أبي بصير وأبي جندل ومن معهم وقالوا من أتاك فهو آمن ، ومن خرج اليك فامسكه فهو لك حلال فان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره ، فكتب رسول الله ﷺ الى أبي جندل بن سهيل بن عمرو ، والى أبي بصير ان يقدموا عليه وأن من معهم من المسلمين يلحقون ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضون لاحد مر بهم من قريش ولا غيرهم . فقدم كتاب رسول الله ﷺ عليهما وكان أبو بصير رضى الله عنه يؤم القوم ويصلي بهم وكان يكثر من قول

الحمد لله العلي الكبير من ينصر الله فسوف ينصر

فجاءه كتاب رسول الله ﷺ وهو محتضر من مرض أصابه فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده يقرؤه فدفنه أبو جندل مكانه وصلى عليه وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ مع ناس من اصحابه ورجع باقيهم الى أهليهم ، وأمنت قريش على عيرهم .

ثم جاء المدينة عمارة ، والوليد ، ابنا عقبة يسألان رسول الله ﷺ رد أختيهما أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وأخت عثمان بن عفان لأمه وكانت بكرا عملا بالشروط فأبى رسول الله ﷺ ان يرجعها اليهم فلما رجع عمارة ، والوليد ، أخبرا قريشا بذلك رضوا به .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ما كان فتح في الاسلام أعظم

من صلح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين رسول الله ﷺ وبين ربه ، والعباد يعجلون والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى يبلغ الامور ما أراد ، لقد رأيت سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائماً عند المنحر يقرب لرسول الله ﷺ بدنه ورسول الله ﷺ ينحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه فأنظر الى سهيل يلقط من شعره وأراه يضعه على عينه وأذكر إمتناعه أن يقر يوم الحديبية بان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فحمدت الله الذي هداه للاسلام :

قال عروة فلما كان ذلك من أمرهم يعني قريشاً علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله ﷺ ان يمنع أبا جندل من أبيه بعد القضية ، أن طاعة رسول الله ﷺ خير لهم فيما أحبوا وفيما كرهوا من رأي ، ومن ظن ان له قوة هي افضل مما خص الله تعالى به رسوله ﷺ من الفوز والكرامة فقد أخطأ . ومما يؤيد ذلك انه لما دخل رسول الله ﷺ عام عمرة القضية وحلق رأسه قال «هذا الذي وعدتكم » ولما كان يوم الفتح اخذ المفتاح وقال « ادعو الى عمر بن الخطاب فقال هذا ما كان فتح في الاسلام اعظم من صلح الحديبية »

وحاصل هذه القضية ان قريشاً ارادت ان تتحكم في الاسلام وفي نبي الاسلام يوم الحديبية بشرائطها التي أثارت نفوس المسلمين ولو لا خضوعهم الميتي لرسول الله ﷺ الذي أرغمهم أرغاماً على قبوله حتى

كادوا يفتتنوا لولا ان تداركهم الله بلطفه وعنايته ، فقضى ربك ان تكون تلك الشروط القاسية على المشركين لا على المسلمين ، وجل تلك القساوة هي انه من اتاك منا مسلماً ترده الينا ومنها حادثة أبي جندل ، فكان من تطبيق هذا الشرط القاسي ان نشأ على رأس ابي بصير عصابة مسلمة حاسبت قريشاً حساباً عسيراً وأعلمتها نتيجة تلك القساوة التي استعملتها في أحرج المواقف ضد المسلمين ان يستجيروا بنبي الاسلام في حل تلك الشروط واستبدالها بعكسها تماماً ، وهو انه من اتاك منا لا يعود بل أحميه عندك وأكفنا شره ، ومن ذلك ظهر ان القساوة في كل شيء لا تنتج الا بالمضرة ، وان في الملاطفة ، والمجاملة ، وغض الطرف ، والتسامح ، من الخير ما لا يحصل عن طريق القساوة والشدة ، فكان من أمر الصلح أن الفوز للمسلمين على المشركين بموجب تلك الشرائط التي في ظاهرها فوز المشركين على المسلمين ﴿ وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ فعلم الله تعالى فوق علم البشر .

## غزوة ذي قرد

كان لقاح النبي ﷺ ترعى ( بذي قَرَدَ ) وهو ماء على عشرين ميلا من المدينة وكانت ترعى البيضا وذَوْن البيضا الى جبل وهو طريق خيبر وهي عشرون لقحة وكان الذي يرعاها أبو ذر الغفاري رضي الله

عنه ومعه أبنه ذر وزوجته ليلى وكان أبو ذر قد استأذن رسول الله ﷺ الى لقاحه فقال له رسول الله ﷺ « اني أخاف عليك من هذه الضاحية تغير عليك ونحن لا نأمن عيينة بن حصن وذوبه وهم في طرف من اطرافهم » فألح عليه فقال رسول الله ﷺ « لكأني بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك » فكان أبو ذر يقول عجباً والله اني لفي منزلنا ولقاح رسول الله ﷺ قد روحت وعقلت وحلبت عتمتها وثمنا فلما كان الليل أحدق بنا عيينة بن حصن في اربعين فارساً فصاحوا بنا وهم قيام على رؤسنا فاشرف لهم ابني فقتلوه وكانت معه امرأته وثلاثة نفر فنجوا وتنحيت عنهم وشغلهم عني اطلاق عقل اللقاح ثم صاحوا في ادبارها فكان آخر العهد بها ولما قدمت على رسول الله ﷺ وأخبرته تبسم . فاستاق عيينة بن حصن الفزاري وقومه اللقاح بعد ان قتلوا ابن ابي ذر وأسروا زوجته فنجت منهم بليل على بعير من ابل رسول الله ﷺ وكان سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قد خرج نحو تلك الجهة منبشحا قومه وقبله ومعه رباح غلام رسول الله ﷺ وغلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى اذا كان على ثنية الوداع لقيه غلام عبد الرحمن ابن عوف فقال له أخذت لقاح رسول الله ﷺ ، قال ومن أخذها ؟ قال غطفان . فنظر سلمة بعض خيولهم فأشرف من ناحية سلع فصرخ سلمة ثلاث صرخات ( وا صباحاه ) فأسمع ما بين لابة المدينة ثم خرج

يشتد عدوا خلف القوم وكان أشد سبقا من الخيل حتى ادركهم بذى قرد فوجدهم يسقون من الماء فرماهم بالنبل، وكان راميا ويقول اذا رمى: خذوها وأنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع : وذلك لأنه كان شجاعا مشهوراً يخشى بأسه عند العرب وكان من عادة الشجعان يرتجزون بأسمائهم فى حومة الوغى لارهاب العدو فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فاذا امكنه الرمي رمى وقال : خذوها وأنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع : فيقول قائلهم أويكفنا هو أول النهار ، فلم يزل يطاردهم حتى لحق رجلا منهم فصك سهما فى رحله فاقذه الى كتفه وقال له : خذها وأنا ابن الاكوع : فما زال يرميهم ويعقرهم فاذا هجم عليه فارس طلع الى شجرة ورماه منها حتى ادخل القوم بين مضيق جبلين فعلا الجبل ورماهم بالحجارة حتى استنقذ منهم لقاح رسول الله ﷺ وخلفها وراء ظهره ثم تبعهم وهو يرميهم حتى ألقوا ثلاثين بردة وثلاثين رمحا فوضع عليها حجارة آراما حتى يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه أنها من كسبه . وقد أرسل سلمة بن الاكوع رضي الله عنه رباحا على فرس طلحة بن عبيد الله وقال له الحق بطلحة وأخبر رسول الله ﷺ ان قد أغير على سرحه وما زال سلمة رضى الله عنه يطارد القوم حتى اشتد الضحى أتاهم عيينة فقال لقومه ما هذا الذى أرى قالوا لقينا من هذا البرح ما فارقنا السحر حتى الآن وأخذ كل شئ في ايدينا وجعله وراء ظهره فقال عيينة لو لا

ان هذا يرى ان وراءه طلب لقد تركتكم ، وقالوا ليقم اليه نفر منكم فقام اليه اربعة منهم فصعدوا فى الجبل ، قال سلمة فلما اسمعتهم الصوت قلت لهم اتعرفوني فقالوا ومن انت فقلت أنا ابن الأكوع والذى اكرم وجه محمد ﷺ لا يطالبنى رجل منكم فيدركنى ولا يطالبنى فيفوتنى فقال رجل منهم انى أظن فرجعوا .

فلما بلغ رسول الله ﷺ صباح ابن الاكوع فنادى مناد بالمدينة الفزع الفزع يا خيل الله اركبى ، فتزامت الخيول الى رسول الله ﷺ وكان اول من اقبل على رسول الله ﷺ المقداد بن عمرو المشهور بابن الأسود الكندي الحضرمي قال المقداد رضى الله عنه لما كانت ليلة السرح جعلت فرسي (سبحة) لا تقرضربا بيدها وصهيلا فأقول والله ان لها لشأنا فأنظر الى أربها فاذا هو ممنوع علقا فأقول عطش فأعرض عليها الماء فلا تريده فلما طلع الفجر أسرجتها ولبست سلاحى حتى أصلى مع رسول الله ﷺ الصبح فلم أر شيئا ودخل رسول الله ﷺ بيته ورجعت الى بني والفرس لا تقر فوضعت سرجها والسلاح واضطجعت فأتانى آت فقال ان الخيل قد صبح بها فخرجت . هذا حديث المقداد عن فرسه فى هذه الحادثة ، ثم أقبل بعد المقداد عبادة بن بشر الأنصاري ، ثم اقبل اسيد ابن ظهير الانصاري ، ثم قيل عكاشة بن محصن الاسدي ، ثم اقبل محرز ابن نضلة الاسدى ، ثم ابو قتادة الحارث بن ربعى الانصاري ، ثم ابو عياش

عبيد بن زيد بن الصامت الانصارى ، ثم اقبل سعد بن زيد وركب رسول الله ﷺ في نحو سبعمائة رجل، واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم ، وخلف سعد بن عبادة رضى الله عنه فى ثلاثمائة يحرسون المدينة وأعطى اللواء المقداد بن عمرو الكندي فى رمحه وقال « امض حتى تلحقك الخيول وأنا على أثرك » وخرج رسول الله ﷺ في ربيع الأول سنة ست من الهجرة فطارت فرسان الصحابة خلفهم فكان أولهم المقداد ثم عبادة بن بشر ، ثم سعد بن زيد الانصارى ، وأسيد بن ظهير ، وعكاشة ابن محصن ، ومحرز بن نضلة ، وأبو قتادة ، وأبو عياش ، والأخرم الأسدى ، فأدرك أبو قتادة فى طريقه مسعدة بن حكيم الفزارى فقتله وسجاه ببرد كي لا يسلبه أحد من الصحابة ، وأدرك عكاشة ، أبان بن عمرو ، وابنه عمراً على بعير واحد فانفذهما بالرمح فقتلهما حتى أدركوا سلمة بن الأكوع وكان أول من ادركه محرز ، الأخرم الأسدى وعلى أثره ابو قتادة الانصاري وعلى أثره المقداد بن الاسود على فرسه (سبحة) وقد ولى القوم مدبرين فأخذ سلمة بن الاكوع بعنان محرز الاخرم وقال له :احذرهم لايقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ واصحابه . فقال : يا سلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم ان الجنة حق والنار حق فلاتحل بيني وبين الشهادة . فخلى سبيله فالتقى محرز الاخرم برجل من القوم اسمه عبد الرحمن فعقر عبد الرحمن فرسه وطعن الاخرم فقتله وتحول على فرسه

فلحق أبو قتادة عبد الرحمن فقتله ، فعدا سلمة بن الاكوع خلف القوم حتى لم ير خلفه أحد من الصحابة ولا غبارهم وأدرك القوم وهم عطاش ورآهم عدلوا الى شعب بذي قرد فيه ماء ليستقوا منه فرماهم بالنبل حتى أجلاهم عنه فما ذاقوا منه قطرة فلحق رجلا منهم فصكه بسهم فى نفض كتفه وقال : خذها وأنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع : قال يا ثكلته أمه أنت الاكوع الذي كنت تطاردنا من أول النهار ؟ قال نعم يا عدو نفسه أكرعك من أول النهار ، وترك القوم فرسين لم يقويا على الانهزام فجاء بهما سلمة بن الاكوع الى رسول الله ﷺ فأتاه عمه عامر بإناء فيه لبن وإناء فيه ماء فشرب سلمة وتوضأ وأتى رسول الله ﷺ وقد أخذ تلك الابل وكل شئ استنقذه من المشركين ، ونحر بلال ناقة من تلك الابل وشوى لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها فقال سلمة يا رسول الله خلني أنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر الا قتلته ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه فقال « يا سلمة أتراك كنت فاعلا ؟ » قال : نعم والذي أكرمك : فقال « انهم الآن ليقرون فى غطفان يا ابن الاكوع اذا ملكت فاسجح » أي اذا قدرت فارفق . فلما أصبحوا قال رسول الله ﷺ « كان خير فرساننا اليوم ابا قتادة ، وخير رجالنا سلمة » فأعطى رسول الله ﷺ أبا قتادة سلبه ، وأعطى سلمة سهمين سهم الفارس وسهم الراجل فجمعها اليه جميعاً واقام رسول الله

ﷺ يوما وليلة يتجسس الخبر ورجع ﷺ الى المدينة وأردف خلفه سلمة ابن الاكوع على العضباء فلما كان بينهم و بين المدينة قريب من فحوة وفى القوم رجل من الانصار كان لايسبق فجعل ينادى هل من سابق ؟ الا رجل يسابق الى المدينة ؟ فكرر القول مرارا : قال سلمة بن الاكوع وأنا وراء رسول الله ﷺ سردف قلت له : أما تكرم كريما ولا تهاب شريفا ؟ قال لا إلا رسول الله ﷺ ، قلت : يارسول الله بأبى انت وأمى خلنى فلاسابق الرجل قال « ان شئت » قلت اذهب اليه فظفر عن راحلته وتنيت رجلى فطفرت عن الناقة ثم ارتطت عليه شرفا أو شرفين يعنى استبقيت نفسى فعدوت حتى الحقه فأمسك بين كتفيه بيدى وقلت سبقته والله فضحك وقال اني أظن فسبقته حتى قدمنا المدينة يوم الاثنين وقد غاب ثلاث ليال .

واستشهد من المسلمين رجلان خزر بن أبي خزر الغفارى ومحرز الاخرم الأسدى رضى الله عنهما . وقتل من المشركين ثلاثة سعد بن حكيم الفزارى ، وأبان بن عمرو ، وابنه عمرو .

ربما يتساءل القارئ عن بطل هذه القصة . سلمة بن الاكوع لأنه لم يسمع بذكره الا يوم الحديبية وهو أول من بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة على الموت . فأقول كان يوم الحديبية أول مشاهده ومتقف له على كثير من اعماله الرائعة وهذه الغزوة نقلت معظمها من صحيح مسلم

لأني لما قرأتها في بعض السير ظننتها مبالغا فيها فلما راجعت صحيح مسلم وجدته ذكر باسناده الصحيح معظم القصة التي تتعلق ببطل الغزوة سلمة ابن الاكوع ذلك البطل العظيم الذي لا يجارى ولا يبارى به احد في شدة عدوه ذلك الاسد المغوار ، وحديثه شايع في كثير من كتب السير والتاريخ والتراجم . قال الحافظ ابن حجر في الأصابة ، في ترجمة سلمة ابن الاكوع ، اول مشاهده الحديبية وكان من الشجعان ويسبق الفرس عدواً ، وقد عمر ، وتوفي سنة أربع وسبعين من الهجرة رضي الله عنه وكثر في الاسلام من امثاله .

## كتبه الى الملوك

لما فرغ رسول الله ﷺ من صلح الحديبية مع قريش ورجع الى المدينة عزم على ان يكتب الى الملوك المجاورة له من عرب وعجم فقيل له انهم يعني الملوك لا يقرؤن الكتب الا اذا كانت مختومة فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة اسطر : محمد السطر الاسفل ، ورسول السطر الاوسط ، والله السطر الاعلا ، وكان يختم به الكتاب بعد طيه وذلك لئلا يطلع عليه أحد غير المرسل اليه لحفظ ما فيه من الأسرار ، وكان يلبسه مرة في خنصر يده اليمنى ، ومرة في خنصر يده اليسرى ، وجعل فصه المنقوش عليه اسمه من العقيق الحبشي ، وكان يجعل فصه من قبل

بطن كفه . هذا اصح ما ورد فى ذلك . وقد جعل أصحاب السير والمغازى كتب النبي ﷺ الى الملوك فى آخر السيرة وبما انى قد سلكت في كتاب ( سيد العرب ) أن أذكر كل قضية بحسب تاريخ وقوعها فقد اتيت بكتبه في السنة التى كاتب فيها الملوك وهي بعد عمرة الحديبية .

## كتابه الى المقوقس ملك مصر

كتب رسول الله ﷺ في شهر ذى الحجة سنة ست من الهجرة الى المقوقس ملك القبط بمصر . وهذه صورة الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولو فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » وبعث به حاطب بن أبى بلتعة فتوجه به اليه بمصر فوجده بالاسكندرية فذهب اليها فرآه فى مجلس مشرف على البحر فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جيء به اليه ونظر الى الكتاب فضه وقرأه وقال لحاطب ما منعه ان كان نبيا ان يدعو على من خالفه من قومه وأخرجه من بلده الى غيرها ؟

فقال حاطب : أليست تشهد ان عيسى بن مريم رسول الله فماله حيث آذاه قومه وأرادوا ان يصلبوه ان لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه اليه : قال أحسنت حكيم جاء من عند حكيم ، ثم قال لحاطب ما منعه ان يدعو علي فيسلط علي ؟ فقال حاطب : انه كان قبلك رجل يزعم انه الرب الأعلا — يعني فرعون — فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك : فقال ان لنا دينا لن ندعه الا لمن هو خير منه . فقال حاطب : ندعوك الى دين الله وهو الاسلام الكافي به الله فقد ما سواه ان هذا النبي ﷺ دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعاء اهل التوراة الى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم امته فالحق عليهم أن يطيعوه فانت ممن ادرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به : فقال المقوقس أسألك عن ثلاث ؟ قال حاطب : لا تسألني عن شيء الا صدقتك : قال الى م يدعو محمد ؟ قال : الى ان يعبد الله وحده ويأمر بخمس صلوات في اليوم والليلة ، وصيام رمضان ، وحج البيت ، والوفاء بالعهد ، وينهى عن أكل الميتة والدم : قال صفه لي ؟ فوصفه فأوجز ، قال بقيت أشياء لم تذكرها أوفى عينيه حمرة ؟ قال : ما تفارقه : قال وبين كتفيه خاتم النبوة ؟ يركب الحمار ، ويلبس

الشملة ، ويجتزى بالتمرات ، والكسر ، لا يبالى من لاقى من عم ، ولا ابن عم ؟ قال حاطب : هذه صفته : قال قد كنت أعلم ان نبيا قد بقى وكنت اظن ان مخرجه من الشام وهناك كانت تخرج الانبياء قبله فأراه قد خرج فى ارض العرب في أرض جهد وبؤس وانى قد نظرت فى امر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخباء والاخبار بالنجوى ، والقبط لا تطاوعنى على اتباعه وأنا أضنى بملكى ان افارقه وسيظهر على البلاد وينزل اصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهر على ما هنا وأنا لا اذكر القبط من هذا حرفا ولا احب ان تُعلم بمحاورتي اياك احداً وسأنظر . فأخذ كتاب النبى ﷺ وجعله فى حق من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى رسول الله ﷺ ( بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا قد بقى وقد كنت اظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبخصى ، وبكسوة ، وهدية ، وبغلة ، لتركبها وحمار ، وفرس والسلام ) ولم يزد على ذلك ولم يسلم . ثم قال لحاطب ارجع الى صاحبك وارتحل من عندى ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا .

أما الهدية فهى مارية، وسيرين ، القبطيتين والخصي اسمه (مابور) شيخ كبير كان اخا مارية القبطية ، والكسوة عشرون ثوبا من قباطى مصر ، وعمائم ، وعود ، ومسك ، وألف مثقال ذهب ، وقدح زجاج ، وعسل من عسل بنها ، ومشط ، ومقص ، وسواك ، ومكحلة من عيدان شامية ، ومرآة — كل ذلك التعلق بالزينة داخل صندوق يقال له ربعة — والبغلة لونها شهباء ولم يكن فى بلاد العرب بغلة غيرها فى ذلك العصر وتسمى ( الدلدل ) وحمار أشهب يسمى ( يعفور ) وفرس يقال له ( المرتجز ) من اجود خيل مصر فأسرج ولجم ، وأعطى لحاطب مائة دينار وخمسة اثواب.

فارتحل حاطب من عنده وبعث معه جيشا يحرسونه الى داخل جزيرة العرب ، فوجد قافلة آتية من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفق بالقافلة الى ان أتى المدينة وأعطى لرسول الله ﷺ الكتاب والهدايا .

وقد كان المقوقس عرف بمبعث رسول الله ﷺ وهجرته الى المدينة قبل ان يبعث رسول الله ﷺ اليه حاطبا بكتابه وذلك ان المغيرة بن شعبة رضى الله عنه لما وفد عليه ومعه رهط من ثقيف قبل اسلامه قال له المقوقس ما صنعتم فيما دعاكم اليه محمد ؟ قالوا ما تبعه منا رجل واحد ، قال كيف صنع قومه ؟ قالوا اتبعه أحداثهم وقد لاقاه من خالفه فى مواطن كثيرة ، قال فالى ماذا يدعو ؟ قالوا الى ان نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ويدعو الى الصلاة والزكاة ، وصلة الرحم ، ووفاء العهد ،

وتحريم الزنا، والربا، والخمر، قال المقوقس هذا نبي مرسل الى الناس كافة ولو أصاب القبط، والروم لاتبعوه وقد أمرهم عيسى بذلك وهذا الذي تصفونه منه نعت الانبياء من قبله وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ويظهر دينه الى منتهى الخف والحافر، فقالت له ثقيف رقعاء المقيرة لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا معه فهز المقوقس رأسه وقال أنتم في الكعب ثم سأل عن اشياء مثل سؤال هرقل الآتي في قصة لأبي سفيان. ثم قال لهم ما فعلت يهود يثرب قالوا خالفوه فوقع بهم فقال هم حسدة أما انهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف.

## كتابه الى قيصر الروم

وكتب رسول الله ﷺ الى هرقل قيصر الروم كتابا في شهر ذي الحجة سنة ست من الهجرة يدعوه الى الاسلام وبعث به دحية الكلبي رضي الله عنه وأمره أن يدفعه الى عظيم بصرى — مدينة حوران وهي قرية من طرف البرية بين الحجاز والشام — ليدفعه الى قيصر الروم، فلما انتهى دحية الكلبي الى عظيم بصرى الحارث ملك غسان دفع اليه الكتاب فدفعه عظيم بصرى الى هرقل قيصر الروم. هذه رواية مسلم، واما اصحاب السير فذكروا ذلك بوضوح تام، وهو فلما انتهى دحية الى الحارث عظيم بصرى أرسل معه عدي بن حاتم الطائي قبل اسلامه ليوصله

« م ٦ ج ٣ حياة سيد العرب »

الى قيصر فذهب به اليه فقال قوم لدحية اذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك ، قال دحية رضى الله عنه : لا أفعل هذا أبداً ولا أسجد لغير الله تعالى : قالوا اذاً لا يأخذ كتابك . فقال له رجل منهم أنا ادلك على امر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له ، فقال دحية وما هو ؟ فقال ان له فى كل عتبة منبرا يجلس عليه فدع صحيفتك تجاه المنبر فان احدا لا يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها . ففعل ، فلما اخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذى يقرأ باللغة العربية فقال أنظر هل هنا أحد من قوم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى . قالوا نعم ، وكان أبو سفيان بن حرب بالشام فى نفر من قريش تجارا فدعوه ومن معه النفر من قريش فدخلوا على هرقل فأجلسهم بين يديه ، فقال أيكم اقرب نسبا من هذا الرجل الذى يزعم انه نبى ؟ فقال أبو سفيان : أنا ، فأجلسوه بين يديه واجلسوا اصحابه خلفه ثم دعا بترجمانه فقال له : قل لهم انى سائل هذا عن الرجل الذى يزعم انه نبى فان كذبنى فكذبوه . فقال أبو سفيان : وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر علىّ الكذب لكذبت . ثم قال هرقل لترجمانه سله كيف حسبه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو حسب ، قال : فهل كان من آبائه ملك ؟ قال لا ، قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال لا ، قال ومن يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ قال : بل ضعفاؤهم ، قال أيزيدون أم ينقصون ؟

قال لا بل يزيدون ، قال هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له ؟ قال لا ، قال : فهل قاتلتموه ؟ قال نعم ، قال فكيف كان قتالكم اياه ؟ قال يكون الحرب بيننا سجالا يصيب منا ونصيب منه ، قال : فهل يغدر ؟ قال لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ماهو صانع فيها . قال أبو سفيان فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه . قال هرقل فهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قال لا ، قال لترجمانه قل له انى سألتك عن حسبه فزعمت انه فيكم ذو حسب ، وكذلك الرسل تبعث فى احساب قومها ، وسألت هل كان فى آبائه ملك فزعمت أن لا ، فقلت لو كان فى آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه ، وسألتك عن اتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم فقلت بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فزعمت ان لا ، فقد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله ، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل سخطة له فزعمت أن لا ، وكذلك الايمان اذا خالط بشاشة القلوب ، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الايمان حتى يتم ، وسألتك هل قاتلتموه ، فزعمت انكم قاتلتموه فتكون الحرب بينكم سجالا ينال منكم وتنالون منه ، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة ، وسألتك هل يغدر فزعمت انه لا يغدر ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك هل

قال هذا القول أحد قبله فزعمت ان لا ، فقلت لو قال هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتم بقول قيل قبله ، ثم قال هرقل بم يأمركم ؟ قال أبو سفيان يأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصلة ، والعفاف ، قال ان يكن ما تقول فيه حقا فانه نبي وقد كنت اعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم ولو أني أعلم أني أخلص اليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فاذا فيه .

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الأريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » وجاء في قوله ﷺ « انما عليك اثم الاريسيين » فالاريسيون هم الفلاحون ، والمعنى ان عليك اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك ، واختص هؤلاء الأريسيين دون عموم الرعايا لانهم الأغلب والأسرع للانقياد . وكذلك جاء في قول هرقل عن أتباع النبي ﷺ هم الاشراف أم الضعفاء ، وذلك على حسب الاغلب في الأتباع مع أن من اتباع النبي ﷺ في أول الاسلام مثل حمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث ، وطلحة ، والزبير ، وأبي بكر ،

وسعد بن أبي وقاص ، وعمر ، وعثمان ، وسعيد بن زيد ، وغيرهم ، ومن أبناء الأشراف مثل مصعب بن عمير وعلي بن أبي طالب وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعثمان بن مظعون ، وأبي سلمة بن عبد الاسد المخزومي ، وجعفر بن أبي طالب ، وأبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، سيد بني عبد شمس وأبو جندل بن سهيل بن عمرو كما تقدم في اسماء أول من آمن ، وانما كما قلنا ان الأغلب كانوا من الضعفاء ، وذلك لأن الضعف كما يطلق على الموالي ، والاتباع ، والنساء ، يطلق أيضاً على أبناء الاشراف مع وجود آبائهم الذين هم على غير دين الاسلام ، وقد سبق تفصيل ما كان يحصل على أولئك الابناء من آبائهم ، وما حديث أبي جندل ببعيد .

فلما فرغ هرقل من قراءة الكتاب ارتفعت الاصوات عنده وكثر اللغط وذلك أن ابن أخي القيصر أظهر الغيظ الشديد وقال للقيصر أيبدأ بنفسه يعني رسول الله ﷺ ، وسماك صاحب الروم الق بكتابه ؟ فقال له والله انك لضعيف الرأي أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر هو أحق ان يبدأ بنفسه ولقد صدق أنا صاحب الروم والله مالكي ومالكه ، وأمر باخراج أبي سفيان وأصحابه . فقال أبو سفيان لاصحابه حين خرجوا لقد أمر أمر ابن أبي كبشة انه ليخافه ملك بني الاصفر : يعني أنه أعظم أمر النبي ﷺ ، وأبو كبشة كنية جده أبو أمه آمنة الزهرية . فقال أبو سفيان فما زلت موقنا بأمر رسول الله ﷺ انه سيظهر حتى أدخل

الله علىّ الاسلام .

فقال القيصر لقومه يا قوم ألستم تعلمون ان بين يدى الساعة نبياً بشركم به عيسى بن مريم ترجون ان يجعله الله فيكم ؟ قالوا بلى ، قال فان الله قد جعله فى غيركم وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء . وأمر بانزال دحية الكلبي واكرامه ، ثم أن القيصر سار الى حمص ولما دخل دسكرته أذن لعظماء الروم بالدخول وأمر بالابواب فغلقت ثم أطلع عليهم فقال يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي : فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد أغلقت ، وقالوا له تدعونا ان نترك النصرانية ونصير عبيد الاعراب . فلما رأى نفرتهم وآيس من ايمانهم ، قال ردوهم علي ، فقال لهم انى قلت مقالتى أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه ، وعند ذلك كتب كتابا وأرسله مع دحية الكلبي الى رسول الله ﷺ يقول فيه انى مسلم ولكنى مغلوب ، وأرسل هدية . فلما قرأ كتابه رسول الله ﷺ قال « كذب عدو الله ليس بمسلم » وقبل هديته وقسمها بين المسلمين . هذه من رواية البخارى ، وروى ابن حبان فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه ان النبي ﷺ كتب اليه أيضا من تبوك يدعوه وانه قارب الاجابة ولم يجب

وذكر الحافظ ابن حجر فى فتح البارى عن السهيل انه بلغه ان

هرقل وضع الكتاب فى قصبة من ذهب تعظيما له وانهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند ملك الفرنج — أى ملك فرنسا — الذى تغلب على طليطلة ثم كان عند سبطه ، ثم قال لى بعض أصحابنا ان عبدالملك بن سعد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فاخرج له الكتاب فلما رآه استعبر وسأل أن يمكنه من تقبيله فامتنع . وروي عن القاضى نور الدين ابن الصائغ الدمشقي عن سيف الدين فليح المنصورى قال أرسلني الملك المنصور قلاون الى ملك الغرب بهدية فارسلنى ملك الغرب الى ملك الفرنج فى شفاعة فقبلها وعرض على الاقامة عنده فامتنعت ، فقال لى لأتحفنك بتحفة سنية فاخرج لى صندوقا مصفحا بذهب فاخرج منه مقلمة ذهب فاخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد التصقت عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم الى جدي قيصر مازلنا نتوارثه الى الآن وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا انتهى .

قال الحافظ ابن حجر ويؤيد هذا ما وقع فى حديث سعيد بن أبى راشد ان النبي ﷺ عرض على التنوخى رسول هرقل الاسلام فامتنع فقال له « يا أخا تنوخ انى كتبت الى ملككم بصحيفة فامسكوها فلن يزال الناس يجدون منه بأسا ما دام فى العيش خير » انتهى

فمن تأمل فى بحث هرقل مع أبى سفيان بن حرب فى تحقيق مبعث

رسول الله ﷺ ، وصفته ، وأتباعه ، واخلاقه ، ودعوته ، يعلم ان طرق البحث للوصول الى معرفة حقيقة الاديان والوقوف على كنه مُدّعيها غير طرق القياسات العقلية ، حيث لا يسوغ لكل إمرء ان ينبذ كل ما لا ينطبق على عقله قبل الوقوف على حقيقة ذلك الشيء وفحصه بالطرق العلمية التي يتوصل الباحث بها الى الغاية المقصودة التي يتوقف حلها على تفكر واسع ، لان هرقل أخذ يستنطق أبا سفيان بالطرق العلمية حتى وصل بحثه الى صحة نبوة رسول الله ﷺ حيث لم يكن هرقل بالارعن الذي يقيس الأمور العظام بعقله قبل التفكر والبحث عن حقيقته لأن العقل لا يمكنه ادراك الشيء قبل تصوره بالطرق العلمية والوصول الى حقيقته من كل أطرافه واشباعه فحصاً وتمحيصاً . ولذلك نجد أصحاب العقول الراقية لا يتسرعون الى نقد الشيء ونبذه قبل فحصه وتمحيصه . وأما أصحاب العقول القاصرة الذين يقيسون كل شيء قبل فحصه وتمحيصه بالطرق العلمية على عقولهم الفارغة فهم الأغبياء الحمقاء الذين لا يعبأ برأيهم ولا يعول على قولهم وهم الذين يعبر عنهم بسخفاء العقول ، وجهلاء الحقائق ، واشباه هؤلاء كثيرون في العصر الحاضر فقد أكثروا النقد والتشكيك وملؤا الدنيا بجعجعتهم وسفسطتهم وحماقتهم وجنونهم ، فلا يخجلون ولا يستحيون ، وتراهم بوقاحتهم فرحون ، وهم كما قال رسول الله ﷺ في امثالهم « اذا لم تستحي فاصنع ما شئت »

# كتابه الى كسرى

وكتب رسول الله ﷺ الى كسرى ملك فارس وكان الملك على فارس فى ذلك العصر أبروبز بن أنوشروان وذلك فى شهر ذى الحجة سنة ست من الهجرة وهو « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس » وبعث به الى كسرى مع عبد الله بن حذيفة السهمى وأمره ان يدفعه الى عظيم البحرين — الأحسا — فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قرأه مزقه فدعا عليهم رسول الله ﷺ ان يمزقوا كل ممزق . وقد مزقهم الله شر ممزق على يد خالد بن الوليد ، والمثنى بن حارثة ، وسعد بن أبى وقاص ، من أصحاب رسول الله ﷺ فى خلافة أبي بكر ، وعمر ، رضى الله عنهم أجمعين . ثم كتب كسرى الى أمير اليمن يقال له باذان أنه بلغنى ان رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الىّ برأسه ، يكتب الىّ بهذا الكتاب الذى بدأ فيه بنفسه . فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي ﷺ مع قرمانه وبعث معه رجلا آخر من الفرس وكتب معهما الى رسول الله ﷺ يأمره ان ينصرف معهما

الى كسرى . فخرجا وقدما الطائف فوجدا رجلا من قريش فسألاه عنه فقال هو بالمدينة فلما قدما عليه المدينة قالا له شاهنشاه — أي ملك الملوك — كسرى يبعث اليك باذان ان يبعث اليك من يأتي بك وقد بعثنا اليك. فان أبيت أهلكك وأهلك قومك وخرب بلادك ، فقال لهما رسول الله ﷺ « ارجعا حتى تأتياني غداً » وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا في ليلة كذا — وذلك ليلة الثلاثاء لعشر ليال من شهر جمادى الأولى سنة سبع كذا في السير — فلما كان الغد دعاهما وأخبرهما الخبر ، وكتب رسول الله ﷺ الى باذان « ان الله وعدني أن يقتل كسرى يوم كذا في شهر كذا » فلما أتى باذان الكتاب توقف وقال ان كان نبياً فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ على يد ولده شيرويه وقدم على باذان كتاب شيرويه فيه أما بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضباً لفارس فانه قتل أشرافهم فتفرق الناس فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه . فبعث باذان باسلامه واسلام من معه الى رسول الله ﷺ .

قاتل الله الغرور كم قد نحى الغرور ملوكا واناسا فهذا كسرى أخذ به الغرور كل مأخذ حتى أرسل الى عامله باليمن أن يرسل الى رسول الله

ﷺ من يستتبه أو يرسل اليه برأسه وذلك لا اشئ سوى أنه بدأ فى الكتاب بنفسه ولذلك استحق قطع رأسه ، فسلط الله عليه أعز الناس لديه وهو ابنه فقتله لا لشئ سوى غروره بنفسه تلك سنة الله فى أصحاب الغرور ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾.

## كتابه الى النجاشى

وكتب رسول الله ﷺ الى النجاشى أصحمة فى شهر ذى الحجة سنة ست من الهجرة و بعث به عمرو بن امية الضميرى رضى الله عنه وهذا نصه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشى ملك الحبشة سلم أنت فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى خلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وانى ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسول الله وإنى ادعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى » فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم أسلم ودعا بحق من عاج وجعل فيه كتاب رسول الله ﷺ ، وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين

اظهرهم . وكتب اليه ﷺ كتابا آخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، كانت زوج عبيدالله بن جحش فلما وهاجرا الى الحبشة وتنصر عبيدالله بن جحش بالحبشة وارتد ففارقها وأرسله مع عمرو بن أمية الضميري ، مع الكتاب الذي يدعوه فيه الى الاسلام . وكتب النجاشي جواب الكتاب ، وهذا نصه : بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أصحمة السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الذي لا اله الا هو الذي هداني للاسلام أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام فورب السماء والارض ان عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعث به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه — يعني جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين — فأشهد انك رسول الله ﷺ صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يده لله رب العالمين . وأعطى كتابه لعمرو بن أمية الضميري فقال له عمرو لما اخذ منه كتاب رسول الله ﷺ : يا أصحمة ان علي القول وعليك الاستماع ، انك كأنك في الرقة علينا منا ، وكأنا في الثقة بك منك لأنا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه ، ولم نحفظك على شر قط الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم ، والانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور ، وفي ذلك موقع الخير ، وإصابة الفصل ، وإلا فأنت

فى هذا النبى الأمي ﷺ كاليهود فى عيسى بن مريم عليه السلام ،وقد فرق النبى ﷺ رسله الى الناس فرجاك لما يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر منتظر : فقال النجاشي : أشهد بالله أنه للنبى الذى ينتظره أهل الكتاب ، وان بشارة موسى عليه الصلاة والسلام براكب الحمار كبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام براكب الجمل وأن العيان ليس باسفل من الخبر ، ولكن اعوانى من الحبشة قليل فانظرنى حتى اكثر الاعوان وألين القلوب ، فورد عمرو بن أمية الضمرى الى النبى ﷺ بكتاب النجاشي ، فقال النبى ﷺ «اتركوا الحبشة ماتركوكم»

فهذا هو النجاشي أصحمة الذى هاجر اليه المسلمون وتناظر عنده جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه . وعمر بن العاص وأسلم على يد جعفر وتوفى سنة تسع من الهجرة ونعاه النبى ﷺ يوم وفاته وصلى عليه بالمدينة وتولى على الحبشة بعده ملك آخر وكتب اليه النبى ﷺ ولم يؤمن ، فهذا أصحمة النجاشى ملك الحبشة ذلك الملك العظيم ، والمفكر الكبير ، الذى يستقصى الامور بحكمة ، فظهرت له الحقائق جلية لاغبار عليها فعاش سعيدا ، ومات سعيدا ، ذلك الذى يختار الخير لنفسه ولأمته ، فلو ان أمته أطاعته بالدخول فى الاسلام وتركت العصبية التقليدية العمياء لصاروا كلهم مسلمين سعداء ونالوا سعادة الدنيا والآخرة ، ولكن من أعمى الله بصره وبصيرته فلا سبيل فى ارشاده .

# كتابه الى المنذر بن ساوى

وكتب رسول الله ﷺ الى المنذر بن ساوى التميمى الدارمي مع العلاء بن الحضرمي رضى الله عنه وبعث به اليه يدعوه الى الاسلام فكتب اليه المنذر : اما بعد يا رسول الله انى قد قرأت كتابك على أهل البحرين — الاحساء — فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه ، وبأرضى يهود ومجوس فاحدث الى فى ذلك أمرك : فكتب اليه رسول الله ﷺ « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر ابن ساوى سلام عليك فانى احمد الله اليك الله الذى لا اله الا هو واشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله أما بعد فانى اذكرك الله عز وجل فانه من نصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وان رسلى قد أثنوا عليك خيرا وانى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن اقام على يهوديته فعليه الجزية » .

هذا ما رواه القسطلانى في المواهب ، وزاد الحافظ ابن حجر في الاصابة فى ترجمة المنذر انه كتب رسول الله ﷺ الى المنذر « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم له ذمة الله ورسوله وان افرض على كل رجل ليس له ارض أربعة دارهم وعباءة » قال ابن مندة كان

المنذر عامل النبي ﷺ على هجر . وقد وفد المنذر على النبي ﷺ وسيأتي ذكره في الوفود .

## كتابه الى هوذة صاحب اليمامة

وكتب رسول الله ﷺ الى هوذة بن علي بكتاب وبعث به سليط ابن عمرو العامري وهذا نصه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى وأعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت يدك » فلما قدم عليه سليط أعطاه كتاب رسول الله ﷺ مختوما فأنزله وحياه واقترأ عليه الكتاب فرد ردا ، دون رد ، فقال له سليط : ياهوذة انه سودتك أعظم حائلة — بالية — وارواح في النار — يعني كسرى حيث هو الذي سود هوذة على أهل اليمامة — وانما السيد من منع بالايمان ثم تزود بالتقوى وان قوما سعدوا برأيك فلا تشقين به وانا آمرك بخير مأمور به وانهاك عن شر منهي عنه ، آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان في عبادة الله الجنة ، وفي عبادة الشيطان النار ، فان قبلت نلت مارجوت وأمنت ماخفت وان ابيت فبيننا و بينك كشف الغطاء وهو المطلع : فقال هوذة يا سليط سودني من لو سودك تشرفت به وقد كان رأي أختبر به الأمور فقدته فاجعل لي فسحة ليرجع الي رأي فأجيبك به ان شاء الله

تعالى . وكان عند هوذة عظيم من عظماء النصارى حين جاء كتاب رسول الله ﷺ فقال له لم لا تجيبه ؟ قال أنا ملك قومي ولئن اتبعته لم أملك . فقال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخيرة لك في اتباعه ، وانه النبي العربي الذي بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وانه لمكتوب عندنا في الانجيل محمد رسول الله . وكتب هوذة الى النبي ﷺ : ما احسن ما تدعو اليه وأجله ، والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر أتبعك: وأجاز سابط بجائزة وكساه أثوابا من نسيج هجر فقدم بذلك على النبي ﷺ فأخبره وقرأ النبي ﷺ كتابه وقال «لو سألني سيابة من الارض ما فعلت ناد ، باد ، ما في يده » — يعني لو سألني قطعة من الارض ما اعطيته وانه سيهلك ويزول ما في يده — وكان عمر هوذة يومئذ مائة وخمسين سنة . فيظهر مما تقدم ان الذي منع هوذة من الاسلام هو الخوف على ملكه وقد نصحه ذلك النصراني الذي ما كان يرجى منه النصح ولكن سداد الرأي مشاع بين عموم الطوائف والاديان . فلو ان هوذة تجرد من الوهم الذي اصابه وجعله لا يعتقد في ان النبي ﷺ سيبقيه في ملكه اذا اسلم وتبعه ، لنال خير الدنيا والآخرة ، ولكن الحرص على الملك هو الذي أباد ملكه كما سيأتي ، وكثير من الناس من يحول بينهم وبين الخير شدة الحرص والوهم ، الهمنا الله الرشد والسداد في جميع الامور .

=(*)=

# كتابه الى الحارث بن أبي شمر الغسانى

وكان الحارث بن ابى شمر الغسانى ملكا على الشام من قبل قيصر الروم وكان بغوطة دمشق كثيرة المياه والشجر . فكتب رسول الله ﷺ اليه كتابا وبعث به شجاع بن وهب الأسدى رضى الله عنه وهذا نصه «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن أبى شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق فانى ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبق لك ملكك» وختم الكتاب ، قال شجاع رضى الله عنه فخرجت حتى انتهيت الى بابه فاقمت يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه انى رسول رسول الله ﷺ اليه فقال لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا وجعل حاجبه يسألنى عن رسول الله ﷺ وما يدعو اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول انى قرأت فى الانجيل واجد صفة هذا النبي بعينه فكنت اراه — اظنه — يخرج بالشام فأراه قد خرج بأرض القرظ — ورق السلم — فأنا أومن به واصدقه ، وأنا أخاف من الحارث بن ابى شمر أن يقتلنى ، فكان هذا الحاجب يكرمنى ويحسن ضيافتى ، ويخبرنى عن الحارث باليأس منه ويقول هو يخاف قيصر ، فخرج الحارث يوما وجلس وعلى رأسه التاج وأذن لى عليه فدخلت ودفعت اليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه ثم رمى به ثم قال من ينزع منى ملكى

« م ٧ ج ٣ حياة سيد العرب »

أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته على بالناس فلم يزل جالسا يعرض عليه حتى الليل وأمر بالخيل ان تعمل — تحذى — ثم قال لى اخبر صاحبك بما ترى وكتب الى قيصر يخبره الخبر ، وصاف ان كان عند قيصر دحية الكلبى رضى الله عنه بكتاب رسول الله ﷺ فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب اليه ان لا تسر اليه وأله عنه واشتغل بإيلياء — بيت المقدس — فانه نذر المشى من حمص الى بيت المقدس ماشيا شكراً لله تعالى حيث كشف عنه جنود فارس واظهر الله تعالى الروم على فارس ، ففرشوا له بسطا ونثروا عليها الرياحين وهو يمشى عليه حتى بلغ بيت المقدس ، فجاء اليه كتاب قيصر وكان شجاع مقيما كل هذه المدة ، قال شجاع فدعانى وقال متى تريد ان تخرج الى صاحبك قلت غدا فأمر لى بمائة مثقال ذهبا ووصلنى حاجبه بنفقة وكسوة وقال لى ذلك الحاجب أقرئ على النبى ﷺ منى السلام واخبره أنى متبع دينه . قال شجاع فقدمت على النبى ﷺ فاخبرته بما كان من الحارث قال « باد ملكه » وأقرأته السلام من الحاجب واخبرته بما قال فقال رسول الله ﷺ « صدق »

# غزوة خيبر

خيبر مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على نحو مائة وعشرين ميلا من المدينة شمالا وسميت خيبر باسم رجل من العماليق نزلها . قال ياقوت الحموى في معجم البلدان ان لفظة خيبر باسان اليهود ( الحصن ) ولكون هذه البقعة تشتمل على حصون سميت خيبر ، ثم قال وهي ناحية على ثمانية برد لمن يريد الشام انتهى . وسبب الغزوة هذه أن عموم اليهود الذين كانوا بالمدينة ناصبوا النبي ﷺ العداء فيها من بني قينقاع والنضير وغيرهم تحولوا اليها وأخذوا في تحريض غطفان وغيرهم من القبائل وأغروهم بالمال لحرب رسول الله ﷺ وقد تقدم كثير من أعمالهم الخبيثة التي كانوا يجرونها مع النبي ﷺ حال جوارهم له بالمدينة رغم تسامحه لهم في كثير من خبثهم وغدرهم وشراسة اخلاقهم وقبح اعمالهم ، ولم يعتبروا بما حل عليهم من النقمة والبلاء الذين صبها الله تعالى على رؤسهم بسبب حسدهم ومكرهم ونفاقهم وخيانتهم وآثارهم الفتن عليه وعلى أصحابه وتحزبهم له وتحريض القبائل على استئصاله ومن آمن معه وغير ذلك وكان من الحكمة ان لا يبقى لهم أثر . فلما تم تحالفه ﷺ مع قريش أراد ان يتفرغ من اليهود بخيبر حتى لا يبقى له عدو مجاور ويتفرغ لدعوة الأمم الى الاسلام. فخرج رسول الله ﷺ من المدينة في أواخر المحرم من السنة السابعة

للهجرة فى ألف وأربعمائة مقاتل ومائتي فارس واستخلف على المدينة نميلة ابن عبدالله الليثي وأعطى الراية البيضاء لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه وأخرج معه من النساء أم سلمة رضى الله عنها . ولما تجهز رسول الله ﷺ شق ذلك على يهود المدينة الذين هم موادعوه وعرفوا انه ان دخل خيبر أهلكهم كما أهلك بنى قينقاع والنضير وقريظة ، فدبروا مكيدة وهي أنه كان لهم دين على بعض الصحابة فلم يبق لأحد من يهود المدينة حق على أحد الا الزمه بدفعه ، وكان لأبي شحم اليهودى دين على عبدالله بن أبي حدرد أربعة دراهم فى شعير أخذه لأهله فلزمه فقال له عبدالله أقلنى فانى أرجو أن أقدم عليك فانفسك حقك ان شاء الله قد وعد الله تعالى نبيه ان يغنمه خيبر ، فقال أبو الشحم حدا وبغضا أتحسب أن قتال خيبر مثل ما تقاتلون من الاعراب فيها والنوراة عشرة آلاف مقاتل . وترافعا الى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « أعطه حقه » قال عبد الله :والذي بعثك بالحق ما أقدر عليه : قال « أعطه حقه » وكان رسول الله ﷺ اذا قال ثلاثا لم يرجع قال عبدالله فخرجت فبعت ثوبي بثلاثة دراهم وطلبت بقية حقه فدفعته اليه . ووقع غير ذلك من اليهود حتى من المسلمين منهم .

وكان رسول الله ﷺ استنفر من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المتخلفون عن غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال

« لا تخرجوا معى الا راغبين فى الجهاد فأما الغنيمة فلا » ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه « من كان مضعفا أو مصعبا فليرجع » وأمر بلالا فنادى بذلك ، فرجع ناس . ثم سار رسول الله ﷺ فسلك على (عصر) فبنى له فيها مسجدا ، ثم على (الصهباء) ثم أقبل بجيشه حتى نزل بواد يقال له (الرجيع) فنزل بين اهل خيبر و بين غطفان ليحول بينهم و بين أن يمدوهم وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ فلما سمعت غطفان بنزل رسول الله ﷺ خافوا على أموالهم وأهليهم ان يعقبهم عليها أحد من اصحاب رسول الله ﷺ فرجعوا الى اموالهم وأهليهم بعد ان خرجوا لنصرة يهود خيبر ولما كانوا فى اثناء الطريق قال رسول الله ﷺ لعامر ابن الاكوع رضى الله عنه «أنزل يا ابن الاكوع فحذ لنا من هناتك» فنزل يرتجز :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا وثبت الاقدام ان لاقينا
وألقين سكينة علينا انا اذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ « يرحمك الله » فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجبت والله يارسول الله لو امتعتنا به ، فلما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر قال «اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن

ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها ، اقدموا بسم الله » ولما اشرف الناس على واد رفعوا أصواتهم بالتكبير الله اكبر ، الله اكبر ، لا إله الا الله ، فقال رسول الله ﷺ « أربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائب انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم » ثم سار رسول الله ﷺ حتى انتهى الى (المنزلة) وهي سوق لخيبر فعرس رسول الله ﷺ بها ساعة من الليل ، وكانت يهود لا يظنون قبل ذلك أن رسول الله ﷺ يغزوهم لمنعتهم وسلاحهم وعددهم فلما أحسوا بخروج رسول الله ﷺ اليهم كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات ، وكان ذلك شأنهم فلما نزل رسول الله ﷺ بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فأصبحوا وافئدتهم تخفق وفتحوا حصونهم عادين معهم السلاح والكرازين (المكاتل) فلما نظروا رسول الله ﷺ ولوا هاربين الى حصونهم .

وكان رسول الله ﷺ من عادته اذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح فان سمع اذانا أمسك وان لم يسمع أذانا أغار فلما نزل خيبر ليلا وبات فرق ﷺ الرايات على أمراء الجيوش وكان أول استعماله الرايات في فتح خيبر ، وأما عموم الغزوات التي وقعت قبلها فكان بيد أمراء

الجيوش الألوية ، وكانت راية النبي ﷺ السوداء من برد عائشة رضي الله عنها ، فأعطى راية لأبي بكر الصديق ، وراية لعمر بن الخطاب ، وراية للحباب بن المنذر الأنصاري ، وراية لسعد بن عبادة الأنصاري ، رضي الله عنهم . وكلها بيضاء ، وراية رسول الله ﷺ هي التي كانت سوداء تدعى العقاب مربعة مكتوبا فيها (لا إله الا الله محمد رسول الله) وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ في غزوة خيبر ( يا منصور أمت ، أمت ) فلما أصبح رسول الله ﷺ لم يسمع أذانا فركب ، وركب أصحابه فاستقبلهم عمال خيبر قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوا رسول الله ﷺ قالوا محمد والله محمد والخميس معه فأدبروا هربا فقال رسول الله ﷺ « الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » وغنى رسول الله ﷺ الأموال يأخذها ملأ ، ملأ ، ويفتحها حصنا ، حصنا ، فكان أول حصونهم افتتاحا حصن ( ناعم ) وعنده قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة الأنصاري ألقيت عليه منه رحا فقتلته ثم ( القموص ) حصن بني أبي الحقيق وأصاب رسول الله ﷺ منهم صبايا منهن صفية بنت حيي بن أخطب عدو الله وعدو رسوله وعدو الاسلام والمسلمين بل وعدو اليهود لأن نصلبه جاب لهم البلاء وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وبنى عمها فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه وكان دحية الكلبي قد سأل رسول الله ﷺ صفية

فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها وفشت السبايا من خيبر في المسلمين ، وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية من حمرها ، فنادى منادي رسول الله ﷺ لا تأكلوا من لحوم الحمر شيئاً وأهرقوها ، ونهى يومئذ عن المتعة وعن اتيان الحبالى من السبايا ، وعن أكل ذي ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تقسم . وعن بيع نبر الذهب بالذهب العين ، ونبر الفضة بالورق العين .

ثم أخذ رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال وفتح بنو سهم من أسلم حصن ( الصعب ) بن معاذ وكان هذا الحصن ممتلئا بالطعام والودك — شحم السنام — ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصون خيبر ما أفتتح وحاز من الأموال ما حاز انتهوا الى حصنهم ( الوطيح ) و ( السلالم ) وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحا فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة . ولما نزل رسول الله ﷺ مع أصحابه قريبا من حصن ( النطاة ) جاءه الحباب بن المنذر الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله انك نزلت منزلك هذا ، فان كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان الرأى تكلمنا ؟ فقال رسول الله ﷺ « هو الرأى » فقال يا رسول الله ان أهل ( النطاة ) لى بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى سهم منهم ولا اعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن ، من بياتهم يدخلون فى حمرة النخل — وهو

التجمع بعضه على بعض — تحول يا رسول الله فقال ﷺ « أشرت بالرأى اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا » ودعى محمد بن مسلمة الأنصارى رضى الله عنه فقال له رسول الله ﷺ « أنظر لنا منزلا بعيداً » فطاف محمد بن مسلمة وقال : يا رسول الله وجدت لك منزلا : فقال رسول الله ﷺ « على بركة الله » وتحول فى المساء وأمر الناس بالتحول ، وكان رسول الله ﷺ عليه درعان وبيضة ، ومغفر وهو على فرس يقال له (الظرب) وفى يده قناة ، وترس ، مدة حرب خيبر ، وفي هذه المدة كان محمد بن مسلمة رضى الله عنه يذهب كل يوم للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان ابن عفان رضى الله عنه فاذا أمسى رجع الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ، فلما مضت سبع ليال على ذلك وكان ﷺ يناوب بين أصحابه فى حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فطاف عمر بأصحابه حول العسكر وفرقهم فأتى برجل من يهود خيبر فى جوف الليل فأمر عمر ان يضرب عنقه فقال اذهب بى الى نبيكم حتى أكلمه فأمسك عنه وانتهى به الى رسول الله ﷺ فوجده يصلى فسمع رسول الله ﷺ كلام عمر فسلم وأدخل عليه فدخل باليهودى فقال رسول الله ﷺ لليهودى « ما وراءك؟ » فقال تؤمنني يا أبا القاسم ؟ فقال « نعم » قال خرجت من حصن النطات من عند قوم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة . قال

« أين يذهبون » قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال وفي هذا الحصن بيت فيه تحت الارض منجنيق ، ودبابات . وأدرع ، وسيوف ، فاذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله . قال رسول الله ﷺ « ان شاء الله » قال اليهودي ان شاء الله أو قفتك عليه فانه لا يعرفه غيري وأخري . قيل وما هي ؟ قال : يستخرج المنجنيق وينصب على الشق ويدخل الرجل تحت الدبابات فيحفروا الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ، ثم قال يا أبا القسم أحقن دمي قال « أنت آمن » قال ولي زوجة فهبها لي قال « هي لك » ثم دعاه رسول الله ﷺ الى الاسلام فقال أظني أياما ؟ أما تفاصيل فتح الحصون وما وقع فيها من براز وقتال فوق ما ذكره أهل السير

(١) حصن النطاة — كان هو أول حصن فتح ، فصف رسول الله ﷺ أصحابه ووعظهم ونهاهم عن القتال حتى يأذن ثم قعد رجل من أصحابه فحمل على يهودي وحمل عليه اليهودي فقتله فقال الناس استشهد فلان فقال رسول الله ﷺ « أبعد ما نهيت عن القتال ؟ » قالوا نعم فأمر رسول الله ﷺ منادي ينادي في الناس لا تحل الجنة لعاص ، وروى الطبراني في الصغير عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال يومئذ « لا تتمنوا لقاء العدو واسئلوا الله تعالى العافية فانكم لا تدرون ما تسئلون به منهم فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا

وتواصبهم بيدك وانما تقتلهم أنت والزموا الارض جلوساً فاذا غشوكم فأبقظوا وكبروا » ثم أذن رسول الله ﷺ للناس فى القتال وحثهم على الصبر ، وقاتل ﷺ على فرسه ( الظارب ) وجعل المسلمون ينظرون تيلهم ثم يردونها عليهم ، فلما أمسى رسول الله ﷺ صار يغدوا بالمسلمين على راياتهم حتى فتح الله الحصن عليهم .

(٢) فتح حصن الصعب — لم يكن فى خيبر حصن أكثر طعاما ، وودكا وما شية ، ومتاعا ، منه وكان فيه خمسمائة مقاتل وكان الناس قد قاموا أياما يقاتلون ليس عندهم طعام الا العلف ، قال معتب الاسلمى رضى الله عنه : أصابتنا معشر أسلم مجاعة حين قدمنا خيبر وأقمنا عشرة أيام على حصن النطاة لا نفتح شيئاً فيه طعام فاجتمعت أسلم وأرسلوا أسماء بن حارثة فقالوا ائت رسول الله ﷺ فقال له ان أسلم يقرئك السلام ويقول لك انا قد جهدنا من الجوع والضعف ، فقال بريدة بن الحصيب والله ما رأيت كاليوم قط من بين العرب تصنعون هذا ، فقال هند بن حارثة أخو اسماء وأبي لارجوان يكون البعث الى رسول الله ﷺ مفتاح الخير ، فجاءه فقال يا رسول الله ان أسلم يقرئك السلام ويقول انا قد جهدنا من الجوع والضعف فادع الله تعالى فدعا لهم رسول الله ﷺ ثم قال « والله ما بيدي شئ ما أقوتهم به قد ظلمت حالهم وأنهم ليست لهم قوة » ثم قال « اللهم فافتح عليهم أعظم حصن فيها أكثره طعاما وأكثره ودكا »

ودفع اللواء الى الحباب بن المنذر رضى الله عنه وندب الناس فنهضوا فكانت أسلم أول من انتهى الى حصن ( الصعب ) وكان عليه قتال شديد فبرز رجل من يهود يقال له يوشع يدعو الى البراز ، فبرز له الحباب ابن المنذر فاختلفا ضربات فقتله الحباب ، وبرز آخر يقال له الزبان فبرز له عمارة بن عقبة الغفارى فبارزه الغفاري فضربه على هامته وهو يقول خذها وأنا الغلام الغفارى، فقال الناس : بطل جهاده . فبلغ رسول الله ﷺ فقال « لا بأس به يؤجر ويحمد » ورمى رسول الله ﷺ بسهم فما أخطأ رجلا منهم وتبسم رسول الله ﷺ وانفرجوا ودخلوا الحصن ، قال جابر رضى الله عنه أنهم وجدوا فى حصن الصعب من الطعام ما لم يكونوا يظنون انه هناك من الشعير ، والتمر ، والسمن ، والزيت ، والعسل ، والودك ، ونادى منادى رسول الله ﷺ يقول : كلوا ، واعلفوا ، ولا تحملوا : يعنى لا تخرجوا به الى بلادكم .

(٣) فتح حصن الزبير — سمي بذلك لأنه صار فى سهم الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب الى ( قلة ) الزبير حاصرهم رسول الله ﷺ ، وهذا الحصن فى رأسه ( قلة ) وهي اشبه بالبرج ، وأقام على حصارهم ثلاثة ايام فجاءهم يهودى يدعى غزال فقال يا أبا القاسم تؤمنى على أن أدلك على ما تستريح به من أهل الحصن و تخرج الشق فان اهل الشق قد هلكوا رعبا منك ، فأمنه

رسول الله ﷺ على اهله وماله ، فقال اليهودى : أنك لو أقمت شهرا مابالوا لهم ذبول تحت الأرض يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون الى قلتهم فيمتنعون منك فان قطعت عنهم شربهم أضجروا لك ، فسار رسول الله ﷺ الى ذيولهم فقطعها فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا وقاتلوا أشد قتال وقتل من المسلمين يومئذ نفر ، وأصيب من اليهود في ذلك اليوم عشرة وافتتحه رسول الله ﷺ .

(٤) فتح حصن الشق — فتحول رسول الله ﷺ الى حصن الشق وكان به حصون ذات عدد ، وكان أول حصن بدأ به منها حصن أبي فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها ( سوان ) يقاتل عليها أهل الحصن قتالا شديداً وخرج من يهود رجل يقال له غورث فدعا الى البراز فبرز له الحباب بن المنذر فاختلفا ضربات ثم حمل عليه الحباب فقطع يده اليمنى ونصف الذراع فوقع فذفف عليه ، فخرج آخر فصاح من يبارز فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش فقتل الجحشي ، وأقام مكانه يدعوا الى البراز فبرز له أبو دجانة وقد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المغفر مختال فى مشيته فبارزه أبو دجانة فقتله ثم ذفف عليه ، وأخذ سلبه ودرعه وسيفه ، وجاء به الى رسول الله ﷺ فنفله رسول الله ﷺ ذلك ، وأحجم اليهود فى البراز فكبر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه يقدمهم أبو دجانة فوجدوا فيه أثاثا ، ومتاعا ، وطعاما ،

وهرب من كان فيه من المقاتلة وافتتحوا الجدر .

(٥) فتح حصن المنزال — كان يأتى الى هذا الحصن من فر من حصن النطاة وغيره فتحصنوا به وامتنعوا فيه أشد الامتناع فزحف رسول الله ﷺ اليهم في أصحابه فقاتلهم فكانوا أشد أهل الشق رمياً للمسلمين بالنبل والحجارة ورسول الله ﷺ معهم حتى أصاب النبل فجمعها ثم أخذ لهم كفا من الحصى فحصب بها حصنهم فزحف الحصن بهم ثم ساخ في الأرض حتى جاء المسلمون فاخذوه ، هكذا فى السيرة الشامية — سبيل الهدى والرشاد — وكذلك رواه ابن اسحاق انه زحف بهم وخافوا فاقتحمه المسلمون وأخذوا من فيه أخذا ذريعا وغنموا ما فيه فوجدوا فيه آنية من نحاس وفخار كانت اليهود تستعملها للاكل والشرب فقال رسول الله ﷺ اغسلوها واطبخوا وكلوا واشربوا ثم انهزم من سلم من يهود تلك الحصون الى حصون الكتيبة

(٦) فتح حصن الكتيبة — لما فتح الله على رسول الله ﷺ حصون النطاة والصعب والشق ، انهزم من سلم منهم الى حصون الكتيبة ، وأعظم حصونها الغموص وكان حصنا منيعا ، ذكر موسى بن عيينة ان رسول الله ﷺ مكث قريبا من عشرين ليلة لم يخرج وكانت أرضا وخيمة ، قال بريدة رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ تأخذه الشقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس ،

فأرسل أبا بكر رضى الله عنه فأخذ راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد . ثم أرسل عمر رضى الله عنه فأخذ راية رسول الله ﷺ فقاتل قتالا شديداً أشد من القتال الاول ثم رجع ولم يكن فتح . ثم أعطاها في اليوم الثالث لرجل من الانصار — لم أقف على اسمه ولعله الحباب بن المنذر . أو سعد بن عبادة حسبما تقدم فى تقسيم الرايات — فقاتل وجهد ولم يكن فتح . فقال رسول الله ﷺ « لأعطين هذه الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » فبات الناس يدوكون — فى اختلاف — ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجوان يعطاها ، فقال « أين علي بن أبي طالب ؟ » فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال « فأرسلوا اليه » فذهب سلمة ابن الاكوع وأتى به يقوده الى رسول الله ﷺ فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له فبرأ ، حتى كان لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال على رضي الله عنه : اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال رسول الله ﷺ « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم أدعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم » فلبسه رسول الله ﷺ درعه الحديد وشد في وسطه سيفه ذا الفقار وأعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج علي رضى الله عنه

يهرول حتى ركز الراية تحت الحصن فاطلع عليه يهودى من رأس الحصن فقال من أنت ؟ قال : علي بن أبي طالب . فقال اليهودى : علوا ثم وحق ما أنزل على موسى . ثم خرج اليه أهل الحصن ، وكان أول من خرج منهم اليه الحارث أخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون وثبت علي رضى الله عنه فتصارعا فقتله علي بن أبي طالب وانهزم اليهود الى الحصن . ثم خرج ياسر فبرز وهو يقول

قد علمت خيبر اني ياسر شاكى السلاح بطل مقادر
اذا الليوث أقبلت تبادر وأحجمت عن صولة تسامر
ان حسامى فيه صوت حاضر

وكان من أشد يهود بطشا وشجاعة وكان معه حربة يحوش الناس بها حوشا فبرز له علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال له الزبير بن العوام رضى الله عنه أقسمت عليك الا خليت بينى وبينه ، ففعل فقالت صفية بنت عبد المطلب أم الزبير لما خرج اليه الزبير يا رسول الله يقتل ابنى ؟ فقال رسول الله ﷺ « بل ابنك يقتله ان شاء الله » فبرز له الزبير رضى الله عنه وهو يقول

قد علمت خيبر أنى زبار قرم لقوم غير نكس فرار
أبن حماة المجد والاخيار ياسر لا يفرك جمع الكفار
فجمعهم مثل الثواب الجاري

فاشتد بينهما القتال فقتل الزبير بن العوام رضى الله عنه ياسراً فقال رسول الله ﷺ للزبير « فداك عم وخال ان لكل نبى حوارى وحوارى الزبير » كذا فى سبيل الهدى والرشاد ( السيرة الشامية ) ونقل ذلك عن محمد بن عمر وفى رواية ان الذي قتل ياسراً علي بن أبي طالب

ثم خرج ملك خيبر ( مرحب ) من حصنهم قد لبس درعين وبيضة من حجر ومغفر وبيده رمحه وسيفه يتخطر ويرتجز وهو يقول

قد علمت خيبر انى مرحب  شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز عامر بن الاكوع فقال يرتجز

قد علمت خيبر انى عامر  شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه أي مات. قال سلمة ابن الاكوع رضى الله عنه فاذا نفر من أصحاب النبى ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فاتيت النبى ﷺ وأنا أبكي فقلت يارسول الله بطل عمل عامر — يعنى انه قتل نفسه فمات كافرا من الضربة التى قصد بها قتل مرحب فعاد عليه سيفه فقطع عرقه الاكحل وكان سبب موته — فقال له رسول الله ﷺ « من قال ذلك؟ » قال سلمة قلت: ناس من أصحابك: قال « كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين . » ثم أقبل مرحب وهو يرتجز قوله الاول

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وأحيانا أضرب اذا الليوث أقبلت تحزب
ان حماى للحمى لا يقرب

ثم قال من يبارز فخرج اليه علي بن أبي طالب وهو يرتجز ويقول

أنا الذى سمتنى أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة
أوفيهم بالصاع كيل السندرة

قال سلمة بن الاكوع فضرب رأس مرحب فقتله — هذه رواية مسلم في صحيحه — وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه عند والدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية ، فسمته لما ولدته ( أسداً ) باسم أبيها وكان أبو طالب غائبا فلما حضر غير اسمه فسماه ( علياً ) ولذلك قال في رجزه ( أنا الذى سمتنى أمى حيدرة ) وحيدرة من اسماء الاسد . واشترك محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله عنه في قتل مرحب وذلك لما طلب مرحب المبارزة قال رسول الله ﷺ « من لهذا » فقال محمد ابن مسلمة : أنا له يا رسول الله أنا والله الوتور الثائر قتل أخي بالأمس : قال « قم اليه اللهم أعنه عليه » فلما دنى أحدهما من صاحبه كالاذ به انقطع صاحبيهما دونه منهما حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرحى ثم حمل مرحب على محمد فضربه فالتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت به فأمسكته وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله ، هذا ما رواه أصحاب المغازى ومنهم

ابن اسحاق ، وفي رواية ابن اسحاق وغيره الذي بارز مرحبا وارتجز هو كعب بن مالك ولكن العمدة على رواية مسلم عن سلمة بن الاكوع المتقدم ، وقد قسم رسول الله ﷺ سلب مرحب بين علي بن أبي طالب ومحمد ابن مسلمة رضي الله عنهما ، وهذا أعظم دليل على اشتراك الاثنين فى قتل مرحب والله اعلم

كان رجل اسمه أسلم أجيرا لرجل من يهود يرعى غنمه وكان عبداً حبشياً فجاء الى رسول الله ﷺ وهو محاصر خيبر وقال يا رسول الله أعرض علي الاسلام ؟ فعرضه عليه فأسلم فلما اسلم قال : يا رسول الله انى كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك فقال له رسول الله أضرب فى وجهها فانها سترجع الى ربها . فقام أسلم فأخذ حفنة من حصباء فرمي بها فى وجهها وقال ارجعى الى صاحبك فو الله لاأصحبك ، فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم أسلم الى ذلك الحصن فقاتل مع المسلمين فأصابه سهم فقتله ولم يسجد لله سجدة ، فاتي به الى رسول الله ﷺ فقال « لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام في نفسه حقاً » فهذا هو الذي أسلم ودخل الجنة ولم يعبد الله بغير الجهاد حيث لم يدخل وقت صلاة الظهر أو العصر بين اسلامه و بين قتله ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾

روى ابن اسحاق عن ابى رافع مولى رسول الله ﷺ قال خرجنا

مع علي بن ابي طالب رضى الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ برايته فلما دنى من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطاح ترسه من يده فتناول علي بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده حين فرغ فلقد رأيتنى فى نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فلم نقلبه . ثم لما فتح الله تعالى على رسوله ﷺ ذلك الحصن العظيم فوجدوا فيه شعيراً ، وتمراً ، وسمناً ، وعسلا ، وسكراً ، وزيتاً ، وودكا ، وشيئاً كثيراً ونادى منادى رسول الله ﷺ كلوا واعلفوا ولا تحملوا ووجد آلة حرب دبابات ، ومنجنيقا ، ودروعا ، وسيوفا .

وكانت حصون الكتيبة ثلاثة حصون القموص ، والوطيح ، وسلالم ، والذي فتح منهم ( القموص ) وهو أعظمهم

(٧) حصن الوطيح — سمى باسم الوطيح بن مازن رجل من ثمود وكانت ثمود قريبة من خيبر لان منازلهم فى مدائن صالح

(٨) حصن السلالم — وهو حصن بنى الحقيق آخر حصون خيبر ومكث رسول الله ﷺ وأصحابه على حصارها — الوطيح ، والسلالم — بضعة عشر يوما فلم يخرج أحد منهما فهم رسول الله ﷺ ان يجعل عليهم المنجنيق ولم يرم به فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها

بذراريهم وان لا يصحب أحد منهم الا ثوبا واحدا وكان الذي مشى بالصلح بينهم وبين رسول الله ﷺ محيصة بن مسعود اخو بني حارثة فصالحهم على ذلك وعلى ان ذمة الله ورسوله بريئة منهم ان يكتموه شيئاً من متاعهم يسألهم عنه . فعلم ان حصون خيبر فتحت عنوة الا الحصنين الاخيرين وهما الوطيح والسلالم فانهما فتحا صلحاً فصارا فيأ لرسول الله ﷺ فوجد في الحصنين المذكورين مائة درع ، وأربعمائة سيف ، وألف رمح ، وخمسمائة قوس عربية بجعابها ، ووجد المسلمون فيما غنموه صحائف متعددة من التوراة فجاء يهود تطلبها فامر رسول الله ﷺ بدفعها اليهم . وغيبوا الجلد الذي كان فيه حلي ابن النضير من عقود الدر والجواهر التي حلوابها من المدينة وكان لسلام بن أبي الحقيق، حيث كان يقول ان هذا الجراب المملوء بالدر والجواهر أعددناه لرفع الأرض وخفضها — فقد هلك بغروره ولم ينفعه ذلك الجراب ، ولا غيره بل ولا حصونهم المنيعة ، ولا ألآتهم الحربية من منجنيق و (دبابات) ودروع ، ورماح ، وسيوف ، ولا عددهم وكثرتهم أمام جند الله الذي لم يبلغ عشرهم — وأتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع وكان عنده ذلك المجلد المحتوى على كنز بني النضير فسأله عنه فجحد ان يكون عنده أو يعرف مكانه فأتى رسول الله ﷺ برجل من يهود اسمه ثعلبة فقال لرسول الله ﷺ اني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله ﷺ

لكنانة « أرأيت ان وجدناه عندك أأقتلك ؟ » قال نعم ، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض الكنز ثم سأله عما بقي فأبى ان يؤديه فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام رضي الله عنه فقال « عذبه حتى تستأصل ماعنده فعذبه الزبير حتى اشرف على الموت فلم يدلهم على الباقي فدفعه رسول الله ﷺ الى محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه فضرب عنقه بأخيه محمود الذي ألقى عليه يهود خيبر الرحاة فقتلته . فقوم الذي وجدوه من الكنز بعشرة آلاف دينار ، وكان الذي وجدوه أساور ودمالج ، وخلاخيل وأوقية ، وخواتم الذهب ، وعقود الجواهر والزمرد ، وعقود أظفار مجزع بالذهب . وهذه القيمة التي قدرت لتلك الجواهر هي بحسب ذلك العصر واما بنسبة هذا العصر فلو وجدت الآن لبلغت قيمتها الملايين .

فلما نزل أهل خيبر على ذلك الصلح سأل رسول الله ﷺ بعضهم ان يعاملهم في الاموال على النصف وقالوا نحن أعلم بها منكم وأعمر لها فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف « على انا اذا شئنا ان نخرجكم أخرجناكم » فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر فيأ بين المسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب . وكان فتح خيبر في شهر صفر سنة سبع من الهجرة .

# وضع السم فى الشاة

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب ابنة الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية . وقد سألت أى عضو من الشاة أحب الى رسول الله ﷺ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعته بين يدى رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها وكان معه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فأساغها — ابتلعها — وأما رسول الله ﷺ فلفظها — تفلها — ثم قال «ان هذا العظم ليخبرنى انه مسموم» ثم دعا بها فاعترفت فقال «ما حملك على ذلك ؟» قالت بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر بن البراء الانصارى رحمه الله ورضي عنه من أكلته التى أكل فأمر رسول الله ﷺ بقسيم الغنائم فقسمت وامر بالرحيل .

قلنا غير مرة ان اليهود لا يعتبرون بما نزل عليهم من سخط الله ولا بنكبات الدهر التى حلت بهم وهنا يعمل المصلحون مع اليهود من التسامح والعفو فلا يسلمون من غدرهم ، قضى أمر خيبر بما قضى من الصفح عن مقاتلتهم وذراريهم والاذن لمن اراد أن يرتحل الى الشام ، وأما من

أراد البقاء فاعطيت لهم الاراضي بما احتوت عليه من نخيل ومزارع على ان يقوموا بفلاحتها ولهم نصف المال . فما كان من زينب بنت الحارث الا انها وضعت السم في شاة وقدمتها لرسول الله ﷺ لتقتله غدرا ثم عفى عنها بعذر واهٍ وقد مات من ذلك السم رجل من اجلاء الأنصار وهو بشر بن البراء رضي الله عنه ، ثم يقال عن نبي الاسلام انه عامل اليهود بالقسوة والشدة والجبروت ، ان هذا لهو الافتراء والكذب على الله ورسوله والمؤمنين ، والله ما أظن ان التاريخ سجل لأحد من الخلق من التسامح والعفو ما سجله لرسول الله ﷺ . فذهب ذلك الصحابي الجليل ضحية امرأة يهودية أرادت أن تضحي من هو أجل منه وأعظم ، ولم تعاقب على الاقل بالتأديب ، بل عفى عنها ذلك النبي الكريم ﷺ الذي لم يعترف له بهذه المكرمة كل حسود فاجر ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يجعل للامم المنحطة والانفس الدنيئة صفة من صفاة الكمال لأن الاعتراف بالجميل هو من صفات الافاضل لا من صفاة الانذال . فالغادر ، والماكر ، والشرير ، والحسود ، والدنيء لا يرضيه شيء ولا يعترف لاحد بفضل مهما عظم قدره ، وعلا كعبه ، بل ان من طباع الانذال انهم لا يعرفوا للمكرمات قيمة مهما بذل لهم من المعروف والاحسان لان طباعهم الخبيثة تمنعهم عن ذلك ، وكل العصور لا تخلو من أمثال هؤلاء .

# زواجه على صفية

## بنت حيّ

صفية بنت حيي بن اخطب عدو الله ورسوله والمؤمنين أصبحت من أمهات المؤمنين وزوجة سيد المرسلين ، هذا أمر عجيب ما أظنه وجد فى أمة من الامم غير الامة الاسلامية . وذلك ان المرأة لا تخطب الا لجمالها أو مالها ، أو لشرفها ، أو لفضلها ، أو للمجاملة مع عائلتها ، أو لسياسة اقتضت ذلك . فصفية بسبب أن والدها أعدى عدو لرسول الله ﷺ أفقدها كل هذه الصفات بالنسبة لرسول الله ﷺ وكانت صفية مع ذلك من ضمن السبايا ولكن ماهو الداعى لزواج رسول الله ﷺ بها مع ان عنده عدد وافر من الزوجات الذين هن من أشرف بيوت العرب ومهما يكن الحال فما هنا داعى يضطره الى ان يتزوج ابنة اعدى عدوه ، فظهر ان الذى دعا رسول الله ﷺ الى الزواج بصفية هو مجرد الشفقة بتلك الارملة التى أصبحت بسبب شقاء ابيها لاجاه ، ولا مال ، ولا فضل ، ولا مجاملة لها ، فلم ترث من ابيها أشقى الأولين والآخرين غير السبي وذلة الرق ، هذه سنة نبي الاسلام في معاملة ألدّ اعدائه . فبرهن للعالم أجمع أن لا عداوة له وخصومة فى الحياة الدنيا مع أحد من خلق الله ، وانما يغضب لله ، ويرضى لله ، فقد أخذته الشفقة والرأفة بتلك الأرملة اليهودية المسنة

التى صارت من ضمن الاماء فلم يكتف بعتقها فحسب ، بل رفعها الى اعلا ما تطمع فيه المرأة فجعلها من امهات المؤمنين ، فهذه هي الاخلاق المقدسة التى فاقت طوق البشر ، و بذلك فليقتد المقتدون ، وليعمل العاملون ، ثم ليخجل المفترون ، وليسحق الافاكون ، أولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذابا أليما ، الذين يفترون الكذب على الاسلام و نبي الاسلام فى معاملته مع اليهود أولئك الكفرة الفجرة الماكرون المخادعون الذين لاخلاق لهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب أليم ، فلو ان أولئك المنافقون قدّروا هذه المكرمة لرسول الله ﷺ حق قدرها فى كونه تزوج بصفية بنت اعدا عدوله وهى اسيرة عنده لعلموا ان هذه المكرمة لانظير لها فى العالم اجمع لخجلوا من مفترياتهم ولكن من أعمى الله تعالى بصيرته فلا هادي له .

كانت صفية رأت قبل ذلك ان القمر وقع فى حجرها فذكرت ذلك لأمها فلطمت وجهها وقالت انك تمدين عنقك الى ان تكوني عند ملك العرب فلم يزل الاثر فى وجهها حتى أتى بها رسول الله ﷺ فسألها عنه فاخبرته . ولم يخرج رسول الله ﷺ من خيبر حتى طهرت صفية من حيضها فحملها وراءه فلما صار الى منزل على ستة أميال من خيبر مال يريد ان يعرس بها فأبت عليه فوجد فى نفسه ، فلما كان بالصهباء وهى على بريد من خيبر نزل بها هناك فشطتها أم سليم وعطرتها ، قالت أم سنان الاسلمية

وكانت من أضوء مايكون من النساء تعنى صفية فدخل رسول الله ﷺ على أهله فلما أصبح سألتها عما قال لها فقالت قال لى ماحملك على الامتناع من النزول اولا فقلت خشيت عليك من قرب اليهود ، فزادها ذلك عنده وكانت لم تبلغ سبع عشرة سنة يوم دخلت على رسول الله ﷺ ، وكان صداقها عتقها ، فلما دخل رسول الله ﷺ على صفية فى قبة له بات أبو أيوب خالد بن سعيد الأنصارى رضى الله عنه متوشحا سيفه يحرس رسول الله ﷺ ويطيف بالقبة حتى أصبح رسول الله ﷺ فلما رأى مكانه قال « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال : يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك : فقال رسول الله ﷺ « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى » وهذا اعتراف من رسول الله ﷺ بالجميل لابى أيوب لأنه دفعه دافع الحبة والنخوة والايمان ان يبيت طول ليله يحرس رسول الله ﷺ خوفا عليه من الغدر .

## فى طريقه الى المدينة

فسار رسول الله ﷺ الى المدينة فلما كان ببعض الطريق قال من آخر الليل «من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟» قال بلال أنا يارسول الله احفظ عليك فنزل رسول الله ﷺ ونزل الناس فناموا وقام بلال

يصلى فصلى ما شاء الله عز وجل ان يصلى ثم استند الى بعيره واستقبل الفجر برمقه فغفلت عينه فنام فلم يوقظهم الا مس الشمس وكان رسول الله ﷺ اول أصحابه هب فقال « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » قال يارسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك قال « صدقت » ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس ثم أمر بلالا فأقام الصلاة فصلى رسول الله ﷺ بالناس فلما سلم اقبل على الناس فقال « اذا نسيتم الصلاة فصلوها اذا ذكرتموها فان الله تبارك وتعالى يقول اقم الصلاة لذكرى » هذا ما رواه ابن اسحاق . واما رواية الصحيحين « من نسى صلاة أونام عنها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها » وفى صحيح مسلم « من نسى صلاة فليصليها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك — قال قتادة — وأقم الصلاة اذكرى » وفي رواية له « اذا رقد احدكم عن الصلاة أوغفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول أقم الصلاة اذكرى »

## اسماء من استشهد بخيبر

فاستشهد بخيبر من اصحاب رسول الله ﷺ (١) ربيعة بن أكثم ابن صخيرة بن عمرو الاسدى (٢) ثقيف بن عمرو العدوانى (٣) رفاعة ابن مسروح الاسدى (٤) عبدالله بن الحبيب بن سحيم الليثى (٥) بشر ابن البراء بن معرور الانصارى (٦) فضيل بن النعمان الانصارى

(٧) مسعود بن سعد بن قيس الانصارى (٨) محمود بن مسلمة الانصارى (٩) أبو ضياح بن ثابت بن النعمان الانصارى (١٠) الحارث بن حاطب الانصارى (١١) عروة بن مرة بن سراقة الانصارى (١٢) أوس بن القائد الانصارى (١٣) أنيف بن حبيب الانصارى (١٤) ثابت بن ثالة الانصارى (١٥) طلحة غير منسوب من بنى عمر بن عوف الاوسى (١٦) عمارة بن عقبة الغفارى (١٧) عامر بن الاكوع الاسلمى (١٨) الاسود الراعى واسمه اسلم تقدمت ترجمته وأنه اسلم ومات شهيدا ولم يعبد الله بغير الجهاد .

فهؤلاء الذين استشهدوا بخيبر من المهاجرين والأنصار ثمانية عشر رجلا من ابطال الاسلام قد كتب الله لهم الشهادة فى فتح خيبر ، ولم يكن لليهود موقف قتال وقفوه مع المسلمين غير موقف خيبر فهو الذى قاتلوا فيه وبارزوا الفرسان حيث قدمضت غزوة بنى قينقاع ، والنضير ، وقريظة ، فسلموا بغير قتال ولا برز منهم أحد فى ميدان الوغي وطلب البراز في غير خيبر . وكذلك لم أقف على اسماء من قتل من اليهود بخيبر غير الذين برزوا فى الميدان وهم لا يتجاوزون عدد الاصابع ، وقد عرفت أسماؤهم فى القصة ، ولهذا السبب لم اذكر أسماء من قتل من اليهود بخيبر كما قد ذكرت أسماء من قتل من المشركين يوم بدر ، وأحد ، والخندق وغيرها ممن قتلوا فى الغزوات والسريات والله أعلم .

# حديث الحجاج بن علاط

هو الحجاج بن علاط بن خالد السلمي ثم الفهري . كان سبب اسلامه أنه خرج في ركب من قومه الى مكة فلما جن عليه الليل استوحش فقام يحرس أصحابه ويقول :

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي حتى أعود سالما وركبي

فسمع قائلا يقول ( يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ) فلما قدم مكة أخبر بذلك قريشا فقالوا له يا أبا كلاب از هذا فيما زعم محمد انه أنزل عليه ، قال فسأل عن النبي ﷺ فقيل له هو بالمدينة فقدم على النبي ﷺ وهو بخيبر فأسلم وشهد مع رسول الله ﷺ خيبر وانا فتحت خيبر كلم رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ان لي بمكة مالا عند صاحبتي — امرأته أم شيبة بنت أبي طلحة وكانت عنده له منها ولد اسمه معرض ابن الحجاج — ومالا متفرقا في تجارة أهل مكة فأذن لي يارسول الله ؟ فأذن له ، قال : انه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول ؟ قال « قل » قال الحجاج رضي الله عنه : فخرجت حتى اذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون الاخبار ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ وقد بلغهم أنه قد سار الى خيبر وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفا

ومنعة ورجالا فهم يتجسسون الأخبار ويسألون الركبان ، فلما رأوني قالوا الحجاج بن علاط (ولم يكونوا علموا بأسلامي) عنده والله الخبر أخبرنا يا أبا محمد فانه قد بلغنا ان القطاع — يعنى النبي ﷺ — قد سار الى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز ، قلت قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم ، قال : فالتبطوا بجنبى ناقتى يقولون إيه يا حجاج ، قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، واسر محمد أسرا ، وقالوا لا تقتله حتى نبعث به الى اهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان اصاب من رجالهم ، فقاموا وصاحوا بمكة وقالوا قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين اظهركم قلت أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى فانى اريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار الى هنالك من فل محمد ، فقاموا فجمعوا لى مالى كأحث جمع سمعت به وجئت صاحبتى فقلت مالى وقد كان لى عندها مال موضوع لعلى الحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل ان يسبقنى التجار . فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وما جاءه عنى أقبل حتى وقف الى جنبي وانا فى خيمة من خيام التجار ، فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذى جئت به ؟ فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال نعم قلت فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى ، فانصرف عنى حتى افرغ ، قال حتى اذا فرغت

من جمع كل شيء كان لي بمكة واجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى الطلب ثلاثا ثم قل ما شئت قال افعل ، فقلت فاني والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم يعني صفية بنت حيي ، ولقد افتتح خيبر وانتقل ما فيها وصارت له ولاصحابه ، فقال ماتقول ياحجاج ؟ قلت : أي والله فأكتم عني ، ولقد أصلت وما جئت الا لآخذ مالي فرقا من أن أغلب عليه ، فاذا مضت ثلاث فاظهر أمرك فهو والله على ما تحب . قال حتى اذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى اتى الكعبة فطاف بها ، فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة : قال : كلا والله الذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه. قالوا من جاءك بهذا الخبر؟ قال : الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما فأخذ ماله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه ، قالوا يا عباد الله انفلت عدو الله أما والله لو علمنا لكان لنا وله شان.قال ولم ينشبوا ان جاءهم الخبر بذلك.

هذه عادة الله جرت في خلقه ان العدو يسره خذلان من يبغضه ويسيئه فوز من يكرهه ، فانظر الى حال قريش حين سمعت من الحجاج ما سمعت بنكبة رسول الله ﷺ التي اختلقها الحجاج لتخليص ماله وما اوجده ذلك الخبر من السرور في نفوسهم و كيف تبدل سرورهم كمداً

وكذا حين زيف لهم العباس رضى الله عنه ذلك الخبر المختلق ، وليس هناك سبب يجعل مشركى قريش يُسَرُّون بنكبة رسول الله ﷺ غير الشرك والحسد ، فهذا المرض العضال الذى أوجب لهم ذلك السرور المؤقت والكمد الدائم ، فلو كان عندهم فكر ثاقب ونخوة عربية صميمة لما سُرُّوا بالنكبة المختلقة بفوز اليهود على ابناء عمهم وقومهم وعشيرتهم ، ومهما يكن بينهم وبين رسول الله ﷺ من البغض والحقد والحسد الذي سببه الشرك فلا ينبغي ان يكونوا مسرورين بفوز اليهود المختلق على بنى عمهم وقومهم وعشيرتهم ولكن الغباوة ، والحماقة ، والجنون ، جعلتهم لا يفهمون ولا يدركون وهم عن الواجب غافلون ، فاذا كانوا مسلوبين الايمان فلا بد ان يكون فيهم شئ من النخوة العربية والحمية القومية تجعلهم يغارون على عروبتهم وترى كثيرا من الناس موجودون فى العصر الحاضر على ذلك المبدأ يسرهم فشل اخوانهم فى الدين الاسلامي ، أو في الجنسية ، لاجل تنافس شخصى أو تخالف بسيط فى العقيدة أو المذهب . مع ان الواجب يقضى عليهم ان يكونوا فى صف واحد ضد العدو الاجنبي فى الجنس والدين ، ويتناسوا كل شئ وقع فيما بينهم . اللهم الهمنا الرشد وأصلح فساد قلوبنا .

---

« م ٩ ج ٣ حياة سيد العرب »

# تقسيم اموال خيبر

فقسم رسول الله ﷺ أموال خيبر فجعل الشق ، والنطاة ، فى سهمين المسلمين ، وجعل الكتيبة خمس الله وسهم النبى ﷺ وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطعم أزواج النبى ﷺ وطعم رجال مشوا بين رسول الله ﷺ و بين أهل قدك بالصلح منهم محيصة بن مسعود فاعطاه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقا من شعير ، وثلاثين وسقا من تمر ، وقسمت خيبر على أهل الحديبية من شهد خيبر ومن غاب عنها ولم يغب عنها الا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري ، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها ، وكان واديها ، وادي السرير ، ووادي خاص هما اللذان قسمت عليها خيبر وكانت نطاة ، والشق ثمانية عشر سهما نطاة من ذلك خمسة أسهم والشق ثلاثة عشر سهما ، وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم الرجال ألف وأربعمائة والخيل مائتا فرس فلكل فرس سهمان فصار للخيل أربعمائة سهم فجعل كل مائة رجل سهما فكانت ثمانية عشر سهما وجعل على كل مائة سهم رأساً (١) فكان علىّ بن ابي طالب رأساً (٢) الزبير بن العوام (٣) طلحة بن عبيد الله (٤) عمر بن الخطاب (٥) عبد الرحمن بن عوف

(٦) عاصم بن عدى اخو بنى العجلان (٧) أسيد بن حضير (٨) سهم ابن الحارث بن الخزرج (٩) سهم ناعم (١٠) سهم بنى بياضة (١١) سهم بنى عبيدة (١٢) سهم بنى حرام من بنى سلمة (١٣) سهم عبيد بن أوس أحد بنى حارثة السهام (١٤) سهم ساعدة (١٥) سهم غفار ، وأسلم (١٦) سهم النجار (١٧) سهم حارثة (١٨) سهم أوس .

فكان اول سهم خرج من خيبر بنطاة سهم الزبير بن العوام وهو ( الخوع ) وتابعه ( السربر ) ثم كان الثانى سهم ( بياضة ) ثم كان الثالث سهم ( أسيد ) ثم كان الرابع سهم ( بنى الحارث بن الخزرج ) ثم كان الخامس سهم ( ناعم ) ابنى عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم وفيه قتل محمود بن مسلمة . فهذه أسهم حصن نطاة الخمسة ثم هبطوا الى حصن الشق فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى أخى بنى العجلان ومعه كان سهم رسول الله ﷺ ، ثم الثانى سهم عبد الرحمن ابن عوف ، ثم الثالث سهم ساعدة ، ثم الرابع سهم النجار ، ثم الخامس سهم على بن ابى طالب ، ثم السادس سهم طلحة بن عبيدالله ، ثم السابع سهم غفار ، وأسلم ، ثم الثامن سهم عمر بن الخطاب ، ثم التاسع سهم بنى عبيد وبنى حرام ، ثم العاشر سهم حارثة ، ثم الحادى عشر سهم عبيد السهام ، ثم الثانى عشر سهم أوس ، ثم الثالث عشر سهم اللفيف ، جمعت اليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب ، وكان حذوه سهم

رسول الله ﷺ الذى أصابه فى سهم عاصم بن عدى .

ثم قسم رسول الله ﷺ الكثيبة وهى واد خاص بين قرابته وبين نسائه وبين رجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته رضى الله عنها مائتى وسق ، ولأبى بكر الصديق رضى الله عنه مائة وسق ، ولعقيل بن أبى طالب رضى الله عنه ، مائة وسق وأربعين وسقا ، ولعلى بن أبى طالب رضى الله عنه مائة وسق ، ولأسامة بن زيد رضى الله عنه مائتى وسق ، وخمسين وسقا من نوى ، ولعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها مائتى وسق ، ولجعفر بن أبى طالب رضى الله عنه خمسين وسقا ، ولربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ مائة وسق ، وللصلت بن مخرمة وابنه مائة وسق للصلت منها أربعين ، ولأبى نبقة خمسين وسقا ، ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقا ، ولقيس بن مخرمة ثلاثين وسقا ، ولأبن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقا ، ولمسطح بن أثاثة وابن الياس خمسين وسقا ، ولأم رميثة أربعين وسقا ، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا ، ولبحينة بنت الحارث ثلاثين وسقا ، ولعبير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب ثلاثين وسقا ، ولجمانه بنت أبى طالب ثلاثين وسقا ، ولضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب أربعين وسقا ، ولصفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام اربعين وسقا ، فكل هؤلاء من بنى هاشم وبنى المطلب وبعضهم كان بمكة ولم يسلم

الا بعد فتح مكة فجعل رسول الله ﷺ مما خصه لهؤلاء الأقربين يستلمونه سنويا من حصاد خيبر . ولأبن الأرقم خمسين وسقا ، ولحمنة بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق أربعين وسقا ، ولأبن أبي خنيس ثلاثين وسقا ، ولأم طالب أربعين وسقا ، ولأبي نضرة عشرين وسقا ، ولنميلة الكلبي خمسين وسقا ، ولعبدالله بن وهب وابنته تسعين وسقا ، لأبنته منها أربعين وسقا ، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولملكو بن عبدة الأنصاري ثلاثين وسقا ، ولنسائه ﷺ سبعمائة وسق ، من قمح وشعير وتمر ونوى وغير ذلك . قسمه ﷺ عليهم على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى عبد المطلب الكثير ولهذا أعطاهم أكثر .

هذا ما ذكره ابن هشام ابن اسحاق وزدت عليه ايضاحا من الاصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلانى . وأما الوسق فهو ستون صاعا عن ثلاثمائة وعشرين رطلا حجازيا ، أو أربعمائة وثمانين رطلا عراقيا . وأصل الوسق هو حمل البعير هذا ما ذكره ابن الأثير فى النهاية ، والظاهر ان الوسق يعادل مائة وثمانية وعشرين أقة ، أو مائة وأربعة وستين كيلو والله أعلم .

وروى ابن هشام عن ابن اسحاق عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب الزهرى عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال لم يوص

رسول الله ﷺ عند موته الا بست ، أوصى للمرهاويين بجاد مائة وسق من خيبر ، وللداريين بجاد مائة وسق من خيبر ، وللسبائيين بجاد مائة وسق من خيبر ، وللاشعريين بجاد مائة وسق من خيبر ، وأوصى بتنفيذ بعث اسامة بن زيد بن حارثة وان لا يترك بجزيرة العرب دينان . وقوله ( بجاد ) هو حين جداد النخل وحصاد الزرع يعطى لمن أوصى له به .

## أمر فدك

بعث رسول الله ﷺ محيصة بن مسعود الى اهل فدك وهي على ستة اميال من المدينة يدعوهم الى الاسلام . قال محيصة فجئتهم فجعلوا يثرثرون ويقولون ان بخيبر عشرة آلاف مقاتل فيهم عامر ، وياسر ، والحارث ، وسيد اليهود مرحب ، ما ترى ان محمدا يقرب اليه فمكثت عندهم يومين ثم أردت الرجوع فقالوا نحن نرسل معك رجالا منا يأخذون لنا الصلح كل ذلك وهم يظنون انه ﷺ لا يقدر على فتح خيبر حتى جاءهم أناس من حصن ناعم وأخبروهم ان رسول الله ﷺ فتحه . فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب فى قلوب اهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر فبعثوا الى رسول الله ﷺ رجلا من رؤسائهم يقال له نون بن يوشع يصالحونه على النصف من فدك فقدم عليه رسولهم بخيبر أو بالطريق قبل ذلك منهم فكانت لرسول

ﷺ خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب فلم يقسمها ووضعها حيث أمره الله تعالى .

## الداريون

وأما الداريون الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر فهم بنو الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم الذين ساروا الى رسول الله ﷺ من الشام وهم (١) تميم بن أوس (٢) نعيم بن أوس أخوه (٣) يزيد بن قيس (٤) عرفة بن مالك سماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن (٥) أخوه مروان بن مالك (٦) فاكهة بن نعمان (٧) جبلة بن مالك (٨) أبو هند بن بر (٩) أخوه الطيب بن بر ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله . فهؤلاء الذين ذكر اسماءهم ابن هشام عن ابن اسحاق .

## غزوة وادى القرى

وذلك عند منصرف رسول الله ﷺ من خيبر أتى وادى القرى وكان اهله يهودا فدعاهم الى الاسلام فامتنعوا من ذلك وقاتلوا وبرز رجل منهم وطلب البراز فخرج اليه الزبير بن العوام رضى الله عنه فقتله فبرز منهم رجل فطلب البراز فخرج اليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقتله ، ثم برز رجل ثالث وطلب البراز فخرج اليه أبو دجانة رضى الله عنه فقتله ، ثم اشتبك القتال بينهم على الماء فقتل المسلمون منهم احدى

عشر رجلا ففتحها رسول الله ﷺ عنوة وغنمه الله تعالى أموال أهلها وأصاب المسلمون منهم أثاثا ومتاعا وخمّسه رسول الله ﷺ وترك الارض والنخل فى أيدى من بقى من أهلها وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر ومنّ رسول الله ﷺ على يهود ولم يستأصلهم قتلا ولم يقتل منهم سوى الاحدى عشر رجلا فى حومة الوغى وترك فى ايديهم أراضى وادى القرى والبساتين والحدائق يعملون فيها ويأخذون الأجر، ومن ذلك يتضح ان رسول الله ﷺ لم يعامل اليهود بالقسوة كما يقول اعداء الاسلام بل كانت القضية بالعكس وسياق السيرة شاهد على ذلك . ولكن اليهود لا يرضيهم شيئاً ، ولا يتركون الغدر متى سنحت لهم الفرصة لأنهم جبلوا على المكر والغدر وصار طبيعى فيهم سابقا ولاحقا وفى كل عصر ومصر .

## أهل تيماء

ولما بلغ أهل تيماء ما فعل رسول الله ﷺ بأهل خيبر وفدك ووادى القرى صالحوه على الجزية ما قاموا ببلادهم وأرضهم فى أيديهم . ولم يقتل من المسلمين بوادى القرى غير عبد لرسول الله ﷺ وهو الاسود الذى كان يرحل لرسول الله ﷺ بينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ جاءه سهم فقتله ، فقال الناس هنيئاً له الجنة فقال رسول الله ﷺ

« كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي أخذها من خيبر من المغانم قبل ان تقسم تشتعل عليه ناراً »

اذا نظر الانسان الى هذا الذنب الذي اقترفه ذلك العبد وهو أخذه شملة من غنائم خيبر العظيمة قبل تقسيمها فيرى انها بسيطة جداً لاقيمة لها بالنسبة لكثرة الغنائم التي اغتنموها ، وبالنسبة الى فضل الاسود لكونه من المجاهدين في سبيل الله ومن القائمين بخدمة رسول الله ﷺ ومن أصحاب رسول الله ﷺ ، ولكن الأمر غير ذلك فالأمر أمر خيانة وان الخيانة هي من اكبر الكبائر . فلو فكر الانسان في أمر الخيانة وتبصرها وعرف أنه لا يغني مرتكبها أي فضل قام به من فضائل الاعمال يعلم علم اليقين انها من الذنوب العظام التي لم ينفع فيها الاسود خدمته لرسول الله ﷺ وشهادته في سبيل الله ومحبته لرسول الله ﷺ فالجرم ليس هو جرم الشملة ، بل هو جرم الخيانة ، فلو طلب الاسود من رسول الله ﷺ ما هو أعظم من الشملة لجاد به عليه ولكن القضاء والقدر بيد الله تعالى .

## التعامل مع اليهود على أرض خيبر

كان التعامل مع اليهود على زراعة أرض خيبر بالنصف وكان يرسل رسول الله ﷺ كل سنة من يخرص حاصل الزرع فكان أول من

أرسله عبدالله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه فكان اذا خرص بين المسلمين و يهود خيبر اليهوديين ان يدفعوا للمسلمين حسبما خرص أو يستلم التمر وهو يدفع ليهود حسبما خرص ، فكانت هذه قاعدة لكل من يبعثه رسول الله ﷺ اليهم للخرص . فلما خرص عبدالله بن رواحة ليهود قالوا تعديت علينا . قال لهم : ان شئتم فلكم وان شئتم فلنا . فقالت يهود ، بهذا قامت السموات والارض . ثم في السنة التي بعدها بعث رسول الله ﷺ جبار بن صخر بن أمية بن خنساء أخا بني سلمة ومشى على تلك القاعدة فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون باساً في معاملتهم حتى عدوا في عهد رسول الله ﷺ على عبدالله بن سهل أخي بني حارثة رضي الله عنه فقتلوه فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه ، وذلك انه خرج عبد الله بن سهل اليها في اصحاب له يمتارون منها تمرا فوجده اصحابه في عين قد كسرت عنقه ثم طرح فيها فأخذوه فغيبوه ثم قدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له شأنه فتقدم اليه أخوه عبدالرحمن ابن سهل ومعه ابنا عمه حويصة ومحيصة أبنا مسعود وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنا وكان صاحب الدم وكان ذا قدم في القوم فلما تكلم قبل ابني عمه قال رسول الله ﷺ « الكبر الكبر » فسكت فتكلم حويصة ومحيصة ثم تكلم هو بعد فذكروا لرسول الله ﷺ قتل صاحبهم فقال رسول الله ﷺ « أتسمون قاتلكم ثم تحلفون عليه خمسين يمينا

فتسلمه اليكم ؟» قالوا يا رسول الله ما كنا لنحلف على ما لا نعلم قال « افيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرؤن من دمه » قالوا يا رسول الله ما كنا لنقبل أيمان يهود ما فيهم من الكفر أعظم من ان يحلفوا على إثم ، قال : فوداه رسول الله ﷺ من عنده مائة ناقة وكتب الى يهود خيبر انه قد وجد قتيل بين اباتكم قدوه ، فكتبوا اليه يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا فتركهم .

فلما توفى رسول الله ﷺ أقرها أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد رسول الله ﷺ بأيديهم على المعاملة التى عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفى أبو بكر ، ثم أقرها عمر بن الخطاب رضى الله عنه صدرا من خلافته ثم بلغ عمر ان رسول الله ﷺ قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» ففحص عمر عن ذلك حتى ثبت عنده فأرسل الى يهود فقال ان الله عز وجل قد أذن فى جلائكم ، قد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتنى به أنفذ له ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليتجهز للجلاء . فأجلى عمر رضى الله عنه من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ . ثم خرج عبد الله بن عمر بن الخطاب و لزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضى الله عنهم الى أموالهم بخيبر يتعهدونها فلما قدموا فى أموالهم عدى على

عبد الله بن عمر في جنح الليل وهو نائم على فراشه رجل ففدع يده من مرفقه فلما اصبح استصرخ اصحابه فاتياه فسألاه من صنع به هكذا فقال لا أدري فاصلحاها ثم قدموا على عمر بن الخطاب فاخبروه الخبر فقال هذا عمل يهود ، ثم قام في الناس خطيباً فقال : أيها الناس ان رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على انا نخرجهم اذا شئنا وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما قد بلغكم مع عدوهم على الانصاري قبله لا نشك انهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم فمن كان له مال بخيبر فليلحق به فاني مخرج يهود : فاخرجهم . فلما أخرجهم من خيبر ركب عمر بن الخطاب في المهاجرين والانصار وخرج معه بجبار بن صخر بن امية ، وكان خارصاً لأهل المدينة وحاسبهم ، ويزيد بن ثابت فقسما خيبر على أهلها على أصل جماعة السهمان التي كانت عليها . وكان ما قسم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه من وادي القرى لعثمان بن عفان خطر ، ولعبد الرحمن بن عوف خطر ، ولعمرو بن ابي سلمة خطر ، ولعامر بن أبي ربيعة خطر ، ولعمرو بن سراقة خطر ، ولاشيم خطر ، ولبني جعفر خطر ، ولعتيبة خطر ، ولعبد الله بن الارقم خطر ، ولعبد الله وعبيد الله خطران ، ولابن عبد الله بن جحش خطر ، ولابن البكير خطر ، ولمعتمر خطر ، ولزيد بن ثابت خطر ، ولابي بن كعب خطر ، ولمعاذ بن عفراء خطر ، ولابي طلحة وحسن خطر ، ولجبار بن صخر خطر ، ولجابر بن عبد الله

ابن رئاب خطر ، ولمالك بن صعصعة وجابر بن عبدالله بن عمرو خطر ، ولابن خضر خطر ، ولابن سعد بن معاذ خطر ، ولسلامة بن سلام خطر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبي شريك خطر ، ولابي عبس ابن جبر خطر ، ولمحمد بن مسلمة خطر ، ولعبادة بن طارق خطر ، ولجبر بن عتيك نصف خطر ، ولبني الحارث بن قيس نصف خطر ، ولابن خزمة والضحاك خطر ،

قال ابن اسحاق هذا ما بلغنا من أمر خيبر ووادي القرى ومقاسمها

قال ابن هشام ( الخطر ) النصيب . هذا ما كان من أمر خيبر وغنائمها ، وأرضها ، وقسمتها ، وما آل اليه أمر اليهود ، وقد علم مما تقدم حال اليهود مع رسول الله ﷺ من يوم دخل المدينة مهاجرا مع أصحابه الى آخر أمر خيبر ، وما عاملهم به من التودد واللين والتسامح والاغضاء عن كثير مما أتوا به من البغض والحسد واثارة الفتن بين اصحابه ، وعرقلة دعوته الى الاسلام ، واغراء الاعراب بالمال لحربه ، وجمع الاحزاب لاستئصاله وأصحابه ، وغدرهم بقتل كثير من أصحابه غيلة ، وآخرهم الانصاري الذي قتل بخيبر وأدى رسول الله ﷺ عنهم ديته من ماله الخاص . كل ذلك كان من رسول الله ﷺ طمعا في أن يؤمنوا برسالته لأنهم اهل كتاب وذلك معروف عندهم وموضح في كتبهم ، وكان أمله أنهم يكونون أسبق الامم الى الاسلام والى مناصرته ومعاضدته ، فما كان منهم الا أن بادروه بالتكذيب ، والمكابرة ، والعداوة ، والبغضاء ، فعاهدهم فنقضوا العهود ،

وسالمهم فخاروه ، و توددا اليهم فباغضوه . فجعل الله سبحانه وتعالى كيدهم فى نحورهم ، وخذلهم فى كل المواطن ، وأبادهم من بلاد العرب ، وأورث المسلمين ارضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وكان حزب الله هم الغالبون تلك سنة الله فى عباده المتقين ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾

# قدوم جعفر بن ابى طالب

## من الحبشة ومن معه من الصحابة

قدم جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه من الحبشة بعد ان قضى فيها نحو عشر سنين هو وكثير ممن هاجر معه من أصحاب رسول الله ﷺ فوكان قدومه على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه وقال « ما أدرى بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » قال ابن اسحاق وكان من اقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ الى النجاشى عمرو بن أمية الضميرى فحملهم فى سفينتين فقدم بهم عليه ﷺ وهو بخيبر بعد الحديبية من بنى هاشم بن عبد مناف (١) جعفر بن ابى طالب معه أمرأته أسماء ابنة عميس الخثعمية (٢) ابنه عبد الله بن جعفر وكانت ولدته بأرض الحبشة . ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف (٣) خالد بن سعيد ابن العاص الأموى ، ومعه أمرأته أمينة بنت خلف بن أسعد (٤) ولداه

سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة (٥) أخوه عمرو بن سعيد ، ومعه أمرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانى (٦) ، عقيب بن أبي فاطمة الدوسى حليف بنى أمية (٧) أبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى (٨) الأسود بن نوفل ابن خويلد . ومن عبد الدار بن قصى (٩) جهم بن قيس بن شرحبيل ، ومعه ولداه عمرو بن جهم ، وخزيمة بنت جهم ، وكانت معه أمرأته أم حرملة بنت عبد الاسود هلكت بأرض الحبشة ، وابناه منها . ومن بنى زهرة (١٠) عامر بن أبي وقاص (١١) عتبة بن مسعود الهذلى ، أخو عبد الله بن مسعود ومن بنى تيم (١٢) الحارث بن خالد بن صخر ، وكانت معه أمرأته ريطة بنت الحارث بن حبيلة هلكت بأرض الحبشة . ومن جمح (١٣) عثمان بن ربيعة بن أهبان . ومن بنى سهم (١٤) محمية ابن الجزاء الزبيدى حليفهم ومن عدى (١٥) معمر أبي عبد الله بن نضلة . ومن بنى عامر بن لؤى (١٦) أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس (١٧) مالك بن ربيعة بن ليس ومعه أمرأته عمرة بنت السعدي بن وقدان بن عبد شمس . ومن بنى الحارث بن فهر (١٨) الحارث بن عبد القيس بن لقيط .

فهؤلاء الذين حملهم النجاشى فى سفينتين مع عمرو بن أمية الضمرى

رضى الله عنه منهم ستة عشر رجلا ممن هاجر من مكة واثنان عبد الله ابن جعفر بن ابي طالب ، وسعيد بن خالد ولدا بالحبشة وكان معهم من نساء من مات بأرض الحبشة . وقد ورد غيرهم ممن هاجر من مكة الى الحبشة من غير هؤلاء الذين أرسلهم النجاشي وهم (١) قيس بن عبدالله من بني أسد ، وامرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب ، (٢) يزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب الاسدى . ومن بني عبدالدار ابن قصى (٣) أبو الروم بن عمير أخو مصعب بن عمير (٤) فراس بن النضر بن الحارث (٥) عبد الله بن المطلب بن أزهر بن عبد عوف الزهري ، ومعه أمه رملة بنت أبي عوف زوجة المطلب وقد هلك المطلب بأرض الحبشة ، فكان أول رجل ورث أباه فى الاسلام (٦) عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب التيمي (٧) هبار بن سفيان بن عبد الأسود المخزومي (٨) أخوه عبدالله بن سفيان المخزومي (٩) هشام بن أبي حذيفة ابن المغيرة المخزومي (١٠) محمد بن حاطب بن الحارث (١١) أخوه الحارث ابن حاطب ، وأمهما فاطمة بنت المجلل ، وهلك بأرض الحبشة ابوهما حاطب ابن الحارث الجمحى مسلما وكان ابناه قد ولدا بأرض الحبشة فقدمت بهما أمهما فى أحدى السفينتين (١٢) صفيان بن معمر بن حبيب الجمحى (١٣) ابناه جنادة (١٤) جابر ، وأمهما معه حسنة (١٥) شرحبيل بن حسنة وهي امه وأبوه عبد الله بن المطاع الكندى الحضرمي حليف بني

جمح (١٦) قيس بن حذافة بن قيس السهمى (١٧) أبو قيس بن الحارث ابن قيس السهمى (١٨) عبد الله بن حذافة بن قيس السهمى ، وهو رسول النبي ﷺ الى كسرى وقد ورد المدينة قبل خيبر (١٩) الحارث بن قيس السهمى (٢٠) معمر بن الحارث بن قيس أخوه السهمى (٢١) بشر ابن الحارث بن قيس أخوه (٢٢) سعيد بن عمرو التميمي ، أخو بشر بن الحارث لامه (٢٣) سعيد بن الحارث بن قيس السهمي (٢٤) السائب ابن الحارث بن قيس السهمى (٢٥) عمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم السهمى (٢٦) نعمان بن عدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان العدوى ، مات أبوه بأرض الحبشة (٢٧) سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود العامرى . وهو رسول النبي ﷺ الى هوذة الحنفى باليمامة أتى المدينة قبل خيبر (٢٨) عثمان بن عبد غنم بن زهير الفهرى (٢٩) سعد بن عبد قيس بن لقيط الفهري (٣٠) عياض بن زهير بن أبى شداد الفهرى . فهؤلاء هم الذين وردوا المدينة على رسول الله بعد بدر وقبل خيبر .

واما من مات بأرض الحبشة ممن هاجر اليها من أصحاب رسول الله ﷺ فهم (١) عمرو بن أمية بن الحارث الأسدي (٢) حاطب بن الحارث الجمحي (٣) أخو حطاب بن الحارث الجمحى (٤) عبد الله بن الحارث بن قيس السهمي (٥) عروة بن عبد العزى بن حرثان العدوي

(٦) عدى بن نضلة العدوي (٧) عبيد الله بن جحش مات على دين النصرانية . فهؤلاء الذين هلكوا بأرض الحبشة وهم سبعة

واما من ولد بأرض الحبشة فمن الذكور خمسة وهم (١) عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (٢) محمد بن حذيفة بن عبد شمس (٣) سعيد بن خالد بن سعيد (٤) عبدالله بن المطلب (٥) موسى بن الحارث ، مات بالطريق. ومن الاناث خمس وهن (١) أمة بنت خالد بن سعيد (٢) زينب بنت ابي سلمة (٣) فاطمة بنت الحارث بن خالد بن صخر (٤) عائشة بنت الحارث ، ماتت بالطريق (٥) زينب بنت الحارث ماتت مع أختها عائشة وأخوها موسى بن الحارث ، وأمها ريطة بنت الحارث بن جبيلة بالطريق من ماء شربنه .

## قدوم وفد الحبشة

لما قدم المدينة جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قدم معه وفد من الحبشة نحو الثمانين رجلا فيهم نحو الثمانية من الروم كانوا بالحبشة من أهل العلم بالمذهب المسيحي فلما قدموا على رسول الله ﷺ كانت عليهم ثياب الصوف فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة ( يس ) الى آخرها فبكوا وأسلموا ، وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه الصلاة والسلام ، وقام رسول الله ﷺ يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك يارسول

الله فقال « انهم كانوا لأصحابنا مكرمين وانى أحب أن أكافئهم » هكذا تكون الشهامة ، وهكذا يكون الكرم ، وهكذا تكون المروءة !!

يقول رسول الله ﷺ « انهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وانى أحب أن أكافئهم » وقام يخدمهم بنفسه مع وجود من يقوم بخدمتهم غيره ، ولكن مكارم الاخلاق تقضى على الانسان ان يكون هو القائم بنفسه على ما يكون فيه مكرمة وفضل ، فلو ان كل انسان عمل بالواجب لما وجد على الارض متباغضون ، ولكن ما كل من يثمر معه المعروف ، ولا كل من يعمل بالواجب بل ذلك لا يوجد الا في بعض الافراد من الناس . وهذا هو الاساس فى المجتمع الانسانى وهو المحور الذى يدور عليه مكارم الاخلاق ، وكل أمة تفقد مكارم الاخلاق لا قيمة لها فى المجتمع الانسانى. وانى أرى فى العصر الحاضر ان المجاملة المبنية على حسن النية كادت تفقد ، وقد استعمل النفاق والتزلف الممقوتين وسموها المجاملة مع ان المجاملة غير ذلك فالمجاملة لا بد وان تكون على حسن نية ، وان تكون مجردة عن كل تزلف ونفاق ، فاذا سار الناس مع بعضهم بعضا على هذه القاعدة أصبحوا في وئام تام ، وصلة شريفة ، لأن الصدق في كل شئ مفيد ، وسلامة النية خير من التملق والتزلف .

# قدوم ابى هريرة

## رضى الله عنه

قدم أبو هريرة رضى الله عنه المدينة في رأس سنة سبع من الهجرة ورسول الله ﷺ بخيبر قال أبو هريرة قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفاري رضى الله عنه فاخبرنا ان النبي ﷺ بخيبر فزودنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر (للكتيبة) فقمنا حتى فتح الله عليه خيبر

# زواجه على أم حبيبة

أرسل رسول الله ﷺ فى افتتاح المحرم من سنة سبع من الهجرة عمرو بن أمية الضميرى رضى الله عنه الى النجاشي ليزوجه على أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ اليه أرسل الى أم حبيبة جارية له أسمها أفرهة فقالت لها ان الملك يقول لك ان رسول الله ﷺ كتب اليه ان يزوجك منه . فقالت لها أم حبيبة بشرك الله بالخير ، فقالت الجارية ويقول لك وكلى من يزوجك فأرسلت بالوكالة الى خالد بن سعيد رضى الله عنه وأعطت أم حبيبة للجارية سوارين ، وخلخالين ، وخواتم فضة ، هدية مقابل سرورها بما بشرتها به . فلما كان العشى أمر النجاشي جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وذلك قبل

عودته الى المدينة ومن معه من المسلمين فحضروا وخطب النجاشي رضي الله عنه فقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن المهيمن العزيز الجبار أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وانه الذي بشر به عيسى بن مريم عليه السلام ، أما بعد فان رسول الله ﷺ كتب الى ان أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب فأجبنا الى ما دعا اليه رسول الله ﷺ : وقد أصدقها النجاشي أربعمائة دينار ثم سكب الدنانير بين يدي القوم . فخطب خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أما بعد فقد أجبت الى ما دعا اليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ وقبض الدنانير خالد بن سعيد وأسلمها الى أم حبيبة رضي الله عنها وعمل لها النجاشي طعاما فأكلوا . قالت أم حبيبة : فلما وصل الىَّ المال أعطيت أفرهة خمسين دينارا قالت : فردتها على وقالت ان الملك عزم عليَّ بذلك ، وردت ما كنت أعطيتها أولا ثم جاءتني من الغد بعود ، وورس ، وعنبر ، وزباد كثير فقدمت به معي على رسول الله ﷺ ؛ فلما بلغ أبا سفيان ان النبي ﷺ نكح ابنته قال : هو الفحل لا يجدع أنفه : ثم لما قدم أبو سفيان المدينة واراد ان يزيد في الهدنة دخل على أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه ، فقال

يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت أمرؤ نجس مشرك ، فقال لقد اصابك بعدي شر . فهذا حال رسول الله ﷺ مع الناس في التودد ، والتقارب والائتلاف . فبالامس تزوج على صفية بنت حيي بن أخطب وهو الد أعداء رسول الله ﷺ ، واليوم يتزوج على أم حبيبة بنت أبي سفيان وهو من أعظم اعدائه من قريش ليعلم أبو سفيان انه لم يضمر له كيداً ويرغب في التقرب له ولسائر الناس بأي شكل من اشكال التقرب والتودد ، فهذه جادة المصلح لا يحقد لأحد بشر ، ولا يكيد لانسان بشئ ، فجادة المصلحين غير جادة المفسدين لان المصلحين نظراً عاليا في جلب القلوب نحوهم وكسر شوكة البغضاء من قلوب أعدائهم ولله في خلقه شئون

## سرية عمر بن الخطاب
### الى تُرَبه

بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر شعبان من سنة سبع من الهجرة الى تُرَبه في ثلاثين رجلا وأرسل معهم دليلا من بني هلال وهو وادٍ بشرقي الطائف خصب ذا نخل وزرع وهو من بلاد هوازن الذين يسمون الان ( عتيبة ) فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار فأتى الخبر الى هوازن الطائف فهربوا ، وجاء عمر الى محالهم فلم يلق منهم

أحدا بل ترفعوا فاخذ ما وجده من نعم وغيره وانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بذى الجدر وهو موضع على ستة أميال من المدينة ، قال له الدليل الهلالى هل لك في جمع آخر تركته من خثعم صائرين قد أجدبت بلادهم؟ فقال عمر : لم يأمرني رسول الله ﷺ بهم انما أمرنى أن اعد لقتال هوازن بتربة : فرجع الى المدينة ولم يلق حربا .

## سرية أبى بكر الصديق

### الى بنى كلاب

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضى الله عنه الى بنى كلاب قبيلة بنجد بناحية ضرية فى شعبان سنة سبع من الهجرة ، وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال غزونا فزارة وعلينا أبو بكر أمره رسول الله ﷺ علينا فلما كان بيننا وبين الماء ساعة أمرنا فعرسنا ثم شن الغارة فورد الماء فقتل من قتل عليه وسبى ، وانظر الى عنق من الناس فيهم الذرية فخشيت ان يسبقونى الى الجبل فرميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا فجئت بهم أسوقهم وفيهم امرأة من بنى فزارة عليها نشع من أدم قال القشع النطع معها ابنة لها من أحسن العرب فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر رضى الله عنه فنفلنى أبو بكر ابنتها فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا فلقينى رسول الله ﷺ فى السوق فقال

«يا سلمة هب لى المرأة؟» فقلت: يا رسول الله والله لقد اعجبتنى وما كشفت لها ثوبا. ثم لقينى رسول الله ﷺ من الغد فى السوق فقال «يا سلمة هب لى المرأة لله أبوك؟» فقلت هى لك يا رسول الله فو الله ما كشفت لها ثوبا فبعث بها رسول الله ﷺ الى أهل مكة ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا أسروا بمكة.

## سرية بشير بن سعد الانصارى

### الى بنى مرة

بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد الخزرجى الانصارى رضى الله عنه فى شهر شعبان سنة سبع من الهجرة فى ثلاثين رجلا الى بنى مرة على شمال المدينة بقرب فدك على ستة ايال من المدينة فلما وصلوا الى محل القوم وجدوا رعاء الشام فسألوهم عن القوم فقيل هم فى واديهم شاتون لا يردون الماء فاستاقوا النعم والشاء وانحدروا الى المدينة فخرج الصارخ اليهم فادركهم العدد الكثير من بنى مرة عند الليل فباتوا يترامون بالنبل حتى نفد نبل أصحاب بشير بن سعد فلما أصبحوا حملوا على بشير واصحابه فقتلوا منهم من قتلوا وولى من ولى منهم وقاتل بشير قتالا شديدا حتى اثبتته الجراح وبه رمق فضرب القوم كعبه ليختبروه أحى هو أم ميت فلما رأوه لا يتحرك تركوه وانصرفوا بنعمهم وشائهم وقدم علية بن زيد

الاوسى الانصارى على رسول الله ﷺ بخبرهم . وأما بشير بن سعد فمكث بين القتلى حتى انصرف القوم ثم تحامل حتى انتهى الى فدك فاقام بفدك عند يهودى أياما حتى قوي على المشى فجاء المدينة.

## سرية غالب بن عبدالله الليثى

### الى الميفعة

بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبدالله الليثى رضى الله عنه الى بنى عوال ، وبنى عبد بن ثعلبة (بالميفعة) اسم محل وراء بطن نخل بنجد بشرق المدينة على ثمانية برد نحو مائة وعشرين ميلا وذلك فى شهر رمضان سنة سبع من الهجرة ومعه مائتان وثلاثون رجلا ، وكان دليلهم يسارا مولى رسول الله ﷺ فهجموا عليهم جميعا فى وسط محالهم فقتلوا جمعا من اشرافهم واستاقوا أنعامهم وشاءهم ولم يأسروا أحدا منهم ورجعوا الى المدينة .

## سرية بشير بن سعد الانصارى

### الى يمن وجبار

بلغ رسول الله ﷺ ان جمعا من غطفان قد واعدهم عيينة بن حصن بوادٍ قريب من خيبر اسمه جبار ، ويمن ، ويقال ان هذا الوادى لفزارة وغطفان ، وهو على شمال المدينة . للاغارة على المدينة فبعث رسول الله ﷺ

بشير بن سعد الانصاري رضي الله عنه في شهر شوال سنة سبع من الهجرة ومعه ثلاثمائة رجل فساروا يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى اتوا على المحل المذكور وقد بلغ القوم مسيرهم فهربوا فأصاب بشير نعما كثيرا وتفرق الرعاة فلم يظفروا بأحد من القوم غير رجلين فأسرهم وعاد الى المدينة بالأسيرين والغنيمة فأسلم الرجلان على يد رسول الله ﷺ فأرسلهما رسول الله ﷺ اي اطلقهما . وكان يقال لعيينة بن حصن الأحمق المطاع لأنه كان يتبعه عشرة آلاف مقاتل من فزارة . أسلم قبل الفتح .

## عمرة القضاء

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري لهذه العمرة أربعة أسماء عمرة القضاء ، والقضية ، والقصاص ، والصلح ، فلما صار هلال ذي القعدة من سنة سبع من الهجرة أمر رسول الله ﷺ أصحابه ان يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية وان لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم الا رجال استشهدوا أو ماتوا بين عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء وكان رجال من حاضري المدينة من العرب قالوا يا رسول الله مالنا زاد ومالنا أحد يطعمنا فأمر رسول الله ﷺ المسلمين ان ينفقوا في سبيل الله تعالى وان يتصدقوا وان يكفوا ايديهم لئلا يهلكوا فقالوا يا رسول الله أنتصدق واحدنا لا يجد شيئا فقال رسول

الله ﷺ « يا كان ولو بشق تمر »

فخرج رسول الله ﷺ ومعه من المسلمين ألفان غير النساء والصبيان واستخلف على المدينة أبا رهم الغفارى رضى الله عنه وساق رسول الله ﷺ ستين بدنة ، وحمل السلاح والبيض ، والدروع ، والرماح ، وقاد مائة فرس فلما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة الأنصارى رضى الله عنه وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد الانصارى . وأحرم ولبى ﷺ ، والمسلمون يلبون معه ومضى محمد ابن مسلمة فى الخيل الى مر الظهران — وادى فاطمة — فوجد بها نفرا من قريش فسألوه فقال هذا رسول الله ﷺ يصبح غدا المنزل غدا ان شاء الله تعالى . فأتوا قريشا فأخبروهم ففزعوا وقالوا والله ما احدثنا وانا على كتابنا فقيم يغزونا محمد واصحابه . فنزل رسول الله ﷺ بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن (يأجج) موضع بمكة قال ياقوت موضع على ثمانية أميال وكان من منازل عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما ، ثم قال ويأجج موضع آخر وهو مسجد الشجرة بينه وبين مسجد التنعيم ميلان . انتهى والظاهر من قوله بينه وبين التنعيم ميلان انه الموضع الذى يسمى فى العصر الحاضر (أم نيفة) وهذا الموضع واقع على طريق القادم من مر الظهران الى مكة . حيث ينظر الى انصاب الحرم وخلف عليه أوس بن خولى الانصارى في مائتي رجل ، وقدم الهدى امامه وجعل عليه ناجية

ابن جندب الاسلمى فحبس بذى طوى فبعثت قريش مكرز بن حفص فى نفر من قريش حتى قدموا رسول الله ﷺ ببطن اجج فى أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحق فقالوا له والله يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل يا السلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت لهم ان لا تدخل بسلاح ؟ فقال لمكرز « هو كذلك » ثم رجع مكرز سريعا الى مكة وأصحابه وقال لقريش هو على الشرط الذى شرط لكم ، فلما اطمأنت قريش بذلك استنكف رجال من اشراف المشركين ان ينظروا الى رسول الله ﷺ غيظا وحنقا وحيفا فخرجوا الى رؤس الجبال وتركوا مكة

فقدم رسول الله ﷺ مكة على راحلته ( القصواء ) والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله ﷺ يلبون فدخل الثنية التى تطلعه على الحجون وعبدالله بن رواحة الانصارى رضي الله عنه بين يدى رسول الله ﷺ ينشد ويرتجز :

خلوا بنى الكفار عن سبيله قد أنزل الرحمن فى تنزيله
بأن خير القتل فى سبيله نحن قتلناكم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله

وقال بعده

اليوم نضربكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله يارب انى مؤمن بقيله

قد أنزل الرحمن فى تنزيله  فى صحف تتلى على رسوله
يا رب انى مؤمن بقيله  انى رأيت الحق فى قبوله

فقال له عمر بن الخطاب يا ابن رواحة بين يدى رسول الله ﷺ وفى حرم الله تقول الشعر ؟ فقال له رسول الله ﷺ « خل عنه يا عمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل » ثم قال رسول الله ﷺ « يا ابن رواحة قل لا إله الا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده » فقالها ابن رواحة وقالها رسول الله ﷺ والناس كما قالها ، فدخل رسول الله ﷺ وأصحابه مكة راكبا ناقته القصواء وأصحابه محدقون به ، وقعد جمع من المشركين بجبل قعيقعان ينظرون اليه ﷺ والى اصحابه ، وقد قال المشركون انه يقدم غداً قوم وهنتهم الحمى ولقوا منها شدة فجلسوا على قعيقعان مما يلى الحجر — يعنى جلسوا على طرفه الشرقى وهو موقع قلعة جبل هندى المسماة اليوم — فاطلع الله تعالى نبيه على ما قالوا فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد امر اصحابه ان يرملوا الاشواط الثلاثة وان يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعهم ان يرملوا الاشواط الا الابقاء عليهم — يعنى الاشفاق بهم وان لا يكون سنة لأمته فتكون مشقة على ضعفائهم وشيوخهم وكهولهم حيث هو ﷺ المشرع وكل عمل يعمله يتابعه عليه المسلمون — واضطبع رسول الله ﷺ بردائه وكشف عن عضده الأيمن وفعلت الصحابة مثله ، فلما رأت المشركون رملهم وقوة

اجسامهم قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم انهم وهنتهم حمى يثرب وانهم يثبون نفر الظبي . ثم استلم الركن وخرج يهرول واصحابه معه حتى اذا واراه البيت منهم واستلم الركن مشى حتى استلم الركن الاسود ثم هرول لذلك ثلاثة اشواط ومشى سائرها . ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمحجنه . ثم طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة قال « هذا منحر وكل فجاج مكة منحر » فنحر عند المروة وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون ؛ وامر رسول الله ﷺ ناساً من اصحابه ان يذهبوا الى اصحابهم ببطن يأجج فيقيمون على السلاح ويأتي الآخرون فيقضون نسكهم ففعلوا .

## زواجه على ميمونة بمكة

فلما انتهى رسول الله ﷺ من نسكه تزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية أخت أم الفضل لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ ميمونة ، وكانت قبل عند أبي رهم بن عبد العزى العامري وقد تأيمت فأرسل رسو الله ﷺ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يخطبها فأذنت للعباس فزوجها وأصدقها عنه أربعمائة درهم وأراد رسول الله ﷺ أن يبني بها بمكة فلم تمهله قريش ،

فقال لهم «انى قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم ان مكثت حتى ادخل بها وأصنع طعاما فنأكل وتأكلوا معنا فجاء حويطب الى رسول الله ﷺ وهو في قبته التي نصبها بالأبطح وقت الظهر وكان عنده سعد بن عبادة الأنصارى رضى الله عنه يتحدث معه فصاح حويطب ناشدتك الله والعقد الا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث ، فغضب سعد بن عبادة لما رأى من غلظ كلامه للنبى ﷺ فقال له كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا أرض آبائك والله لا يبرح منها الا طائعا راضيا ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال « يا سعد لا تؤذى قوما زادونا فى رحالنا » وأسكت الفريقين ثم أمر رسول الله ﷺ أبا رافع رضى الله عنه ان ينادى بالرحيل ولا يمسى بها أحد من المسلمين وخلف أبا رافع ليأتي له بميمونة حين يمسى .

## عودته من عمرة القضاء
### الى المدينة

فخرج رسول الله ﷺ من مكة وأتى سرف وهو على بعد عشرة أميال من مكة شمالا ، وخرج أبو رافع بميمونة وقد لقيت ميمونة رضى الله عنها من سفهاء مكة أذى ألسنتهم للنبى ﷺ ولها فقال أبو رافع رضى الله عنه لهم هذه والله الخيل والسلاح ببطن ناجع وأنتم تريدون

نقض العهد والمدة ، فولوا راجعين منكسين . وأقام رسول الله ﷺ بسرف ودخل فيه على ميمونة تحت شجرة هناك وأخبر رسول الله ﷺ أنها لا تموت بمكة ، فلما ثقل عليها المرض سنة ثلاث وأربعين من الهجرة قالت أخرجوني فأخرجوها حتى أتوا بها ذلك الموضع الذى دخل عليها رسول الله ﷺ فماتت فيه وعاشت بعد رسول الله ﷺ ثلاثا وثلاثين سنة

فلما خرج رسول الله ﷺ تبعتهم ابنة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه واسمها عمارة تنادى ياعم ، ياعم ، فتناولها علي بن أبى طالب رضى الله عنه فأخذها بيدها وقال لفاطمة بنت رسول الله ﷺ دونك بنت عمك فحملتها فاختصم فيها علي ، وزيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم قال علي أنا أخذتها وهي ابنة عمى ، وقال جعفر ابنة عمى وخالتها تحتى وقال زيد بنت أخى فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال « الخالة بمنزلة الأم » وقال لعلي « أنت منى وأنا منك » وقال لجعفر « أشبهت خَلقى وخُلقى » وقال لزيد « أنت أخونا ومولانا » وقال علي الا تتزوج بنت حمزة قال « انها بنت أخى من الرضاع » أخرجه البخارى ، ثم رجع رسول الله ﷺ الى المدينة .

انظر الى مكارم الاخلاق وتجسمها ! فى رسول الله ﷺ ومايلاطف به الاعداء ، والاصدقاء. فقد قال قريش لما طلبوا منه الخروج « انى قد انكحت فيكم امرأة فما يضركم ان مكثت حتى ادخل بها وأصنع

طلماً فنأكل ونأكلوا معنا » وما قاله لعليّ ، وجعفر ، وزيد حين حكم بينهم في عمارة بنت حمزة رضى الله عنهم من اللاطفة وأخذ الخاطر ! فهكذا تكون الاخلاق الفاضلة وهكذا يكون اللطف ومكارم الاخلاق ! ! .

وبالاخص اذا صدر من وليّ الامر وصاحب الرياسة ، فان ورد اللطف من وليّ الامر له قيمة بخلاف اذا ورد من آحاد الناس ، لان اللاطفة فيها جبر الخاطر وإنعاش النفس . وذلك غريزى في النبي ﷺ وهو المشرع لمكارم الاخلاق كما هو المشرع للقضايا والاحكام والعبادات والمعاملات وقد انعكست القضية في زماننا حيث نرى كثير من اصحاب المقامات والخيثيات يرون ان الفظاظة والكبرياء من لوازم الرفعة وعلو المقام ولذلك صاروا ثقلاء على الناس واصبحت الفظاظات حيلولة بينهم وبين افراد الناس ، فلاحول ولاقوة الا بالله ألهمهم الله رشدهم وخفف من فظاظتهم وكبريائهم .

# اسلام

## خالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة ، وعمرو بن العاص

يقول خالد بن الوليد انه : لما أراد الله عز وجل بى ما أراد من الخير قذف فى قلبي الاسلام وحضر لى رشدى وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ﷺ فليس موطن أشهده الا انصرف وأنا أرى

فى نفسى أنى فى غير شىء وأن محمدا يظهر ، فلما جاء لعمرة القضية تغيبت فكان أخى الوليد بن الوليد دخل معه فطلبنى فلم يجدنى فكتب الي كتابا فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك ، عقلك ، ومثل الاسلام لا يجهله أحد ، قد سألنى رسول الله ﷺ عنك فقال أين خالد ؟ فقلت يأتى الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره ، فاستدرك يا أخى ما قد فاتك من مواطن صالحة : قال خالد فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الاسلام وسرتنى مقالة رسول الله ﷺ ، ورأيت فى المنام كأنى فى بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة ، فلما اجمعت على الخروج الى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى ان محمدا ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فان شرفه شرف لنا ، فقال لو لم يكن يبقى غيرى ما تبعته أبدا ، فقلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر ، فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ماقلت لصفوان ، فقال مثل ما قال صفوان ، فقلت فاكتم ذكر ماقلت لك قال لا أذكره ، ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبى قلت هذا لى صديق فأردت أن أذكر له ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه وعثمان وأخوته الأربع مسافع ، والجلاس ، والحارث ، وكلاب ، فانهم قتلوا كلهم بأحد فكرهت أن أذكر له ثم

قلت له انما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب فيه ذَنُوب من ماء لخرج ثم قلت له ما قلت لصفوان ، وعكرمة ، فأسرع الاجابة ووعدنى ان سبقنى أقام بمحل كذا وأن سبقته اليه انتظرته ، فلم يطلع الفجر حتى التقينا فقدونا حتى انتهينا الى الهدة فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال مرحباً بالقوم فقلنا وبك قال اين مسيركم ؟ قلنا الدخول في الاسلام قال وذلك الذى اقدمنى . هذا حديث خالد بن الوليد .

واما حديث عمرو بن العاص

قال عمرو بن العاص : لما انصرفنا مع الاحزاب عند الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله انى ارى امر محمد يعلو الامور علواً منكراً وإني لقد رايت امراً فما ترون فيه ؟ قالوا وما ذا رايت ؟ قال رايت ان نلحق بالنجاشي فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فانا ان نكون تحت يديه احب الينا من ان نكون تحت يد محمد ، وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم الا خير . قالوا ان هذا الراي ، قلت فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان احب ما يهدى اليه من ارضنا الادم فجمعنا له ادما كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن امية الضمرى وكان رسول الله ﷺ قد بعثه اليه فى شأن جعفر واصحابه قال فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي هذا عمرو

ابن أمية الضميري لو قد دخلت على النجاشي اسألته اياه فأعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقي أأهديت الي من بلادك شيئاً ؟ قلت نعم أيها الملك ، قد أهديت اليك أدما كثيراً ، قال ثم قربته اليه فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له أيها الملك اني قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لاقتله فانه قد اصاب من اشرافنا وخيارنا . قال فغضب ثم مد يده فضرب بها انفه ضربة ظننت انه قد كسره فلو انشقت لي الارض لدخلت فيها فرقا منه ، ثم قلت له أيها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألتكه ، قال أتسألني ان اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ؟ قلت أيها الملك اكذاك هو ؟ قال ويحك يا عمرو اطعني واتبعه فأنه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قلت أفتبايعني له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت الى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي اسلامي ثم خرجت عامدا الى رسول الله ﷺ لأسلم فلقيت خالد بن الوليد . هذا حديث عمرو بن العاص .

ثم اصطحبوا الثلاثة حتى قدموا المدينة فلما وصلوا المدينة أناخوا ركابهم بظهر الحرة فأخبر بهم رسول الله ﷺ فسر بهم وقال لأصحابه

« رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » وعنده هي الحقيقة حيث ان هؤلاء الثلاثة هم افلاذ كبد مكة لان أحدهم صاحب رايتهم في الحرب ورئيس سدنة الكعبة ، والثاني قائد الخيل واعظم بطل فيهم والثالث داهيتهم العظيم وصاحب الرأي الثاقب فيهم والسفير الاعظم عندهم .

قال خالد بن الوليد فلبست صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله ﷺ فلقيت أخي فقال أسرع فان رسول الله ﷺ قد سرَّ بقدومكم وهو ينتظركم فاسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال رسول الله ﷺ يبتسم حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت اني أشهد ان لا إله الا الله وانك رسول الله . قال رسول الله ﷺ « الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك الا الى خير » قلت يا رسول الله أدع الله لي يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ « الاسلام يجب ما كان قبله » وتقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدم عمرو بن العاص قال عمرو ثم تقدمت فوالله ما هو الا ان جلست بين يديه ﷺ وما استطعت ان ارفع طرفي حياء منه فبايعته على ان يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر فقال « ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها » ومن نوادر عمرو بن العاص رضي الله عنه قال لما قدمنا على رسول الله ﷺ وكنت أسن منهما فأردت ان أكيدهما فقدمتهما قبل للبيعة فبايعا واشترطا ان

يغفر لهما ما تقدم من ذنبهما فأضمرت في نفسي ان ابايع على ان يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبي وأنسيت ان اقول وما تأخر. قال الحافظ ابن حجر في الأصابة وذكر الزبير بن بكار ان رجلا قال لعمرو وما ابطأ بك عن الاسلام وأنت ، أنت في عقلك ؟ قال انا كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن يوازي خلومهم الجبال فلما بعث النبي ﷺ أنكروا عليه فلذنا بهم فلما ذهبوا وصار الامر الينا نظرنا وتدبرنا فاذا حق بيّن فوقع في قلبي الاسلام فعرفت قريش ذلك مني من ابطائي عما كنت اسرع فيه من عونهم عليه فمشوا الي فتى منهم فناظرني في ذلك فقلت أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك أنحن أهدى أم فارس والروم؟ قال نحن أهدى ، قلت فنحن اوسع عيشاً أم هم ؟ قال هم ، قلت فما ينفعنا عليهم ان لم يكن لنا فضل الا في الدنيا وهم اعظم منا فيها أمراً في كل شيء ، وقد وقع في نفسي ان الذي يقوله محمد من ان البعث بعد الموت ليجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته حق ولا خير في التمادي في الباطل .

وكان سن عمرو بن العاص حين أسلم نحو الستين السنة . وكان سن خالد بن الوليد نحو الثلاثين سنة يوم أسلم ، وهو أحد أشراف قريش كانت اليه أعنة الخيل في الجاهلية وشهد مع قريش كل الحروب التي أثارتها على رسول الله ﷺ ، وكانت هزيمة أحد التي وقعت على المسلمين منه بسبب قتله للرماة وتفتيته للجيش . فلما أسلم ولاه رسول الله ﷺ أعنة

الخيل وسماه سيف الله . وأخرج الترمذى عن أبى هريرة قال نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلا فجعل الناس يمرون فيقول رسول الله ﷺ من هذا ؟ فأقول فلان ، حتى مر خالد فقال : من هذا ؟ فقلت خالد بن الوليد ، فقال « نعم عبد الله هذا من سيوف الله » قال الحافظ رجاله ثقات ، وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ بعد اسلامه وغزا مؤتة وغيرها ، وفاز خالد فى كل المواقف كما سيأتى ، وأرسله أبو بكر فى خلافته الى قتال أهل الردة فابلى في قتالهم بلاء عظيما ، ثم ولاه حروب فارس والروم وافتتح الشام والعراق وكان أمير الجنود والقائد الأعظم فى مدة خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه وكان موفقا فى كل غزواته وحروبه فروى البخارى فى تاريخه قال خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خلافته واعتذر من عزل خالد من أمارة الجنود فقال له أبو عمرو ابن حفص بن المغيرة عزلت عاملا استعمله رسول الله ﷺ ووضعت لما رفعه رسول الله ﷺ ؟ فقال له عمر انك قريب القرابة حديث السن مغضب لابن عمك . فلما عزل خالداً وولى أبا عبيدة بن الجراح قال خالد بعث عليكم يعنى عمر أمين هذه الامة سمعت رسول الله ﷺ يقوله ، فقال أبو عبيدة سمعت رسول الله ﷺ يقول « خالد سيف من سيوف الله نعم فتى العشيرة » وكان خالد مع أبى عبيدة وهو قائد الخيل فى عموم مواقفه ، وكان يقول اني لم اقاتل لاجل أبى بكر وعمر وانما اقاتل

لتكون كلمة الله هي العليا . هذا خالد بن الوليد المخزومي ابن عم أبي جهل قد كتب الله له السعادة ونال شرف الاسلام ، ورضاء ربه سبحانه وتعالى ، ورضاء رسول الله ﷺ . ورضاء الاسلام والمسلمين . بخلاف أبي جهل الذي نال سخط الله ورسوله المؤمنين الى يوم الدين ، وكان عاقبة أمره خسراً ومقره الجحيم .

واما عثمان بن طلحة الحجبي سادن الكعبة المشرفة فهو صاحب راية قريش ومن اشرافهم وسادتهم وسيأتي حديثه في فتح مكة ان شاء الله تعالى . فهؤلاء الذين قال في حقهم رسول الله ﷺ لأصحابه « رمتكم مكة بافلاذ كبدها » فهم بحق افلاذ كبد مكة ، وسيظهر في سياق الكتاب من اعمالهم العظيمة اكثر مما ذكرته ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾

## سرية ابن أبي العوجاء السلمي

بعث رسول الله ﷺ الأخرم بن ابي العوجاء السلمي رضي الله عنه في شهر ذي الحجة سنة سبع من الهجرة في خمسين رجلا الى بني سليم فكان لهم جاسوس مع الصحابة فخرج اليهم وسبق السرية وحذر بني سليم فجمعوا لهم جمعاً كثيراً فجاؤهم وهم معدون لهم فدعوهم الى الاسلام فقالوا اى حاجة انا بما تدعونا اليه فتراموا بالنبل ساعة وجعلت الامداد

تأتيهم وأحدقوا بالمسلمين من كل ناحية فقاتل المسلمون قتالا شديداً حتى قتل عامتهم وأصيب الاخرم جريحاً مع القتلى ثم تحامل حتى بلغ المدينة فى اول صفر سنة ثمان من الهجرة واتى رسول الله ﷺ

# سرية غالب بن عبد الله الليثى

## الى بنى الملوح

بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبدالله الليثى رضى الله عنه فى بضعة عشر رجلا الى الملوح بالكديد ، والكديد ماء بين الحرمين ، ومعنى الكديد الارض الواسعة وذلك فى شهر صفر سنة ثمان من الهجرة وامر رسول الله ﷺ غالباً واصحابه ان يشنوا الغارة على القوم فخرج غالب واصحابه حتى اذا كانوا بكديد لحقوا الحارث الليثي فأسروه فقال الحارث انما خرجت الى رسول الله ﷺ أريد الاسلام فقالوا له ان كنت مسلما لم يضرك ربطنا لك يوما وليلة وان كنت غير ذلك استوثقنا، فشدوه وثاقا وخلفوا عنده سويد بن صخر وقالوا له ان نازعك فاحتز رأسه . وساروا حتى أتو محل القوم عند غروب الشمس فكمنوا فى ناحية من الوادى ، قال جندب الجهنى أرسلنى القوم جاسوساً لهم فخرجت حتى أتيت تلا مشرفا على الحاضر — وهم القوم المقيمون بمحلهم — فلما استويت على رأسه انبطحت عليه لأنظر اذ خرج رجل منهم فقال

لامرأته انى لأنظر على هذا الجبل سواداً ما رأيته قبل انظرى الى او عينك لا تكون الكلاب جرت منها شيأ ، فنظرت فقالت والله ما فقدت من اوعيتى شيأ ، فقال ناوليني قوسي ونبلي فناولته قوسه وسهمين فأرسل سهماً فوالله ما اخطأ بين عينى فانتزعته ونبت مكانى فأرسل آخر فوضعه فى منكبي فانتزعته ونبت مكاني فقال لامرأته والله لو كان جاموساً لتحرك لقد خالطه سهمان لا أبا لك فاذا اصبحت فانظريهما لا تعضهما الكلاب ، ثم دخل فلما اطمأنوا وناموا شننا عليهم الغارة واستقنا النعم والشاء بعد ان قتلنا المقاتلة وسبينا الذرية ومررنا على الحارث الليثى فاحتملناه والذى يحرسه ، فخرج صريخ القوم فى قومهم فجاء ما لاقبل لنا به فصار بيننا وبينهم الوادى فارسل الله سحابا فأمطر الوادي مطراً ما رأينا مثله فسال الوادى بحيث لا يستطيع احد ان يجوز به فصاروا وقوفاً ينظرون الينا ونحن متوجهون الى ان قدمنا المدينة .

## سرية غالب الليثى

### الى مصاب أصحاب بشير الانصارى

اراد رسول الله ﷺ ان يبعث الزبير بن العوام رضى الله عنه الى بنى مرة بفدك الذين اصابوا أصحاب بشير بن سعد الانصاري رضى الله عنه وقتلوهم فلما قدم غالب بن عبدالله الليثى رضى الله عنه من الكديد

مؤيداً منصوراً بعثه ﷺ بدل الزبير وقال للزبير اجلس وبعث معه مائتي رجل فيهم أسامة بن زيد ، وعلية بن زيد ، وابو مسعود عتبة بن عمرو ، وكعب بن عجوة ، وحويصة بن مسعود ، وابو سعيد الخدري : وعقد له لواء فسار غالب فى شهر صفر سنة ثمان من الهجرة حتى دنى من القوم ليلا قام فى جيشه خطيباً فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال : اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله تعالى وحده لاشريك له وان تطيعوني ولا تخالفوني امراً فانه لارأى لمن لايطاع ولا تعصوني فان رسول الله ﷺ قال « من يطع اميرى فقد اطاعنى ومن عصاه فقد عصانى » وانكم متى تعصوني فانكم تعصون نبيكم ﷺ ثم ألف بين القوم فقال يافلان انت وفلان ، ويافلان انت وفلان ، لايفارق رجل منكم زميله فاياكم ان يرجع الرجل منكم فأقول له اين صاحبك فيقول لا ادرى فاذا كبرت فكبروا ، فلما احاطوا بالقوم كبر غالب رضى الله عنه وكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعارهم أمت ، أمت ، وساق المسلمون النعم والشاء والذرية فكان سهم كل رجل عشرة ابعرة وعدل البعير عشرة من الغنم . وقد وفق الله سبحانه وتعالى غالب الليثي بأخذ ثار اصحاب بشير بن سعد الانصارى وانتقم من اهل فدك شر نقمة ، فهكذا يكون اخذ الثار بالصبر والحكمة ، فإن رسول الله ﷺ لم يعاجلهم باخذ الثار لانهم بعد فعلتهم

تلك كانوا على حذر ، فتركهم حتى اطمأنت نفوسهم ارسل اليهم غالب الليثى ، وفي أخذ الثار فوائد جمة منها تقوية السلطان ، وتطييب خاطر المصابين وردع للعصاة وغير ذلك ، فمتى وجدت الهيبة فى نفوس الاعداء خضعوا واستسلموا للسلطان وسلم السلطان من تمردهم وبغيهم وثورتهم ، ومتى زالت الهيبة من نفوسهم تطاولوا على السلطان ، وعبثوا بالأمن ، واخلوا بالراحة ، حيث تلك سنة شرار الخلق فلا يصلحهم الا السيف لانهم لا يعرفون لغة غير لغته ، وذلك لأن الناس على مذاهب ومشارب شتى فمنهم من يصلحه الكلم الطيب وتأثيره فيهم أعظم من تأثير السيف ، ومنهم من لا يصلحه غير السيف ، وهذا امر طبيعى فى البشر .

## سرية شجاع بن وهب الاسدى

### الى بنى عامر

بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب الأسدى رضى الله عنه الى بنى عامر (بالسبئ) وهو ماء من ذات عرق الى وجدة ، ناحية (ركبة) من وراء المعدن على ثلاثة مراحل من مكة الى طريق البصرة وخمسة مراحل من المدينة و ( ركبة ) واقعة شرق مكة بشمال ، وواقعة جنوب المدينة المنورة وهي أرض واسعة لاجبل فيها ولا علم ، ويبلغ طولها نحو ١٥٠ ميلا ، وعرضها مثل ذلك ، وكان يقام فى طرفها الغربى سوق عكاظ

وفى اطرافها آبار كثيرة ، وهى مرعى لهوازن ( عتيبة ) اذا نزل عليها المطر بغزارة ، وهى على طريق العراق الذى عمله العباسيون ، ويسلكه اغلب سكان نجد حين يأتوا للحج وذلك فى شهر ربيع الاول سنة ثمان من الهجرة ومعه أربعة وعشرون رجلا الى جمع من هوازن — عتيبة — وأمره ان يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم وهم غافلون وقد نهى اصحابه أن يمعنوا فى الطلب وذلك لانهم قليلون واعداءهم لا يحصون عددا وهذا يعد من اعظم سياسة القواد اذانهم لو أمعنوا فى الطلب لتمزقوا شر ممزق ، فأصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكان سهم كل رجل خمسة عشر بعيرا وعدل البعير بعشرة من الغنم .

## سرية كعب بن عمير الغفارى
### الى ذات الأطلاح

بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفارى رضى الله عنه الى ( ذات أطلاح ) من أرض الشام وراء ذات القرى فى ربيع الاول سنة ثمان من الهجرة فى خمسة عشر رجلا فوجدوا جمعا كثيرا وكان للقوم صابر فأخبرهم بقلة المسلمين فلما دنى كعب منهم دعاهم الى الاسلام فلم يستجيبوا ورشقوهم بالنبل فقاتلهم المسلمون أشد القتال حتى قتلوا عن آخرهم

الاكعب بن عمير فانه أفلت منهم فلما جن عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فشق ذلك عليه وهم بالبعث اليهم فبلغه أنهم ساروا الى محل آخر فتركهم . وما اشبه هذه الحادثة بحادثة بشير بن سعد الانصاري .

## سرية مؤتة

وهي قرية من قرى البلقاء بأرض الشام من اعمال الكرك وعلى بعد مرحلتين من بيت المقدس ونقل ياقوت الحموي عن المهلب انه قال : مآب وأذرح مدينتا الشراة على اثنى عشر ميلا من اذرح ضيعة تعرف بمؤتة . وسبب ذلك ان رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الازدي احد بني لهب رضي الله عنه الى ملك بُصرى بكتاب فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني وهو من امراء قيصر على الشام فقال اين تريد ؟ قال الشام ، قال لعلك من رسل محمد ؟ قال نعم انا رسول رسول الله ﷺ فأمر به فأُوثق رباطاً ثم قدمه فضربت عنقه صبراً ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه الامر فندب الناس لذلك وتجهز الجيش وعسكر في الجرف وهم ثلاثة آلاف فأمر عليهم زيد بن حارثة رضي الله عنه وقال رسول الله ﷺ للجيش «ان قتل زيد فأميركم جعفر» فوثب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كنت أرهب ان تستعمل علي زيداً ، فقال رسول الله ﷺ « فانك لا تدرى أي ذلك خير » ثم قال « فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس ، فان قتل فليرتض المسلمون برجل منهم فليجعلوه عليهم » وعقد لهم لواء أبيض ودفعه لزيد بن حارثة وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير ويدعو من هناك الى الاسلام فان أجابوا والا استعانوا عليهم بالله تبارك وتعالى وقاتلوهم . فخرج الجيش في شهر جمادى الاولى سنة ثمان من الهجرة ، وخرج رسول الله ﷺ واصحابه معه مودعاً لهم ومشيعا حتى بلغ ثنية الوداع فوقف فقال لهم « أوصيكم بتقوى الله و بمن معكم من المسلمين خيرا ، أغزوا باسم الله قاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون رجالا فى صوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرا ولا بصيرا فانيا ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناء » وقال المسلمون لهم دفع الله عنكم وردكم غانمين ، وودع الناس امراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم فلما ودع عبدالله بن رواحة مع من ودع من امراء رسول الله ﷺ بكى فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة ، قال اما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار ﴿ وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ثم أنشد

لكننى أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثى أرشد الله من غاز وقد رشدا

ثم أتى عبد الله بن رواحة رضى الله عنه رسول الله ﷺ فودعه وقال :

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذى نصرْ
انى تفرست فيك الخير نافلة الله يعلم أنى ثابت البصرْ
أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدرْ

فلما توجه القوم وانصرف عنهم المودعون قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

خلف السلام على امرئ ودعته فى النخل خير مشيع وخليل

ثم مضوا حتى نزلوا (معان) من أرض الشام فبلغ الناس ان هرقل قد نزل ماء من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم ، وانضم اليهم من لخم ، وجذام ، والقين ، وبهراء ، و بلى ، مائة ألف عليهم رجل من (بلى) من بنى راشد يقال له مالك بن رافلة فلما بلغ المسلمين ذلك أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا نكتب لرسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا فاما ان يمدنا بالرجال واما ان يأمرنا بأمره فنمضى له فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال ياقوم : والله ان التى تكرهون لتى خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ، ولا قوة ، ولا كثرة ، ولا نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين

اما ظهور واما شهادة : فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس فقال عبد الله بن رواحة فى محبسهم ذلك :

جلبنا الخيل من آجا وفرغ ... نغر من الحشيش لها العكوم
حذرناها من الصوان سبتا ... أزل كأن صفحته أديم
أقامت ليلتين على معان ... فاعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسومات ... تنفس فى مناخرها السموم
فلا وأب مكة لنأتينها ... وان كانت بها عرب وروم
فعيسانا أعنتها فجاءت ... عوابس والغبار لها يريم

فمضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء التيهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها (مشارف) قال أبو هريرة رضى الله عنه شهدت مؤتة فلما لقى العدو منا رأينا مالا قبل لاحد به من العدد، والسلاح، والكراع، والديباج، والحرير، والذهب، فبرق بصرى فقال لى ثابت بن أقرم يا أبا هريرة كأنك ترى جموعا كثيرة ؟ فقلت نعم، قال انك لم تشهدمعنا بدرا انا لم ننصر بالكثرة. وانحاز المسلمون الى قرية (مؤتة) فالتقى الناس عندها فتعبأ لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم قطبة بن قتادة العذرى، وعلى ميسرتهم عبادة بن مالك الانصارى، ثم التقى الناس واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة رضى الله عنه براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح العدو فقتل رضى الله عنه. فأخذ الراية

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ذلك الغضنفر فقاتل بها حتى ألحمه القتال فاقتحم عن فرس له شقراء فعقرها كي لا يغتنمها العدو ، ولا يطمع في الهزيمة ولم يكن أحد قبله من المسلمين عقر فرسا في القتال فأخذ الراية بيده اليمنى وناطح العدو وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليَّ اذ لاقيتها ضرابها

فاقتتل مع العدو فقطعت يمينه فأخذها بشماله فقطعت شماله فاحتضنها بعضديه حتى قتل رضي الله عنه ذلك البطل العظيم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وبه بضعة وتسعون من طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم كما رواه البخاري وأصحاب السنن والسير ، ولم تكن منها واحدة في قفاه وهذا مما يدل على اقدامه الباهر ! وشجاعته العظيمة وبسالته الفائقة ، هذا جعفر بن أبي طالب الذي قد قضى عشر سنين في بلاد الحبشة ولم يحضر منها الا في فتح خيبر ولم يمارس الحروب في حومات الوغى ويعد موقفه هذا هو الاول والآخر في بابه فقد برهن في هذا الموقف على شدة بأسه وعظيم جرأته وثبات جأشه ، حيث لم يترك شيئاً من صفات الشجاعة الا وقد أتى بها في هذا الموقف وقد عاجله المنون وكتبت له الشهادة وتسجل في صفيح اعاظم الابطال فرحمه الله تعالى ورضي عنه . فلما قتل

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه أخذ الراية عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه ثم تقدم بها وهو على فرسه يقول :

يا نفس ان لا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت قد أعطيت ان تفعلي فعلهما هديت

يريد بقوله ان تفعلي فعلهما هديت يعني زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ثم نزل ، فأتاه ابن عمه بعرق اللحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يديه ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحمصة في ناحية الناس ثم قال لنفسه وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده وأخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه سعيدا . فأخذ الراية ثابت بن أقوم العجلاني فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا أنت . قال ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فأخذ خالد الراية فقاتل العدو بقية يومه ثم لما أصبح في اليوم الثاني جعل مقدمة الجيش ساقته ، وساقته مقدمته ، وميمنته ميسرته ، وميسرته ميمنته ، واشتبك القتال فظن العدو انه جاء المسلمين مدد وقاتل في ذلك اليوم المسلمون قتالا شديدا ، وقاتل خالد بن الوليد رضي الله عنه قتالا شديداً حتى اندقت في يده يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يده الا صحيفة يمانية (رواه البخاري) فهزم المشركين ، وانحاز خالد بن الوليد بالمسلمين ولم يتبع العدو لكثرة عدده ورجع بالمسلمين وبما حازه

من سلب من قتل من العدو ودفن الامراء الثلاثة زيدا ، وجعفر ، وعبدالله بن رواحة ، فى حفرة واحدة . ثم فى رجوعه مر على قرية بها حصن وكان أهل الحصن قتلوا رجلا من المسلمين في ذهابهم فحاصرهم خالد حتى فتح الله عليهم عنوة وقتل مقاتلتهم فسمى ذلك المكان نقيع الدم.

روى البخاري عن انس ان النبي ﷺ نعى زيداً ، وجعفر ، وابن ابي رواحة ، للناس قبل ان يأتيهم خبرهم فقال « اخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ بن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان ، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم » وفى حديث ابى قتادة ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء ، وهو أمير نفسه ، ثم قال رسول الله ﷺ « اللهم انه سيف من سيوفك فأنت تنصره » فمن يومئذ سمي خالد سيف الله كذا فى فتح البارى . وفى زاد المعاد للحافظ ابن القيم قال رسول الله ﷺ « مثل لي جعفر ، وزيد ، وابن رواحة فى خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرايت زيداً وابن رواحة فى اعناقهما صدود ، ورايت جعفر مستقيما ليس فيه صدد قال فسألت او قيل لي انهما حين غشيهما الموت عرضا او كانهما صدا بوجوههما ، واما جعفر فانه لم يفعل » وقال رسول الله ﷺ في جعفر « ان الله ابدله بيديه جنا حين يطير بهما فى الجنة حيث شاء » وقال موسى ابن عقبة قدم يعلي بن منبه على رسول الله ﷺ بخبر اهل مؤتة فقال

له رسول الله ﷺ « إن شئت فاخبرني وإن شئت اخبرتك ؟ » قال : اخبرني يا رسول الله : فأخبره ﷺ خبرهم كله ووصفهم له فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً لم تذكره وإن أمرهم لكما ذكرت : فقال رسول الله ﷺ « ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معسكرهم » .

فلما أقبل الجيش راجعا الى المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مع القوم على دابة فقال « خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر » فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . وكان شاع في المدينة ان الجيش فر من لقاء العدو فجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يا فرار فررتم في سبيل الله ، فيقول رسول الله ﷺ « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله تعالى »

## غنائم مؤتة

روى ابن اسحاق ، ومحمد بن عمر ، والحاكم في الأكليل ، عن جابر رضي الله عنه قال غنم المسلمون بعض امتعة المشركين وكان فيما غنموا خاتم جاء به رجل الى رسول الله ﷺ فقال قتلت صاحبه يومئذ فنفله رسول الله ﷺ اياه . وروى محمد بن عمر عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال حضرت مؤتة فبادرني رجل منهم يومئذ فأصبته وعليه

بيضة له فيها يا قوتة فلم يكن همتي الا الياقوتة فأخذتها فلما رجعنا الى المدينة أتيت بها رسول الله ﷺ فنفلنيها فبعتها زمن عثمان رضي الله عنه بمائة دينار فاشتريت بها حديقة نخل قال في البداية وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من من أمرائهم . عن سبيل الهدى والرشاد ( السيرة الشامية )

## اسماء من استشهد بمؤتة

كتب الله الشهادة والسعادة والعلو في الجنة للمهاجرين والانصار رضي الله عنهم أجمعين فمن المهاجرين (١) جعفر بن ابي طالب (٢) زيد ابن حارثة (٣) مسعود بن الاسود بن حارثة العدوى (٤) وهب بن سعد بن أبي السرح . ومن الانصار (٥) عبدالله بن رواحة الانصاري الخزرجي (٦) عبادة بن قيس الخزرجي الانصاري (٧) الحارث بن النعمان بن أساف النجاري الانصاري (٨) سراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء النجاري الانصاري (٩) أبو كليب بن عمرو بن زيد النجاري الانصاري (١٠) اخوه جابر بن عمرو الانصاري (١١) عمرو بن سعد بن الحارث الانصاري (١٢) عامر بن سعد بن الحارث الانصاري .

فهؤلاء اثنا عشر رجلا الذين أحصيت اسماؤهم من قتلى يوم مؤتة من المهاجرين والانصار : فاحصاهم اجمالا ابن اسحاق وابن هشام

ونقل عدتهم بالأسماء الحافظ ابن القيم فى زاد المعاد . وفي هـذه الوقعة اقتتل ثلاثة آلاف من المسلمين مع مائتي ألف من الروم والعرب المتنصرة من بادية الشمال دامت سبعة أيام وحمى فيها الوطيس واشتد القتال بصفة هائلة ولم يقتل من المسلمين فيها سوى الثلاثة الامراء ، وتسعة من الجيش ، ولم يعلم مقدار ما قتل من العدو مقابل الاثنى عشر الشهيد ، ومقابل ماحصدتهم سيوف خالد بن الوليد التسعة التى تكسرت واندقت فى أعناق الأعداء ، ومقابل ما قتل زيد بن حارثة ذلك البطل الذى عرف فى مواقفه السالفة من شدة بطشه بالعدو ، ومقابل ما قتل جعفر بن أبي طالب ذلك البطل العظيم الذى أدهش الناس يوم مؤتة حين ترجل عن فرسه وعقره وأخذ يسحق بسيفه قلب الروم حتى طُعن وضُرب بيضع وتسعين سيفاً ورمحا فى صدره وقطعت يداه ، وذلك الانصارى عبد الله ابن رواحة الذى جال جولاته براية رسول الله ﷺ وأخذ يسيف العدو بسيفه ، ثم ماذا عمل جيش المسلمين حينما فاز على المشركين والمتنصرة وهزمهم في اليوم الاخير وأخذ يضرب بسيفه ، ويقذف برمحه ، وينبل بقوسه في أعناقهم . فمن كان يظن ان جيشا عدد رجاله ثلاثة آلاف يهزم مائتي ألف فى عدده وعدته وخيله وسلاحه وعظمته وغروره بنفسه؟ اكان يظن أحد من أفراد ذلك الجيش الاسلامي ان يعود الى المدينة سالما من ذلك العدو المتلبد أمامه تلبد السحب ؟ ولكن من ينظر بنظر

الحقيقة المجردة عن الهوى والالحاد ويكون على علم بقواعد العرب القدماء في حروبهم فيعلم أولا ان حزب الله هم الغالبون لأن الغرض الوحيد والهدف المقصود عند كل فرد من افراد المؤمنين هو الشهادة في سبيل الله فتجد الرجل منهم لا يزال مهاجما حتى يظفر بخصمه أو يموت شهيدا ؛ وذلك بخلاف خصمه فانه لا يقاتل الا لنزعة جاهلية ، أو لعصبية قومية ، أو يكون مساقا الى القتال بقوة قاهرة ، فطبعا لا يستطيع هذا ان يقابل ذاك في حومة الوغى . ثانيا — كانت الحرب اما بالسيف ، او الرمح ، او القوس ، فكثرة العدد في تلك الحروب لا تجدي نفعا فاذا تأملت ذلك الموقف تعلم ان الثلاثة الآلاف لم يقابلهم الا مثلهم في العدد أو على الاكثر ضعفهم وباقي الجيش العظيم يظل بعيدا مكدسا خلف بعضه بعضا فلا يمكنه ان يجول في حومة الوغى أو يصول في ميدان القتال ، لأن كثرته أصبحت حيلولة بينه وبين من يقصد قتاله ، ثالثا — ان قتال العرب القدماء هو على حسب فروسية كل فرد منهم وقوة شجاعته وأقدامه وشدة بأسه وقد تواتر في التاريخ عن افراد من العرب امتازوا على كثير من غيرهم جاهلية واسلاماً بالفروسية فكان الرجل منهم يقف في ميدان القتال ويطلب البراز فلا يجد من يبارزه ، ومن الجهل والغباوة والحماقة ان تقاس تلك الحروب التي عدتها السيف والرمح والقوس بالحروب العصرية التي عدتها الطيارات والمدافع الضخمة والرشاشات والغازات

الخانقة وغير ذلك لان عمدة أولئك المتقدمين على مهارة القائد و بسالة الفارس وشجاعة الابطال . وعمدة المتأخرين على الفن . ولكل امة ، وعصر ، أسلوب معلوم فى الحرب لايجهله الا قاصر العقل ، والادراك والاطلاع ، على تاريخ الامم فاذا كان الفوز للمؤمنين على الكافرين والسر فى ذلك هو قوة الايمان ونصرة الله تعالى لعباده المتقين الذين يقاتلون لاعلاء كلمته ، وما النصر الا من عند الله العلي العظيم ولاشك ان هذه الوقعة معجزة لرسول الله ﷺ ولاهل الايمان المخلصين فى كل اعمالهم لله تعالى . فلو كان المسلمون اليوم على هذا اليقين لما وصلوا الى ما وصلوا اليه من الاضطهاد والتأخر فى الدين والدنيا والوطن والرابطة والاجتماع حيث انهم اصبحوا اشد بلاء على انفسهم من عدوهم وهم الذين مهدوا السبيل لعدوهم على انفسهم بخذلان بعضهم لبعض و بتفككهم من الرابطة الدينية و الدنيوية و الوطنية و الاجتماعية فلا حول ولاقوة الا بالله الهمهم الله رشدهم .

## سرية عمرو بن العاص

### الى ذات السلاسل

ذات السلاسل هى وراء وادى القرى شمال المدينة و بينها و بين المدينة عشرة أيام بحسب سير القوافل عن نحو مائتين وخمسة وسبعين ميلا ، وسبب

ذلك انه بلغ رسول الله ﷺ ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون ان يدنوا الى اطراف المدينة فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه فعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء وبعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرساً وأمره ان يستعين بمن يمر به من بلى، وعذرة، وبلقين، وذلك ان عمراً كان ذا رحم فيهم كانت أم العاص بن وائل بلوية فأراد رسول الله ﷺ ان يتألفهم بعمرو. فخرج عمرو فى جمادي الآخرة سنة ثمان من الهجرة فسار الليل وكمن النهار فلما قرب من القوم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث عمرو رافع بن مكيث الجهنى الى رسول الله ﷺ يستمده بالرجال فبعث اليه أبا عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه فى مائتى رجل وعقد له لواء وبعث معه سراة المهاجرين كأبى بكر، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما وعدة من الانصار رضى الله عنهم أجمعين وأمر رسول الله ﷺ أبا عبيدة أن يلحق بعمرو ابن العاص وان يكون جمعا ولا يختلفا فلما لحق به اراد أبو عبيدة ان يؤم الناس، فقال عمرو انما قدمت علىّ مددا وأنا الامير، فقال المهاجرون كلا بل أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه. فقال عمرو لا بل أنتم مددنا فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف وكان رجلا ليناً حسن الخلق لين الشيمة سهلا هينا لايهمه من أمر الدنيا شئ وغرضه الوحيد أمر رسول الله ﷺ وما عهد به اليه فقال: تنظرن يا عمرو، وتعلمن ان آخر شئ عهد الىّ

رسول الله ﷺ ان قال « اذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا » وانك والله ان عصيتنى لاطيعنك ، قال عمرو فانى الامير عليك وأنت مددى . قال أبو عبيدة فدونك . قال فانطلق المغيرة بن شعبة الى أبى عبيدة فقال ان رسول الله ﷺ قد استعملك علينا وان ابن فلان قد اتبع أمر قوم فليس لك معه أمر ، فقال أبو عبيدة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ أمرنا ان نتطاوع فانا أطيع رسول الله ﷺ وان عصاه عمرو ، فأطاع أبو عبيدة عمراً فكان عمرو بن العاص يصلى بالناس وصار معه خمسمائة فسار حتى نزل قريبا منهم وهم ثمانون فجمع أصحابه الحطب يريدون ان يصطلوا وهم بأرض باردة فمنعهم وسار حتى وطئ بلاد قضاعة فدوخها حتى أتى الى اقصى بلادهم ولقى فى آخر ذلك جمعا ليسوا بالكثير فاقتتلوا ساعة وحمل المسلمون عليهم فهزموهم وتفرقوا ودوخ عمرو هنالك وأقام اياما لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم فكانوا ينحرون ويأكلون ولم يكن أكثر من ذلك ولم يكن فى ذلك غنائم تقسم

وقع بين عمرو بن العاص وبين كبار الصحابة رضى الله عنهم خلاف فى ثلاثة مسائل ، الاولى أراد المسلمون ان يتتبعوا فلول المشركين المنهزمين فمنعهم عمرو ، الثانية أرادوا أن يوقدوا ناراً ليصطلوا عليها من البرد فمنعهم عمرو وقال من أوقد ناراً قذفته فيها . فشق ذلك عليهم لما فيه من شدة

البرد ، فكلمه بعض سراة المهاجرين فى ذلك فغاظ عليهم عمرو فى القول ، وقال له قد أمرت أن تسمع لى وتطيع قال نعم ، قال فافعل ، يعنى أطع ، ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه غضب وهمّ ان يأتيه فمنعه أبو بكر رضى الله عنه وقال ان رسول الله ﷺ لم يستعمله الا لعلمه بالحرب ، فسكت . والثالث أحتلم عمرو بن العاص وكانت تلك الليلة شديدة البرد جداً فقال لأصحابه ما ترون قد والله احتلمت فان اغتسلت مت ، فدعا بماء ففسل فرجه وتوضأ وتيمم ثم قام وصلى بالناس . هذه هي الثلاثة المسائل التى وقع فيها الخلاف .

ثم بعث عمرو بن العاص عوف بن مالك الاشجعي مبشراً لرسول الله ﷺ بقدومهم وسلامتهم . قال عوف بن مالك رضى الله عنه جئت رسول الله ﷺ وهو يصلى فى بيته فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته : فقال « عوف بن مالك ؟ » فقلت نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله . قال « أخبرنى » فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان بين أبى عبيدة بن الجراح ، وبين عمرو ، ومطاوعة أبى عبيدة لعمرو . فقال رسول الله ﷺ « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح » وأخبرته بمنع عمرو للسبن من اتباع العدو ومن إيقاد النار ومن صلاته بأصحابه وهو جنب ، فلما قدم عليه عمرو كلمه رسول الله ﷺ فى ذلك قال : كرهت ان يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم ، وكرهت ان يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفون عليهم :

فحمد رسول الله ﷺ امره . قال عمرو وسألني عن صلاتي فقال « يا عمرو صليت بأصحابك وانت جنب ؟ » فقلت : والذي بعثك بالحق اني لو اغتسلت لمت لم اجد برداً قط مثله وقد قال الله تعالى ﴿ ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال ابن اسحاق في سبب تسمية هذه السرية بذات السلاسل نزولهم بعض المسلمين على ماء بجذام يقال له (السلسل) قال وبذلك سميت ذات السلاسل . وللعلماء في صلاة عمرو بن العاص بالصحابة اقوال وملخصها في كتاب زاد المعاد للحافظ ابن القيم فليراجع لاني اكتب في التاريخ ولم اكتب في الفقه .

## سرية ابي عبيدة بن الجراح

### الى سيف البحر

هكذا سمى الامام البخاري هذه السرية (بسيف البحر) يعني ساحل البحر وسماها اهل السير سرية (الخبط) وهو ورق السلم وبعضهم قال انها الى قبيلة من جهينة إسمها (القبلية) وخلاصة روايات البخاري ان النبي ﷺ بعث ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في ثلاثمائة راكب يرصدون عيراً لقريش فخرجوا فلما كانوا ببعض الطريق فنى زادهم وكان تمراً فأمر ابو عبيدة بجمع الزاد من الجيش فجمع فصار يقوتهم به قليلا ،

قليلا ، الى ان صار تمرة واحدة لكل رجل في اليوم حتى فقى فنحر لهم قيس بن عبادة الانصاري ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم أن أبا عبيدة نهاه عن ذلك فأصابهم جوع شديد حتى اكلوا الخبط فسمي جيش ( الخبط ) فلما أتوا سيف البحر يعني الساحل ألقى اليهم البحر دابة يقال لها العنبر فأكلوا منه نصف شهر وأدهنوا منه حتى ثابت منه اجسامهم وصلحت واخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنظر الى أطول رجل في الجيش وأطول جمل فحمل عليه ومر تحته فلم يصبه وتزودوا من لحمه وشائق فلما قدموا المدينة أتوا رسول الله ﷺ فذكروا له ذلك فقال « هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه تطعمونا » فارسلوا الى رسول الله ﷺ منه فأكل .

هذا محصل ما عند البخاري وعند اصحاب السير تفصيل في ذلك وحاصله ان الجيش خرج وعاد ولم يلتق لا بجهينة ولا بقريش ولم يلق كيدا ، ووقع خلاف في كون هذه السرية كانت في رجب سنة ثمان من الهجرة وذكر فيها ان خروجهم كان لرصد عير قريش أو ان هذا الوقت كان وقت الهدنة فلا يتفق ، وفي ذلك شرح طويل وقد أزال هذا الاشكال الحافظ ابن حجر ، قال الحافظ لكن قال شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب قالوا وكانت هذه السرية في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة وذلك بعد نكث قريش العهد وقبل الفتح فانه كان في رمضان

من السنة المذكورة انتهى . فظهر من ذلك انهما كانت فى شهر رجب وارصد عير قريش بعد نقض العهد وقبل فتح مكة بشهرين والله اعلم

## سرية ابى قتادة بن ربعى
### الى خضرة

بعث رسول الله ﷺ أبا قتادة بن ربعى الأنصاري رضى الله عنه فى خمسة عشر رجلا الى (خضرة) وهي أرض محارب بنجد وذلك فى شهر شعبان سنة ثمان من الهجرة الى غطفان وأمره ان يشن الغارة عليهم فسار يسير الليل ويكمن النهار حتى هجم عليهم وأحاط بهم وقتلوا من اشرافهم واستاقوا الأبل ، والغنم ، وكانت الأبل مائتي بعير ، والغنم الفي شاة ، ووقع فى ايديهم سبايا كثيرة فأصاب كل رجل بعد الخمس اثنا عشر بعيرا وعدل البعير بعشرين من الغنم وكانت غيبتهم خمس عشر ليلة. وهذه القصة من القصص الغريبة في بابها لكون خمسة عشر رجلا هاجموا قبيلة واحاطوا بهم وقتلوا من أشرافهم وسبوا نساءهم واستاقوا مواشيهم؟ ولكن من تصفح السيرة لا يستغرب ذلك ، وما قصة مؤتة ببعيد ، وقد قال تعالى ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله ﴾ وما النصر الا من عند الله فالمسلم لا يستبعد وقوع ذلك وقد حدثنا التاريخ عن اشياء كثيرة تشبه ذلك كما سيأتى .

# سرية عبدالله بن ابى حدرد الاسلمى
## الى الغـاب

( الغـاب ) وهو الشجر الملتف بلغ رسول الله ﷺ ان رفاعة بن قيس فى جمع عظيم نزل بالغابة يريد حرب رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ عبدالله بن أبى حدرد الاسلمى رضى الله عنه ورجلين من المسلمين فقال « اخرجوا الى هذا الرجل حتى تأتونى منه بخبر » ودفع لهم قانة مسنة وقال لهم « تبلغوا عليها واعتقبوها » قال عبدالله بن حدرد رضى الله عنه فركبها أحدنا فوالله ماقامت به ضعفا حتى ضربت فخرجنا وممنا سلاحنا النبل والسيوف حتى اذا جئنا قريبا من القوم عند غروب الشمس فكنت فى ناحية وصاحباي فى ناحية أخرى فقلت لهما اذا سمعتمانى قد كبّرت فكبروا ، فوالله انا كذلك نفتظر غرة القوم الا ورفاعة بن قيس المجمع لقوم خرج فى طلب راع لهم أبطأ عليهم وتخوفوا عليه ، فقال له نفر من قومه نحن نكفيك ولا تذهب أنت ، فقال والله لا يذهب الا انا ، فقالوا فنحن معك ؟ فقال والله لا يتبعنى أحد منكم ، وخرج حتى مر بى فلما أمكننى نفحته رميـة بسهم فوضعته فى فؤاده ، فوالله ما تكلم ووثبت عليه فاحتززت رأسه ، وشددت فى ناحيـة العسكر وكبرت ، وشد صاحباي و كبرا ، فهرب القوم واستقنا ابلا وغنما كثيرة

فجئنا بها رسول الله ﷺ وجئت برأسه أحمله معى الى رسول الله ﷺ فاعانى رسول الله ﷺ من تلك الابل بثلاثين بعيرا .

هذا ما كان من جرأة عبدالله بن حدرد ومغامرته فى قتل رفاعة بن قيس وشن الغارة على قومه وحلته واغتنام أموالهم ، ولم يكن معه من الجيش غير نفرين هو ثالثهم ، فكانت هذه القصة أعظم جرأة من التى قبلها وأشد مغامرة ، ولم يتقدم الاسلام فى فتوحاته الا بمغامرة أبطاله وشدتهم فى البأس ، وسبب هذه الجرأة قوة الايمان بالله تعالى وشدة يقينهم فى الله بالفوز على أعدائهم ، وهذا هو مولد القوة والجرأة فيهم ، وبذلك قد فازوا على أعدائهم فى عموم مواقفهم وفتوحاتهم وغزواتهم ، وما النصر الا من عند الله تعالى .

## سرية ابى قتادة

### الى بطن اضم

لما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة وغزو أهلها بعث أبا قتادة ابن أبى ربعى الانصارى رضى الله عنه الى ( بطن اضم ) فيما بين ذى خشب ، وذى المروة ، على ثلاثة برد من المدينة فى أول شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة وذلك لاجل ان يخفى أمره ويظن الظان انه ﷺ توجه الى تلك الناحية ولأن تذهب بذلك الاخبار . فلقوا عامر بن الأضبط

« م ١٣ ج ٣ حياة سيد العرب »

فسلم عليهم بتحية الاسلام ، فقتله محلم بن جثامة لشيء كان بينه وبينه ، وسلبه متاعه وبعيره ، ثم أتوا المحل الذي أمرهم رسول الله ﷺ ان يؤتوه ، وعند وصولهم الى المحل رجعوا فبلغهم ان رسول الله ﷺ قد توجه الى مكة فمالوا اليه حتى لقوه ، وأخبروه الخبر . فقال رسول الله ﷺ لمحلم « اقتلته بعد ما قال آمنت بالله ؟ » قال محلم يا رسول الله انما قالها تحية الاسلام متعوذا ، قال « افلا شققت عن قلبه ؟ » قال لم يا رسول الله ؟ قال « لتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ » فقال يا رسول الله لو شققت عن قلبه أكنت اعلم ما في قلبه ؟ فقال له « فلا انت قبلت ما تكلم به ولا انت تعلم ما في قلبه » فقال استغفر لي يا رسول الله ؟ فقال « لا غفر الله لك » . فقام يتلقى دمعه ببرده ، وانزل الله تعالى فيه ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ﴾ الآية .

فلما كان رسول الله ﷺ بجنبن عمد الى ظل شجرة فجلس تحتها فقام اليه الاقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، يختصمان في عامر بن الاضبط فكان عيينة بن حصن يطلب دمه ، والاقرع بن حابس يدافع عن محلم ابن جثامة ، وارتفعت الاصوات وكثرت الخصومة ، فقال رسول الله ﷺ لعيينة ومن معه « بل تأخذوا الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين اذا رجعنا » وهو يأبى عليه فلم يزل به حتى اتفقا على الدية . ثم قالوا ان

محلما يستغفر له رسول الله ﷺ ، فقام محلم وهو رجل آدم طويل وعليه حلة قد كان تهيأ للقتال فيها حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ وعيناه تدمعان فقال له ما اسمك ؟ قال انا محلم قد فعلت الذى بلغك وانى اتوب الى الله تعالى فاستغفر لى يا رسول الله ؟ فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال « اللهم لا تغفر لمحلم » قالها ثلاثا بصوت عال . فقام محلم يتلقى دمعه بفضل ردائه فما مكث الا سبعا حتى مات ، فلما دفن لفظته الارض حتى ضموا عليه الحجارة ، فاخبروا رسول الله ﷺ بذلك فقال لهم « ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله يعظكم » وفى رواية « ان الله أحب أن يريكم تعظيم حرمة لا اله الا الله »

هذا حاصل ما وقع فى هذه السرية التى بعثها رسول الله ﷺ لاجل ان يوهم على الناس انه لا يريد غزو قريش حتى لا يفطن اهل مكة انه ﷺ يتهيأ لغزوهم ، وأهم ما فيها قضية محلم الذى أغضب رسول الله ﷺ بعمله ذلك ، حيث كان عمله على خلاف ما بعث به رسول الله ﷺ من الهدى والصلاح ، ودعاية الناس أجمعين الى الاسلام ، وتأليف قلوبهم ، واصلاح ذات بينهم ، وابادة النخوة الجاهلية ، وقبول من كان اشد الناس عداوة له حتى ولو كان دخوله في الاسلام نفاقا ، حيث كان على جانب عظيم من التسامح فكان يعفو ، ويصفح ، ويتلطف ، ويسمح ، ويتألف القلوب ، وبهذه المعاملة دخل كثير من الناس فى ابتداء أمرهم

نفاقا ، ولكنهم ما لبثوا غير قليل حتى فهموا حقيقة الدين الاسلامي و بتأثيره على أخلاقهم جعلهم من المؤمنين ، وتطهرت قلوبهم من النفاق .

فكان قتل محلم لعامر بن الاضبط بعد أن سلم عليهم بتحية الاسلام التي هي شعار المسلمين من اكبر الكبائر حتى أثار بعمله ذلك غضب النبي ﷺ الذي لا يغضب لنفسه وانما يغضب لمحارم الله تعالى وجعله يرفض ان يستغفر له ، لأن عمله هذا هو ضد القاعدة الاسلامية ومخالف لمسالك النبي ﷺ في جمع كلمة الناس على قول ( لا اله الا الله محمد رسول الله ) وذلك ان النبي ﷺ لم يبعث لجر مغنم ، أو جمع الاموال او للتشفي ممن يكره ، أو للانتقام لنفسه ، أو لابادة البشر ، ولو خير رسول الله ﷺ بين ان يعطى خزائن الارض ، وبين ان يدخل في الاسلام رجل واحد ولو كان من أحقر الناس لاختار دخول ذلك الرجل الاشعث الاغبر ، على خزائن الارض ، فالاسلام هو الحصن المتين لعموم افراد المسلمين ، حيث قد وضع أساسه على كلمة (لا اله الا الله محمد رسول الله) وفرض على معتنقيه أن يضحوا أنفسهم لاعلاء كلمة الله تعالى ، وازالة البؤس والشقاء عن الناس ، وذلك بربط قلوبهم برابطة التوحيد ، والاخاء الصحيح ، وحقن الدماء ، وازالة البغي والفساد ، من كافة انحائه . فبذلك صار الاسلام ثابتا في نفوس معتنقيه لم يتزعزع من قلوبهم وأخذ ينتشر في انحاء المعمورة حتى عم جهاتها الاربع بصفة خارقة فوق تصور البشر ،

رغما عن التقلبات التي وقعت عليه من المسلمين أنفسهم ، حيث كانوا ولا يزالون هم البلاء الوحيد على أنفسهم ، وهم العقبة الكؤود ، وحجر العثرة في سبيل تقدمهم ، فباسم الدين يتخاذلون ، وباسم الدين يتناحرون ، وباسم الدين يستحل بعضهم دماء بعض ، ولو لا ذلك التخاذل ، وذاك الشقاق ، لما كان اليوم على ظهر الكرة الارضية دين غير دين الاسلام ، ولا لغة غير اللغة العربية والتاريخ شاهد على ذلك . ولو كان المسلمون ساروا على سير رسول الله ﷺ واقتدوا باعماله ، واقواله ، وتخلقوا باخلاقه حرفا بحرف ، وزجروا المتطرفين منهم والمتعجرفين على الناس باسم الدين أمثال محلم في قتل عامر بن الاضبط ، وبرهن القائمون بأمر الدين ، والسياسة من المسلمين منذ عصر السلف الصالح عصراً بعد عصر وجيلا بعد جيل انهم لا يريدون من أعمالهم غير اعلاء كلمة الله تعالى قولا وفعلا لخضع لهم اهل الارض عموما ، ولاصبحوا كتلة واحدة ، وجسما واحدا ، وأمن بعضهم شر بعض ، وسلمت نفوسهم من القتل ، وأموالهم من النهب ، وأوطانهم من الاستعمار ، ولزال كل تحاسد ، وتباغض ، وحقد ، وتنافر فيما بينهم ، وأصبحوا أمة واحدة لافضل لعربي على عجمي ، ولا لشريف على وضيع ، ولا لغني على فقير ، الا بالتقوى .

ولم تضع الفرصة ، حيث لايزال طريق الهدى والصلاح سهل المسالك فمتناوله كتاب الله تعالى الذي هو بأيدينا على حكمه كيوم نزل على نبي الاسلام

بحروفه ، وكلماته ، وآياته ، وسوره ، ومصباحه سنة رسول الله ﷺ . وخارطته عمل الخلفاء الراشدين ، وليس على المسلمين الا سلوكه ومتى سلكوه وصلوا الى مجدهم الخالد ، وعزهم التالد ، فالجادة امامنا وكل من سار على الدرب وصل . ولا اخرنا عن التقدم الا تقاعدنا عن طلب السعادة من طريقها الذى سلكه سلفنا الصالح .

وهنا اذكر المرض الذى أصاب المسلمين فى ارواحهم ، ونفوسهم ، وأوجب التفكك ، والتخاذل ، والانحلال ، فيما بينهم ، وهذا المرض على قسمين : القسم الاول هو البدع والضلال اللذين دخلا على المسلمين فى عقائدهم الدينية ففرقهم شر تفرق ، من معتزلة ، وخوارج ، وروافض وما تفرع عن ذلك حتى صار الدين عبارة عن صفق ، ورقص ، وزمر ، وطبل ، ومغنى ، وغير ذلك كما هو معلوم ومفهوم عند من نور الله بصيرته من المسلمين ، فوجه ذلك وجهة العامة الى غير سبيل المهتدين .

والقسم الثانى تمزق المسلمين باسم الوطنية الجوفاء والعصبية الجنسية اللذين هما من اختراعات الاستعمار ، وابتكارات المستعمرين على قاعدة (فرّق تَسد) فباسم الوطنية تفرق الاسلام شيعا وقبائل ، وباسم الوطنية أصبح المسلم عدو المسلم وباسم الوطنية صار الجار المسلم لا يغيث أخيه المسلم المجاور له ، لان الوطنية فرقت بينهم واصبحت الحيلولة الكبرى دون ارتباطهم ببعض - ولأضرب لك مثلا فهذا الفلسطينى يصرخ صرخاته

المتتابعة وينادى باعلاصوته بلسم الوطنية فلم يجبه أخوه المسلم لأنه يعد نفسه أجنبيا عنه لأنه لم يكن فلسطينى . وهذه سوريا تنادى باسم الوطنية السورية فلا يلبى نداءها الافغانى ، ولا الأيرانى ، ولاحتى الفلسطينى أو المصرى . وهذه مصر تصرخ صرخاتها العالية فلا يستطيع الحبشى المسلم ، ولا الصومالى ، بل ولا المغربي ان يغيثها . وقس على ذلك عموم البلاد الاسلامية التى تمزقت شر ممزق ، فلا مغيث من المسلمين لبعضهم البعض ، ولا مجير ، ولا مدافع ، ولا معين . فكل ذلك سببه الدعوة الوطنية.

والذي يوجب الاسف ان نصراء الوطنية والذين ابحّوا اصواتهم من الصراخ بالوطنية لم يفهموا حتى الآن عدم المنفعة من النداء بالوطنية ولم يفكروا فى علاج غير الوطنية يتخلصون به من البلاء الذى وقعوا فيه؟

وربما يسخر الناعقون من قولي هذا ويظنونه حديث خرافة اوجهل مركب ، وسبب السخرية منهم لقولي هذا هو ان أستاذهم في المدرسة لقنهم التحيز للوطنية ، فشبوا على ذلك وشابوا ، وتصلبت ادمغتهم واذهانهم ، على النداء بها بدون ان ينظروا او يفكروا فى الثمرة التى جنوها منها طيلة هذه المدة ، وكأنهم فرحون بهذه الشنشنة التى لا طائل تحتها ، ولا فائدة منها ، ولو فكروا قليلا وتبصروا في تاريخ حياة سيد الامم من عرب وعجم لعلموا ان العلاج الوحيد هو الانضمام إلى الجامعة الاسلامية والنداء باسمها ، وان ذلك اقوى واعظم وانفع من النداء بالوطنية

حيث النداء باسم الجامعة الاسلامية انما ينادى أربعمائة مليون من المسلمين فيهم القوى ، والغنى ، والمفكر ، والعظيم ، وصاحب الشوكة ، والبأس وغير ذلك كما قال النبي ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» ولم يقل الوطني للوطني يشد بعضه بعضا .

وربما يعترض معترض على قولي هذا بان النبي ﷺ قال « حب الوطن من الايمان » فهذا صحيح ، وقول حق ، فحب الوطن لاشك فيه وهو مقدس ، فالواجب يقضي على كل انسان ان يفتدي الوطن بنفسه ، وماله ، وولده ، وكل عزيز لديه ، غير أن هذا لايتعارض مع نظريتنا ، ولا يتخالف معها ، اذ ان حب الوطن بحث ، والنداء بالوطنية بحث آخر ، فحب الوطن يدعو الانسان الى عمارة الوطن ، واصلاحه ، والمدافعة عنه ، ورد كل معتد عليه ، والنداء بالوطنية قطع تلك القطعة من الجسم الاسلامي ، وفصلها عن الجامعة الاسلامية ، وجعلها أكلة سائغة للعدو يبتلعها متى شاء ، وكيف شاء ، حيث ان الجامعة الاسلامية هي الحصن الحصين لعموم مواطن المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، وهي وطن عموم المسلمين . وما جاء الاسلام الا ليجمع الناس على كلة واحدة وهي ( لا اله الا الله محمد رسول الله ) ومبدأ واحد وهو ( اعلاء كلة الله تعالى ) وطريقة واحدة وهي ( الجامعة الاسلامية ) أو ( الرابطة الاسلامية ) حتى يكون المسلمون كلة واحدة ، وجسما واحدا ، اذا اشتكى عضوا منه

تداعى له سائر العالم الاسلامى فى مشارق الارض ومغاربها بالالم والضجر وأخذ يفكر فى اصلاح ذلك العضو ، بماله ، ونفسه ، وأهله ، وولده ، وكل عزيز له .

وقد أبديت هذه النظرية بين كثير من المفكرين ، وناظرنى بعضهم فى عدم تطبيقها وقال : لو قلت وأنا في أحد أمصار المسلمين المستعمرة يا أيها العالم الاسلامي أغثنا ؟ فهل يتسنى لاحد منهم أن يلبى دعوتنا ، او يجيب نداءنا ، فيغيثنا ، أو يجيرنا ، أو ينقذنا من مصابنا ؟ فاجبته على الفور : ان قدوة المسلمين فى عموم أعمالهم هو رسول الله ﷺ وهو المرشد الوحيد لعموم العالم فى عقائدهم ، وعباداتهم ، وأعمالهم ، وسياستهم ، واجتماعهم ، فانه ﷺ لما بعث ما قال ( يا أيها الناس كونوا مسلمين ) فصاروا فى الحال مسلمين . بل علم ، وأرشد ، وناظر ، وصبر ، وربى أناسا من أصحابه حتى صاروا أهلا للعمل . فمجرد النداء لا يجدى نفعا ، ولا يأتي بفائدة ، في هذا العصر الحاضر الذى نحن فيه ، بل يكون صرخة في واد أجدب ، أقحل ، خالى من السكان . لان الآذان لم تألف سماع هذا النداء حتى انها بمجرد سماعها صوت المنادى تلبي نداءه وتجيب دعوته ، حيث أن المسلمين أصبحوا بعد تقاعدهم أزمانا طويلة عن تتبع آثار نبيهم ، وتعاليم دينهم ، صم الآذان عن سماع هذا النداء ، بكم الافواه عن اجابة المنادى ، بل ربما سخروا من داعى الله ،

ورموه بالجنون. لانه صار اهل العصر يرون الرجل المتمسك بدينه متعصب والمتتبع لآثار نبيه متأخر ، أو رجعي ، وهذه الالقاب قد بثها الملحدون في أرواح الناشئة الاسلامية بواسطة اساتذتهم في المدارس ، وخطبائهم في الاندية والمجتمعات ، فكيف بعد هذا كله يرتجى منهم اجابة الداعي الى الجامعة الاسلامية ، وهم ممزقون شر ممزق ، في رابطهم الاجتماعية وعقائدهم الدينية وسياستهم الاسلامية .

وهنا يحق لنا أن نتسائل عن كيفية الوصول الى ربط أواصر الاسلام وجمع كلمة المسلمين ، بعد هذا التفكك الشنيع ، والتخاذل المميت ، والتمزق المريع ، فاقول لابد وان نحطم أولا هذه القيود التي قيدنا بها أساتذة التبشير ، والاستعمار ، والالحاد ، في مدارسنا ونرجع الى الوراء ألف وثلاثمائة وخمسين سنة ، نرجع الى تعاليم المؤسس لهذه الجامعة الاسلامية وهو رسول الله ﷺ ثم نتبصر في اعمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك العصر السعيد . فنتتبع آثار النبي ﷺ في الاخلاق ، والتشريع ، والاجتماع ، والسياسة ، والادارة ، ونسير عليها سيرا حسنا منظما . ثم ننظر كيف كون رسول الله ﷺ من فلذة أكباد المشركين القرشيين بمكة المكرمة بعد صرف جهود عظيمة مدة خمس سنين كتلة متكاتفة من مائة شخص منهم الرجل والمرأة ، والشيخ والشاب ، والقوي والضعيف ، والسيد والمولى ، وكيف صبرت تلك الكتلة على أذى المشركين .

الذين هم الاباء والاخوة لهذه الكتلة ، وكيف ثابرت على التقدم فى أعمالها رغما عن كل ماقام به المشركون من تعذيبهم وارهابهم على الاسلام ، فكان الرجل من المشركين يعذب ابنه واخيه الصغير لاجل ان يرتد عن دين الاسلام ولم تأخذه الشفقة الابوية أو الرحمة العائلية كما تقدم تفصيل ذلك فى الجزء الاول من هذا الكتاب ، وما قصة أبى جندل مع أبيه سهيل بن عمرو ببعيد . ولم يؤثر ذلك فيهم بل قوى ثباتهم ثم تحملوا مشاق الهجرة الى الحبشة والتشتت فى الافاق حتى صارت هجرة النبى ﷺ مع اصحابه الى المدينة ، فآخا بين المهاجرين والانصار ، وبين الشريف والوضيع ، والسيد والمولى ، والغنى والفقير ، وقال « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » كما قال تعالى ﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ فجعل الله سبحانه وتعالى التقوى أساس الاجتماع ، وعلى هذا الاساس بنى صرح الجامعة الاسلامية ، وبه صار الاسلام جسما واحدا ، وكان المسلمون روحا واحدة ، وبموجب ذلك قال الخليفة الثانى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ( لو ان سخلة بوادى الفرات أخذها الذئب يسأل عنها عمر ) معناه أن أمير المؤمنين الذى هو رأس هذا الجسد الاسلامى مسؤلا عن ( السخلة ) التى هى ولد الغنم ساعة وضعه ، اذا اكلها الذئب فاذا كان أمير المؤمنين مسؤلا عن سخلة لا قيمة لها فما بالك بمسؤليته عن

الممالك الاسلامية ؟

وإني انتقل بالقارئ الكريم إلى العصر العباسي وأذكره بنداء الاسيرة المسلمة في بلاد الروم حين قالت ( وا معتصماه ) فاجابها الخليفة المعتصم العباسي من فوق عرشه ببغداد ( لبيك ، لبيك ، أتاك المعتصم ) فخرج من بغداد بجيش جرار وغزا الروم وخلص الاسيرة المسلمة . واذكره بالحضارة العباسية في الشرق ، والحضارة الاموية في الغرب ، وأذكره بالساعة التي ارسلها امير المؤمنين هارون الرشيد الى ملك فرانسا ، فلما وصلت اليه ظن اهل أوربا في ذلك العصر ان فيها عفاريت من الجان يحركونها . فهل قال لكم الدين الاسلامي تقاعدوا عن العمل والاختراع والاكتشاف ، واتركوا ذلك لاوربا وغيرها من الامم العاملة اليوم ، وكونوا عالة عليها حتى في سم الخياط ؟ ام كنتم تقاعدتم عن ذلك من تلقاء انفسكم جبناً وكسلا ؟ او اصغيتم الى قول الملحدون : ان الدين الاسلامي هو الذي اقعدكم عن العمل ؟ فهذا الذي دعاني الى ان ارجع بالمسلمين الى الوراء اكثر من الف عام ، أرجع بهم الى العصور التي كان فيها الاسلام سيد العالم ، وصاحب السيطرة على معظم الكرة الارضية ، وكان بيده نظام العالم والامم .

اما طريق الوصول الى ذلك المجد وربط اواصر العالم الاسلامي الذي اصبح اليوم يربو على اربعمائة مليون من النفوس ، ويقطن من رأس

الرجا الصالح باقصى افريقية الجنوبية ، الى اقصاها شمالا ، ومن المحيط الاتلانتيكي غربا الى اقصى الصين شرقاً ، ومن جزر الاقيانوس جنوبا بما فيها جزر جاوا ، والهند ، والايران ، والافغان ، وتركستان ، وبخارا ، والقفقاس ، الى نجوم روسيا شمالا ، واواسط آسيا ، واطراف اوربا ، وغير ذلك من المعمورة فهنا طريقين ، احدهما — ان العالم الاسلامي يختار منه رجالا اشداء مخلصون فى إسلامهم وجامعتهم الاسلامية ، غيورين على ابناء جلدتهم من المسلمين من عموم اجناس المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، فيضمون فريق منهم في عموم المدارس بعد ان تُخلى من اساتذاتها المتشبعين بالالحاد الذين هم الداء العضال على الناشئة الاسلامية ، فيتولوا تدريس ابناء المسلمين على قاعدة الايمان الصحيح ، وعلى تغذية ارواحهم بالجامعة الاسلامية ، والاخاء الصادق ، ومكارم الاخلاق ، والطريق الثانى تشكيل جمعيات من ألو العزم يلقون محاضرات فى الاندية ، والمجتمعات ، ويسيرون الى الامام بقدم ثابتة ، وقلب صلد ، ورابطة جاش ، فلا يهزهم التهديد ، ولا يصدهم الوعد والوعيد ، يتسلحون بالصبر والثبات ، كما صبر رسول الله ﷺ على أنواع البلاء وأشد الأذاء ، فاذا ثابروا على ذلك بضع سنين فلا شك فى نجاحهم ولا يمض على المسلمين برهة من الزمن الا وقد صار الاسلام قوى الجانب ، عظيم الهيبة ، مصاناً فى وطنه ، وأهله ، وماله ،

وهذا الطريق هو الطريق السلمي ، حيث لم يكن الاسلام بالفتاك أو الاشر ، كما يقول أعداؤه ، بل الاسلام هو المرشد الحكيم إلى سلوك سبيل الهدى والرشاد ، ومرقي العالم والأمم ، والرؤف الرحيم بالفقراء والضعفاء والمساكين ، ولم يستعمل الشدة الا المتمردين على الانسانية والجانين على مكارم الاخلاق ، والتاريخ شاهد على ذلك والله الهادي الى صراطه المستقيم .

## غزوة فتح مكة

جاء اليوم الذي يتطأطئ فيه ابوسفيان بن حرب رأسه أمام رسول الله ﷺ خاضعاً مستسلماً ، وآن اوان رسول الله ﷺ أن يملي على ابي سفيان إرادته كيف شاء ، ويقبلها ابوسفيان طائعاً ، وحان الوقت الذي تكسر فيه انوف المشركين أمام سيد المرسلين ، وتنكس الاصنام وتكسر ، بعد أن كانت تعبد من دون الله تعالى . وجاء الزمن الذي يعلو فيه الاسلام وحزبه ببطن مكة ، ويذل الشرك وأهله ، وتكون كلمة الله هي العليا . وقد دنى أجل الكفر بأم القرى ، وحان حين إقامة الصلاة جهاراً في حرم الله تعالى حول بيته المعظم جماعة ، وتصطف صفوف المصلين ، ويؤذن المؤذن بأعلى صوته معلناً فوق الكعبة ، وعلى ابي قبيس ، وفي الشعاب والبطاح ، يقول الله اكبر ، الله اكبر ، الله

اكبر ، الله اكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله اكبر ، الله اكبر ، لا اله الا الله . بعد أن قضى رسول الله ﷺ وأصحابه يصلون بدار الارقم ، وفي الشعاب ، والجبال ، مستخفين بصلاتهم من المشركين ، وبعد أن وضع فرث الناقة على رأس رسول الله ﷺ وهو ساجد أمام الكعبة ، وضرب ابو بكر الصديق رضي الله عنه بالنعال على وجهه حتى تورم حين قوله الكفار قريش أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله : حين تكالبوا على رسول الله ﷺ يريدون قتله .

هذا رسول الله ﷺ جاء مع أصحابه يفتحون مكة للحاجين ، والمعتمرين والركع السجود ، بعد أن خرج ﷺ مع أصحابه متسللين هربا من تلك المشركين وتعذيبهم ، فارين بدينهم ، محتفظين على كرامتهم . وهذا ابو سفيان الذي ما ترك حيلة ولا وسيلة في ابادة رسول الله ﷺ يقف أمامه بين يديه موقف الجاني والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يتضرع الى رسول الله ﷺ يطلب له العفو والامان وحقن دمه ودم أهله ، وعشيرته ، بعد أن وقف أبو سفيان يوم أحد على بعيره يقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه هل قتل محمد ؟ بالنفة وعظمة وكبرياء ، وبعد أن علم بحياته أرسل من يقتله غيلة فلم ينجح .

كان قد نصح ابو طالب بن عبد المطلب قريشاً حال احتضاره بقوله وأيم الله كاني أنظر الى صعاليك العرب، وأهل الوبر، والاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا، ودورها خرابا، وضعفاؤها أربابا. وإذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده: فسخروا به، وهزؤا بنصيحته، وظنوا أنهم بشركهم فائزون، وبكفرهم ظافرون، وبعنادهم ناجحون، وبحماقتهم منصورون، فقد بلج الصباح، وظهر الحق من الباطل، والرشد من الغي، وصح قال أبي طالب فساد أولئك المستضعفون بالامس بدين الاسلام القويم، على المشركين والمتغطرسين بكفرهم قبل ذلك اليوم على المؤمنين، ونكست رؤس سادات قريش وصناديدها، وكسرت أنوفهم، واصبحوا صاغرين. وظهر لهم أن نبوة محمد ﷺ صحيحة، ووعده صدق، وحق، وقوله يقين. هذا ما وعد الله رسوله فصدق وعده، وأعز جنده، وهزم الاحزاب وحده، لا شيء قبله، ولا شيء بعده، وهذا شأن الصابرين المحتسبين في طاعة الله، والقائمين باعلاء كلمة الله.

خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً الى المدينة وأصحابه لم يتجاوزوا مائة رجل؛ فأتاهم اليوم فاتحاً بعشرة الآف من المسلمين بين مقنع بالحديد، ودارع بسهم، وفارس متقلد جواده. فلم يسع المشركين

الا الفرار على وجوههم يطلبون النجاة ، ولا نجاة لهم غير عطف رسول الله ﷺ وشفقته ورحمته بهم ، حيث لم يأت ذلك النبي الكريم ليبيدهم من وجه الارض انتقاما منهم لما عملوا من ايذاء ، وتعذيب ، وحرب ، وإثارة الفتن ، وغير ذلك مما سبق تفصيله من النكاية برسول الله ﷺ وبأصحابه ، بل أتى مكة فاتحا ليبيد الشرك ، ويكسر الاصنام ، ويزيل المظالم ، ويطهر بيت الله ، وحرم الله ، وبلد الله من الرجس ، والفسوق ، والعصيان ، ويصلح فساد قلوب قومه ، وعشيرته ، وأهل بلده ، ويعدل ما اعوج منهم ، ويدلهم على طرق السعادة والفلاح ، ويرشدهم الى سبيل الهدى والنجاح . وذلك شأن المصلحين من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى هذا الفتح العظيم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته الذى جعله هدى للعالمين من ايدي الكفار والمشركين ، وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس به في دين الله افواجا واشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا .

وكان سبب هذه الغزوة ان بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة وهم على ماء يقال له ( الوتير ) فبيتوهم وقتلوا منهم ، وكان الذي هاج ذلك أن رجلا من بني الحضرمي يقال له مالك بن عبادة

خرج تاجراً فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله فعدت بنوا بكر على رجل من بنى خزاعة فقتلوه فعدت خزاعة على بنى الاسود وهم سلمى ، وكلثوم ، ودويب ، فقتلوهم بعرفت عند أنصاب الحرم . فحصل كل ذلك قبل المبعث . فلما بعث رسول الله ﷺ وجاء الاسلام حجز بينهم وتشاغل الناس بشأنه ، فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش وقع فى الشروط أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ﷺ وعهده فعل ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وعهده ، فلما استمرت الهدنة اغتنمها بنو بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيبوا منهم الثأر القديم ، فخرج نوفل ابن معاوية الديلى فى جماعة بنى بكر فبيت خزاعة وهم على الوتير فأصابوا منهم رجالا وتناوشوا واقتتلوا وأعانت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش صفوان بن أمية ، وعكرمة بن ابى جهل ، وحويطب بن عبد العزى ، وشيبة بن عثمان ، وسهيل بن عمرو ، ومكرز بن حفص ، وأخذوا معهم أرقاهم ورأس بنى بكر نوفل بن معاوية ، وكانوا مستخفين ليلا ، وخزاعة آمنون لما حجز الاسلام بينهم حتى انتهوا الى أنصاب الحرم فقال أصحاب نوفل بن معاوية كفيك يانوفل إلهك فى الخل قد دخلت الحرم فقال كلمة عظيمة ( لا اله له اليوم ) يابني بكر أفلا تدركوا ثاركم من عدوكم

فلعمري انكم لتشرقون في الحرم فلا تصيبون ثأركم فيه فلما انتهت خزاعة الى الحرم دخلت دار بديل بن ورقا ، ودار رافع الخزاعيين ، فانتهوا بهم في عماية الصبح وكان عامتهم صبياناً ونساء وضعفاء ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون ، ولا يبلغ رسول الله ﷺ ، وأصبحت خزاعة متمثلين على باب بديل . ورافع . وقال سهيل بن عمرو لنوفل بن الحارث قد رأيت الذي صنعنا بك وبأصحابك ؟ يريد قتل من بقي . فقال هذا ما لا أطاوعك عليه فأتركهم . فتركهم فخرجوا . وأما قريش فندموا على ما صنعوا وعرفوا ان هذا الذي صنعوه نقض الزمام والعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ . فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة يستنصرون رسول الله ﷺ حتى قدموا المدينة على رسول الله ﷺ فأخبروه بالذي أصابهم ومعاونة قريش عليهم بالرجال والسلاح وحضور صفوان بن امية ، وعكرمة بن ابي جهل ومن حضر من قريش وكان رسول الله ﷺ جالساً بالمسجد بين ظهراني أصحابه فلما فرغت خزاعة من قصتها قام عمرو بن سالم فقال

يارب اني ناشد محمدا ... خلف ابينا وابيه الأتلدا
قد كنتم ولداً وكنا والدا ... ثمة أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً ابدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... أبيض مثل البدر يسمو صعدا

ان شئتم خشفاً ووجهه تربدا في فياق كالبحر يجرى مزبدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا فى كداء رصدا وزعموا أن لست تدعو أحدا
وهم اذل واقل عددا هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعاً وسجدا

فلما بلغ رسول الله ﷺ قام وهو يجر ردائه ويقول « لا نصرت إن لم أنصر بنى كعب مما أنصر منه نفسى والله لأمنعنهم مما أمنع منه نفسى وأهل بيتى » ثم قال « نصرت ياعمرو بن سالم » ثم عرضت سحابة لرسول الله ﷺ فقال « ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب » . وخرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فاخبروه بما أصيب فيهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم رجعوا الى مكة . فبعث رسول الله ﷺ الى قريش ضمرة ابن عمرو يخيرهم بين إحدى خلال بين أن يودوا قتلى خزاعة ، أو يبرؤا من حلف بنى نفاثة ، أو ينبذ اليهم على سواء . فأتاهم ضمرة فأخبرهم بالذى أرسله به رسول الله ﷺ فقال قريظة بن عبد عمرو أما أن ندى قتلى خزاعة فان نفاثة فيهم عز فلا نوديهم فلا يبقى لنا سيد ، وأما أن نبرأ من حلفهم فانه ليس قبيلة من العرب تحج هذا البيت أشد تعظيما له من نفاثة فلا نبرأ من حلفهم ، فلا يبقى لنا سيد ، ولكننا ننبذ اليه على سواء

فرجع ضمرة الى رسول الله ﷺ وذكر قولهم لرسول الله ﷺ . وندمت قريش على رد رسول الله ﷺ وبعثت ابا سفيان بن حرب ، فقال رسول الله ﷺ للناس « كأنكم بأبي سفيان وقد جاء ليشد العقد ويزيد فى المدة » فلقي ابا سفيان بديل بن ورقاء بعسفان حين عودته من رسول الله ﷺ فقال ابو سفيان لبديل من أين أقبلت يا بديل ؟ فظن أنه أتى النبي ﷺ فقال : سرت فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى . فقال له أبوسفيان : أو ما جئت محمداً ؟ قال لا ، فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء هذا المدينة لقد علف بها النوى فأتى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيها النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً . ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على إبنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه . فقال : يابنية ما أدري أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس : فقال والله لقد اصابك بعدى شر ، ثم خرج حتى اتى رسول الله ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً ، ثم ذهب الى أبى بكر فكلمه أن يكلم رسول الله ﷺ فقال : ما أنا بفاعل : ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه . فقال أنا أشفع لكم الى رسول الله ﷺ فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به فاتى عثمان ابن عفان فقال له ليس فى القوم احد أقرب رحماً منك فرد

في المدة وجدد العهد فان صاحبك لا يرده عليك أبداً فقال عثمان جواري في جوار رسول الله ﷺ : ثم جاء فدخل على عليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة والحسن غلام يدب بين يديهما فقال ياعلي إنك أمسّ القوم بي رحماً وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً اشفع لي الى محمد فقال علي : ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه : فالتفت الى فاطمة فقال لها هل لك الى أن تأمري إبنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر؟ قالت : والله ما يبلغ إبني ذاك ان يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله ﷺ : قال أبو سفيان يا أبا الحسن إني أرى الامور قد اشتدت عليّ فانصحني ؟ قال علي : والله ما أعلم لك شيئاً يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة قم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك : قال أوترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال علي : لا والله ما أظنه ولكني لم أجد لك غير ذلك : فقام أبوسفيان في المسجد فقال : أيها الناس اني قد أجرت بين الناس : ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما ورائك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته فوالله ما رد عليّ شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم جئت عليّاً فوجدته ألين القوم قد أشار عليّ بشيء صنعته ، فوالله ما أدري هل يغني عني شيئاً أم لا : قالوا ويم أمرك ؟

قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت ، فقالوا هل أجاز ذلك محمد ؟ قال لا ، قالوا ويلك والله ان زاد الرجل على أن لعب بك ، قال لا والله ما وجدت غير ذلك .

هذا ابو سفيان بن حرب قد داس على أنفته وكبريائه ، وأخذ يتوسل بمن كان بالامس يحتقرهم ويزدريهم ويتهمهم ، فلم يجد له قبولا ، فهل كان يظن أن العاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين ؟ هل كان يخطر بباله أنه يتراءى على أبواب أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، حتى وفاطمة والحسن الطفل الصغير ؟ فيرفض طلبه ويعود من حيث اتى وتذهب توسلاته أدراج الرياح ، وكان بالامس يقود الجيوش لاستئصال رسول الله ﷺ ؟ هذا ما وعد الله رسوله وصدق الله وعده وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً

وأمر رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها فقال لها « جهزينا وأخفي أمرك » ثم خرج من الحجرة فجلس عند بابها وكان إذا جلس وحده لم يأته أحد حتى يدعوه فدخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على عائشة رضي الله عنها وهي قائمة تجهز جهاز رسول الله ﷺ فقال لها : أي بنية أمركن رسول الله ﷺ بتجهيزه ؟ قالت نعم فتجهز ، قال : فأين يريد؟ قالت لا والله لا أدري . فقال رسول الله ﷺ « أدعي لي أبا بكر » فجاء فجلس بين يديه ، فناجيا طويلا ، فقال أبو بكر: يارسول

الله أتريد ان نخرج مخرجاً ؟ قال نعم ، قال : لعلك تريد بني الاصفر ، قال لا ، قال : افتريد أهل نجد ؟ قال لا ، قال : فلعلك تريد قريشاً ؟ قال نعم ، قال : يارسول الله أليس بينك وبينهم مدة ؟ قال « أولم يبلغك ما صنعوا ببني كعب بن خزاعة ؟ » ثم أمره فجلس عن يمينه . ثم قال « أدعو لي عمر » فجاء وجلس الى أبي بكر ، فناجاه طويلا ، فرفع عمر رضي الله عنه صوته فقال : يارسول الله رأس الكفر هم الذين زعموا أنك ساحر ، وأنك كاهن وأنك كذاب ، وأنك مفتر . . . ولم يدع شيئاً مما كان أهل مكة يقولون . فأمره أن يجلس من الجانب الآخر فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله . ثم دعا الناس فقال « أخبركم بمثل صاحبيكم هذين ؟ » قالوا نعم يارسول الله ، فأقبل بوجهه الى أبي بكر ، فقال « إبراهيم كان ألين في الله تعالى من الوهن في الليل » ثم أقبل على عمر فقال « إن نوحا كان أشد في الله من الحجر وأن الامر أمر عمر فتجهزوا وتعاونوا » فتبع الناس أبا بكر فقالوا يا أبا بكر كرهنا أن نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله ﷺ ؟ قال قال لي « كيف تأمرني في غزو مكة » قال قلت : يارسول الله هم قومك حتى رأيت أنه سيطيعني ثم دعا عمر فقال عمر هم رأس الكفر حتى ذكر له كل سوء يقولونه وأيم الله لا تزال العرب حتى تزل أهل مكة وقد امرهم بالجهاد ليغزوا مكة : وأرسل رسول الله ﷺ إلى أهل البادية ومن حوله من المسلمين في كل

ناحية يقول لهم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة » وقال « اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها ، اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يروننا إلا بغتة ولا يسمعون بنا الا فجأة » وامر رسول الله ﷺ جماعة أن تقيم بالانقاب ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف على الأنقاب فيمر بهم ويقول :لاتدعوا احداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه وكانت الأنقاب مسلكة أن يسلك الى مكة . ثم قدمت المدينة من قبايل العرب أسلم ، وغفار ومزينة ، وأشجع ، وجهينة . وأرسل أيضاً رسول الله ﷺ جماعات من الصحابة على عموم الطرقات التي تؤدى الى مكة وامرهم ان لا يدعوا احداً يمر بهم ينكرونه الا ردوه . ولما اجمع رسول الله ﷺ المسير الى قريش وعلمه عموم الناس كتب حاطب بن ابى بلتعة الى بعض اشراف قريش وهم سهيل بن عمرو ، وصفوان بن امية ، وعكرمة بن ابى جهل ، كتابا يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ اليهم واعطاه امرأة يقال لها سارة مولاة لبنى عبد المطلب وقال لها اخفيه ما استطعت ولا تمرى على الطريق فان عليه حرساً ، واعطاها عشرة دنانير وكساها بردة ، فأخفته في عقاصها فسلكت عن نقب على يسار المحجة في العلوق حتى رات الطريق بالعقيق فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث رسول الله ﷺ علي بن ابى طالب ، والزبير بن العوام ، والمقداد بن الاسود ،

رضى الله عنهم وقال لهم « إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها » فانطلقوا تعادى بهم خيلهم حتى اتوا الروضة فاذا هم بالظعينة يعنى المرأة فقالوا لها اخرجي الكتاب؟ قالت ما معي كتاب، فقالوا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب؟ — يعنى تجردك من ثيابك — فأخرجته من عقاصها فأتوا به رسول الله ﷺ فاذا فيه : من حاطب بن ابي بلتعة الى أناس من قريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ « يا حاطب ما هذا ؟ » قال حاطب : يا رسول الله لا تعجل علي أني كنت امرأ ملصقاً فى قريش ( يعنى حليفاً ) ولم اكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ولم أفعله إرتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الاسلام . فقال رسول الله ﷺ « اما انه قد صدقكم » فقال عمر : يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ! فقال رسول الله ﷺ « إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً قال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فأنزل الله تعالى السورة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ

مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ وصورة الكتاب الذي أرسله حاطب كما في فتح الباري : أما بعد يامعشر قريش فان رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل يسير كالسيل فوالله لوجاءكم وحده لنصره الله وأنجزله وعده فانظروا لانفسكم والسلام .

## خروجه الى مكة للفتح

فخرج رسول الله ﷺ من المدينة في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم ابن الحصين الغفاري ، واستعمل على الصلاة ابن أم مكتوم ، وكان جيش رسول الله ﷺ عشرة آلاف مقاتل ممن لحقه بالطريق من القبائل كبني اسد وبني سليم ، ولم يتخلف احد من المهاجرين ، والانصار ، وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس ، وكانت الانصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس ، وكانت مزينة ألفا وفيها مائة فرس ، وكانت أسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرساً ، وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرساً ، فكان مجموع الخيل التي خرج بها رسول الله ﷺ من المدينة خلاف من لحقه بالطريق من القبائل تسعمائة وثمانين فرساً بعد أن كانت يوم بدر ثلاثة أفراس . وكان معه من زوجاته أم سلمة وميمونة رضي الله عنهن وكان

خروجه صلى الله عليه وسلم فى رمضان وكان صائما والمسلمون صيام حتى بلغ (الكديد) بين عسفان وقديد أو كراع الغميم بلغه ان الناس شق عليهم الصيام وقيل له انما ينظرون فيما فعلت فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا باناء من لبن أو ماء فوضعه على راحلته ليراه الناس فشرب فأفطر فناوله رجالا الى جنبه فشربوا فلم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر.

فلما بلغ الجحفة اتيه عمه العباس بن عبد المطلب قد خرج من مكة مهاجراً بأهله وعياله فأرسل أهله وعياله الى المدينة وسار مع رسول الله ﷺ الى مكة فقال له رسول الله ﷺ « هجرتك يا عم آخر هجرة كما ان نبوتى آخر نبوة » ثم مضى رسول الله ﷺ حتى اذا بلغ نقب العقاب بين مكة والمدينة أو الأبواء لقيه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عم رسول الله ﷺ ، وأخوه من الرضاع ، أرضعتهما حليمة السعدية ، وكان يشبه رسول الله ﷺ ، وكان ممن يؤذى النبى ﷺ بمكة ويهجوه ويؤذى المسلمين ، وكان معه ابنه جعفر ، وعبد الله بن ابى أمية ابن المغيرة المخزومي صهر النبى ﷺ وابن عمته عاتكة ، وأخو أم سلمة أم المؤمنين ، وكان شديداً على المسلمين ، وهو الذى قال للنبى ﷺ لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، وكان شديد العداوة له ، فقد هدى الله تعالى الثلاثة وأسلموا وهاجروا والتقوا برسول الله ﷺ بالأبواء مسلمين فالتمسوا الدخول على رسول الله ﷺ فمنعهم فكلمته أم

سلمة فقالت يارسول الله إبن عمك ، تعنى أبا سفيان وابن عمتك وصهرك تعنى عبدالله فقال « لا حاجة لي بهما أما ابن عمى فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصهري فهو الذى قال لى بمكة ما قال » فقالت له أم سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك ، فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال أبوسفيان والله ليأذنن لى أولآخذن بيدا بنى جعفر هذا ثم لنذهبن فى الارض حتى نموت عطشآ وجوعا ؟ فقال له علي بن أبى طالب رضى الله عنه : يا أبا سفيان ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ﴾ فانه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا : ففعل أبو سفيان ذلك فقال له رسول الله ﷺ «لاتثريب عليكم اليوم يغفرالله لكم وهو أرحم الراحمين» فأنشده أبوسفيان بن الحارث أبياتا منها

لعمرك انى حين أحمل رابة ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا اوانى حين أهدى فاهتدي
هدانى هاد غير نفسى ودلنى ... على الله من طردته كل مطرد

فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال « أنت طردتنى كل مطرد؟» وحسن إسلامه بعد ذلك ، ويقال أنه ما رفع رأسه الى رسول الله ﷺ منذ أسلم حياة منه ، وكان رسول الله ﷺ يحبه ويشهد له بالجنة ، وقال « أرجو أن يكون خلفا من حمزة» وكذلك دخل عليه عبدالله بن أبي أمية

وقبله وحسن إسلامه وحضروا معه فتح مكة وصاروا أسعد الناس بعد أن كانوا أشقى الناس .

ثم عقد رسول الله ﷺ الألوية والرايات بعديد فأعطى راية المهاجرين للزبير بن العوام ، وأعطى راية الانصار لسعد بن عبادة وأعطى لبنى سليم لواء ، ورايه ، ولبنى غفار راية ، ولأسلم لواءين ، ولبنى كعب راية ، ولمزينة ثلاثة الوية ، وكان جماعة بنى بكر أسلموا فأعطاهم لواء ، ولأشجع لواءين ، ثم سار رسول الله ﷺ حتى اتى مر الظهران — وهو المسمى اليوم بوادى فاطمة وهو فسيح جداً وخصب ويقال إنه كان به ثلاثمائة خيف وعين ماء فى ذلك العصر وأما اليوم فليس به سوى أربعة وأربعين عين ماء بخيوفها وليس حول مكة واد أخصب منه كما تقدم تفصيله فى الجزء الاول — فلما نزل رسول الله ﷺ كان نزوله عشاء فأمر الجيش أن يوقدوا النيران فأوقدت عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعل .

وكان قد خرج تلك الليالى أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتجسسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ، وقد كان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مع

رسول الله ﷺ فلما كان بمر الظهران ورأى عظمة الجيش وهو منتشر في طول الوادي وعرضه قال واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل يأتوه فيستأمنوه فانه لهلاك قريش الى آخر الدهر. قال العباس رضي الله عنه: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك فقلت لعلي اجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل ان يدخلها عليهم عنوة، قال فوالله اني لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام ابي سفيان، وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان وابو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا، فقال بديل هذه والله خزاعة حمشتها الحرب، قال: ابو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. قال: العباس فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة؟ فعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟ قلت نعم، قال: ما لك فداك أبي وأمي، قلت: ويحك يا ابا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الناس واصباح قريش والله، قال فما الحيلة فداك أبي وأمي، قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك، قال فركب خلفي ورجع صاحباه فجئت به وكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا فاذا رأو بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا عم رسول الله ﷺ على بغلته، حتى

مررت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال من هذا وقام إليَّ فلما رأى
ابا سفيان على عجز الدابة قال ابو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذى أمكن
منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت
البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء فاقتحمت عن البغلة
فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر فقال يارسول الله هذا ابو
سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني لأضرب عنقه ؟ قلت
يارسول الله انى قد أجرته ثم جلست الى رسول الله ﷺ فأخذت
برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة دوني رجل فلما أكثر عمر في شأنه قلت
مهلا ياعمر فوالله أن لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلت هذا
ولكنك قد عرفت انه من رجال بني عبد مناف ، فقال مهلا يا عباس
فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان احب إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم
وما بي إلا قد عرفت أن إسلامك كان احب الى رسول الله ﷺ من
إسلام الخطاب لو أسلم ؛ فقال رسول الله ﷺ « إذهب به ياعباس الى
رحلك فاذا أصبحت فائتني به » قال فذهبت به الى رحلي فبات عندى
فلما أصبح عنده رأى الناس وقد ثاروا الى ظهورهم فقال ابو سفيان يا ابا
الفضل ما للناس أأمروا فى شيء ؟ قال لا ولكنهم قاموا الى الصلاة فأمره
أن يتوضأ ثم انطلق به الى النبي ﷺ فلما دخل فى الصلاة ﷺ كبر
فكبر الناس بتكبيره ثم ركع فركعوا ثم رفع فرفعوا فقال ابو سفيان ما

ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا ومن ههنا ولا فارس ، ولا الروم ذات القرون باطوع منهم له ، ثم قال يا ابا الفضل أصبح ابن اخيك والله عظيم الملك ، فقال العباس انه ليس بملك ولكنها النبوة ، قال أوذاك . قال العباس فلما فرغ رسول الله ﷺ غدوت به اليه فلما رآه رسول الله ﷺ قال « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله » قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد . ثم قال « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله » قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فان في النفس منها حتى الآن شيئاً ، فقال العباس : ويحك يا أبا سفيان أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، : فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله :

ثم اتى عقب أبا سفيان بن حرب حكيم بن حزام الى رسول الله ﷺ وهو ابن اخي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد وكان صديق النبي ﷺ قبل المبعث وكان يوده ويحبه بعد المبعث وانما تأخر إسلامه الى عام الفتح مجاراة لقريش لانه من سادتها وأشرافها فقال حكيم بن حزام وابوسفيان يارسول الله جئت بأوباش الناس من عرف ومن لا يعرف الى أصلك وعشيرتك فقال رسول الله ﷺ « أنتم أظلم وأفجر قد غدرتم بعهد

الحديبية وظاهرتم على بني كعب بالأثم والعدوان في حرم الله تعالى وأمنه» فقال حكيم وابو سفيان صدقت يارسول الله ، ثم قالا يارسول الله لو كنت جعلت عدتك ومكيدتك لهوازن فانهم أبعد رحماً وأشد عداوة لك ؟ فقال اني لأرجو أن يجمعهما الله لي فتح مكة و إعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن وغنيمة أموالهم » فقال ابو سفيان وحكيم فادع الناس بالامان. أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها آمنون هم ؟ قال « من كف يده وأغلق داره فهو آمن » قالا فابعثنا نؤذن بذلك فيهم ؟ فقال العباس يارسول الله : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً ؟ قال « نعم من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » وكان دار ابي سفيان بأعلى مكة ودار حكيم بأسفلها . قاله ابن عقبة .

فلما اراد رسول الله ﷺ السير من الظهران قال العباس رضي الله عنه لرسول الله ﷺ : لا آمن أن يرجع ابو سفيان فيكفر : فقال رسول الله ﷺ للعباس « أحبس ابا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين » فحبسه العباس ، فقال ابو سفيان أغدراً يا بني هاشم ؟ قال العباس : لا ولكن لي إليك حاجة فتصبح فتنظر جنود الله وما اعد الله للمشركين : فحبسه بالمضيق دون الاراك حتى أصبحوا . فأمر رسول الله ﷺ مناديا ينادي لتظهر كل قبيلة ما معها من الاداة والعدة ، وقدم

رسول الله ﷺ الكتائب — وهي القطعة من الجيش — وكان ابو سفيان ينظر اليهم و يسأل عنهم فكان اول من تقدم خالد بن الوليد رضي الله عنه فى بنى سُلَيم وهم ألف معهم لواآن ورايه يحمل احد اللوائين العباس بن مرداس ، والآخر خفاف بن ندبة ، و يحمل الراية الحجاج ابن علاط ، فلما أقبلوا نحوابى سفيان كبروا ثلاث تكبيرات ، فقال ابو سفيان للعباس من هؤلاء ؟ قال خالد بن الوليد ، قال خالد الغلام قال ومن معه ؟ قال بنو سُلَيم ، قال ابو سفيان مالى ولبنى سُلَيم . ثم أقبل نحوه الزبير بن العوام رضى الله عنه في خمسمائة من المهاجرين وأفناء العرب ومعه راية سوداء فكبروا ثلاثا ، فقال ابو سفيان للعباس من هؤلاء ؟ قال الزبير بن العوام ، قال إبن أختك ؟ قال نعم ، ثم أقبلت نحوه كتيبة بنى غفار فى ثلاثمائة يحمل رايتهم أبوذر الغفارى رضى الله عنه فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال ابوسفيان من هؤلاء ؟ قال العباس بنو غفار ، قال مالى ولبنى غفار . ثم أقبلت أسلم فى أربعمائة فيها لواآن يحمل احدهما بريدة ابن الحصيب ، والآخر ناجية بن الاعجم ، فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال ابو سفيان ياعباس من هؤلاء ؟ قال أسلم ، قال مالى ولأسلم . ثم أقبلت بنو كعب بن عمرو وهم خزاعة فى خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان فلما حاذوه كبروا ثلاثا ، فقال من هؤلاء ؟ قال بنو كعب إخوة اسلم ، قال ابوسفيان هؤلاء حلفاء محمد ؟ قال نعم . ثم أقبلت مزينة فى ألف وفيها مائة

فارس وثلاثة ألوية يحمل احدها النعمان بن مقرن ، والثانى عبدالله بن عمرو بن عوف ، والثالث بلال بن الحارث ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً ، قال ابو سفيان ياعباس من هؤلاء ؟ قال مزينة ، قال مالى ولمزينة قد جاءتنى تقعقع من شواهقها . ثم أقبلت جهينة فى ثمانمائة فيها أربعة ألوية يحمل أحدها معبد بن خالد ، والثاني سويد بن صخر ، والثالث رافع ابن مكيث ، والرابع عبدالله بن بدر ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً قال ابو سفيان ياعباس من هؤلاء ؟ قال جهينة قال مالى ولجهينة والله ما كان بينى وبينهم حرب قط . ثم أقبلت كتائب بنى ليث ، وضمرة ، وسعد بن بكر فى مائتين يحمل لواءهم ابو واقد الليثى فلما حاذوه كبروا ثلاثاً قال ابو سفيان من هؤلاء ؟ قال العباس بنو بكر ، قال نعم أهل شؤم والله هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ، قال العباس فذخر الله تعالى لكم فى غزو محمد ﷺ ايا كم أمنكم ودخلتم فى الاسلام كافة . ثم أقبلت أشجع وهم ثلاثمائة معهم لواء آن يحمل احدها معقل بن سنان ، والآخر نعيم بن مسعود الاشجعى — ذلك الذي قد جعل الله هزيمة الأحزاب على يده بأسلوبه السياسى الذى استعمله فى تفرقتهم — فلما حاذوه كبروا ثلاثاً ، قال ابو سفيان من هؤلاء ؟ قال العباس أشجع ، قال ابوسفيان هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد ، فقال العباس أدخل الله الاسلام فى قلوبهم فهذا فضل الله ثم أقبلت بنو تميم ، وفزارة ، وسعد بن هذيم ، وهم من قضاعة فلما حاذوه

كبروا ثلاثاً ، فقال ابو سفيان أبعد ما مضى محمد ؟ فقال له العباس لو انت الكتيبة التي فيها محمد لرأيت الخيل ، والحديد ، والرجال ، وما ليس لاحد به طاقة ، قال ابو سفيان ومن له بهؤلاء من طاقة ؟ وجعل الناس يمرون وهو يقول عند مرور كل قبيلة ما مرّ محمد ؟ فيقول العباس لا ، حتى أقبلت كتيبة رسول الله ﷺ ومعه كبار المهاجرين وعموم الانصار تلك الكتيبة التي فيها سبعمائة فارس ، وألف مقنع بالحديد ودارع ، لا يرى منهم الا الحدقة وفيها الرايات والالوية مع كل بطن من بطون الانصار لواء ورماية وامر بن الخطاب رضي الله عنه فيها زجل بصوت عال وهو يقول : رويداً ، يلحق أولكم آخركم : فقال ابو سفيان سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال هذا رسول الله ﷺ في الأنصار فقل ما لاحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقة ، والله يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك اليوم عظيما ، فقال يا ابا سفيان انها النبوة فقال نعم اذا ، فلما حاذاه سعد بن عبادة وكانت راية رسول الله ﷺ بيده قال : يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة — يعني يوم الحرب الذي لا مفر منه — اليوم تستحل الكعبة اليوم أذل الله قريشاً ، فقال ابو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار ، يعني هل يروق في نظرك ان تدمر قومك اليوم ولم تدفع عنهم . فسمع ذلك رجال من كبار المهاجرين منهم عمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ، فقالوا لرسول الله ﷺ ما نأمن أن تكون لسعد صولة

فى قريش فلما حاذى رسول الله ﷺ ابا سفيان وهو بين ابي بكر الصديق واسيد بن حضير ، قال ابوسفيان يارسول الله امرت بقتل قومك ؟ قال لا ، فأخبره بما قال سعد بن عبادة ، ثم قال انشدك الله والرحم فى قومك فانك ابر الناس وأرحمهم وأوصلهم ، فقال رسول الله ﷺ « كذب سعد يا ابا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشاً وهذا اليوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى الكعبة » فأمر رسول الله ﷺ على بن ابى طالب أن يأخذ الراية من سعد بن عبادة ويسلمها لابنه قيس بن عبادة . فقال العباس لابي سفيان النجاة الى قومك ، فأقبل ابوسفيان على قومه فصرخ بأعلا صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به أسلموا تسلموا ، من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ، فقامت هند بنت عتبة امرأة ابى سفيان فأخذت بشاربه فقالت اقتلوا الحميت — يعنى الزق — الدسم الاحمس قبح من طليعة قوم ، قال ابوسفيان ويلكم لاتغرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم ما لاقبل لكم به ، ثم قال لهند ويحك اسكتى وادخلي بيتك والله لتسلمن أو لاضربن عنقك ، ثم صرخ في قريش من دخل دار ابى سفيان فهو آمن قالوا قاتلك الله وما تغنى عنا دارك ، قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرقوا الى دورهم والى المسجد .

فلما انتهى رسول الله ﷺ الى ذي طوى [١] وقف على راحلته مُعتجراً بشقة برد حبرة حمراء، وإن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما اكرمه الله تعالى به من الفتح حتى ان عثنونه [٢] ليكاد يمس واسطة الرحل. فأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يدخل من اللِيط أسفل مكة في بعض الناس، وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها أسلم، وسُلَيم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وقبائل من قبائل العرب، وقال لخالد ومن معه « إن عرض لكم أحد من قريش فاحصدوهم حصداً حتى توافوني على الصفا » وكان ابو عبيدة بن الجراح على الرجالة، والحسر، [٣] وبعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وامره أن يدخل مكة من كداء بأعلى مكة وان يركز رايته بالحجون. وأن يمكث عند الراية ولا يبرح حتى يأتيه وكان لواء رسول الله ﷺ أبيض ورايته سوداء تسمى (العقاب) وأمر خالد بن الوليد أن يغرز رايته عند أدنى البيوت [٤] وامر سعد بن عبادة أن يسير أمامه في كتيبة الانصار واعاد الراية اليه، وأمرهم أن يكفوا

(١) هي البئر الموجودة اليوم بجرول عند مفرق الطريقين بمدخل مكة طريق جرول وطريق الحجون (٢) لحيته (٣) وهم الذين لاسلاح معهم (٤) وهذا الموضع مشهور اليوم بأول حارة الباب عند بئر تسمى بئر خالد بن الوليد وبئر الراية

أيديهم عن القتال ولا يقاتلوا الا من قاتلهم ، ثم سارت الأمراء بكتائبهم كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ان صفوان بن امية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، كانوا قد جمعوا أناساً بالخندمة [1] ليقاتلوا رسول الله ﷺ ، وقد كان حماس بن قيس اخو بني بكر بعد سلاحا قبل دخول رسول الله ﷺ ويصلح منه فقالت له امرأته لما ذا تعد ما أرى ؟ قال لمحمد وأصحابه ، قالت والله ما أرى انه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال والله اني لأرجو أن أخدمك بعضهم ثم قال

ان يقوموا اليوم فمالي حله هذا سلاح كامل واله

وذو غرارين سريع السله

فشهد الخندمة مع صفوان بن أمية وعكرمة وسهيل بن عمرو ، وقد وبثت قريش أوباشاً لها فقالوا نقدم هؤلاء فان كان لقريش شيء كنا معهم وإن أصيبوا أعطينا الذي سألنا .

فلما أقبل رسول الله ﷺ على مكة من الحجون باعلا مكة وقد ضربت له هناك قبة في شعب أبي طالب الذي حصرت قريش فيه بني هاشم وبني المطلب عند مدخل الحجون من الأعلى وفيه ركزت الراية

(١) وهو من أعظم جبال مكة واقع شرق المسجد الحرام تتخلل شعابه منازل مكة

وكان أردف أسامة بن زيد بن حارثة خلفه فقال رسول الله ﷺ « يا أبا هريرة » قال ابو هريرة لبيك يارسول الله وسعديك ، فقال « أهتف لى بالانصار ولا يأتيني الا انصارى » فهتف بهم فجاؤا فاطافوا برسول الله ﷺ فقال « اترون الى أوباش قريش وأتباعهم » ثم قال بيديه أحدهما على الاخرى « أحصدوهم حصداً حتى توافونى بالصفا » قال ابو هريرة فانطلقنا فما يشاء احد منا أن يقتل منهم الاشاء وما أحد منهم وجه الينا شيئاً ، وركزت راية رسول الله ﷺ بالحجون عند مسجد الفتح .

## معركة خالد مع الاوباش

فاندفع خالد بن الوليد رضى الله حتى دخل مكة من أسفلها وقد تجمع بها ناس من بنى بكر ، وبنى الحارث بن عبد مناف ، وناس من هذيل والاحابيش الذين استنصرت بهم قريش ، فقاتلوا خالداً ومنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا لاتدخلها عنوة ، فصاح خالد فى أصحابه واشتبك القتال فقاتلهم فانهزموا أقبح هزيمة وقتل من بنى بكر نحو أربعة عشر رجلا ، ومن هذيل أربعة ، حتى انتهى بهم القتال الى الخندمة (١) ثم دخلوا الدور وارتفعت منهم طائفة على الجبال

(١) وكانت سوق بمكة جهة السوق الصغير مما يلى باب الوداع

هربا وتبعهم المسلمون فصاح حكيم بن حزام ، وابو سفيان ، يا معشر قريش على م تقتلون أنفسكم من دخل داره فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون ابوابها ، ويطرحون السلاح فى الاسواق فيأخذها المسلمون ثم اتوا خندمة فلقى خالد صفوان بن امية وعكرمة بن ابى جهل ، وسهيل بن عمرو ، ومن تجمع معهم لقتال المسلمين فوضع السيف فيهم فلم يثبتوا الا قليلا وانهزموا شر هزيمة بعد ان قتل منهم ثلاثة عشر وقتل من المسلمين سلمة بن الميلاء الجهنى ثم انهزم حماس ابن قيس حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته أغلقى الباب علىّ قالت فأين ما كنت تقول؟ فأين الخدم الذى أوعدت أن تأتى بهم من أصحاب محمد؟ فقال لها

إنك لو شهدت يوم الخندمه اذ فر صفوان ، وفر عكرمه ،
وابو يزيد قائم كالمؤتمه واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه ضربا فلا يسمع الا غمغمه
لم تهبت خلفنا وهمهمه لم تنطقى فى اللوم ادنى كلمه

وكان شعار رسول الله ﷺ يوم الفتح ، وحنين ، والطائف لاصحابه المهاجرين ( يا ابن عبد الرحمن ) وشعار الخزرج ( يا بنى عبد الله ) وشعار الاوس ( يا بنى عبيد الله )

وكان قد عهد رسول الله ﷺ الى أمراء المسلمين حين امرهم أن يدخلوا مكة ان يقتلوا أناسا وان وُجِدُوا تحت أستار الكعبة منهم

(١) عبد الله بن سعد اخو بني عامر بن لؤى لانه قد أسلم وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي فارتد مشركا ورجع الى قريش ، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاع ، فأخذه عثمان وغيبه حتى اقر رسول الله ﷺ بعد ان اطمأن الناس وأهل مكة فاستأمن له ثم أسلم .

(٢) عبد العزي بن خطل التميمي وذلك انه أسلم فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً وبعث معه رجلا من الانصار وكان معه مولى له يخدمه وكان مسلماً فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا ، ولما دخل رسول الله ﷺ الى ذي طوى أقبل بن خطل من أعلى مكة مدججاً في الحديد على فرس وبيده قناة فمر ببنات سعيد بن العاص فقال لهن اما والله لا يدخلها محمد حتى ترين ضربا كأفواه المزاد ، ثم خرج حتى انتهى الى الخندمة فرأى خيل الله ورأى القتال فدخله رعب حتى ما يستمك من الرعدة فرجع حتى انتهى الى الكعبة فنزل عن فرسه وطرح سلاحه واتى البيت فدخل تحت أستاره ، فأخذ كعب احد بني عامر سلاحه وأدرك فرسه عابرا فاستوى عليه ولحق برسول الله ﷺ بالحجون فقال له : ابن خطل متعلق باستار الكعبة ، فقال رسول الله ﷺ أقتلوه . وكانت قينتان لابن خطل احداها ( فرتنى ) والاخرى (قريبة) وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر بقتلهما جميعاً

(٣) الحويرث بن نقيذ بن وهب ، وذلك أن العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة ، وام كلثوم بنتى رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة على بعير فنخس الحويرث البعير فرمى بهما الى الارض وقد كان يؤذى النبى ﷺ بمكة ايضاً ، فبينما هو فى منزله قد أغلق عليه بابه فسأل عنه على ابن ابى طالب رضى الله عنه فقيل هو بالبادية فأخبر الحويرث انه يطلب فتنحى علي عن بابه فخرج الحويرث يريد أن يهرب من البيت فتلقاه علي فضرب عنقه .

(٤) مقيس بن صبابة وذلك لقتله الأنصارى الذى قتل أخاه خطأ بعد أن أخذ ديته ورجع الى مكة مشركا ، فقتله نميلة بن عبد الله

(٥) سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب وكانت مغنية نواحة بمكة وكانت قدمت على رسول الله ﷺ قبل الفتح فطلبت منه الصلة وشكت الحاجة فقال رسول الله ﷺ « ما كان فى غنائك ما يغنيك ؟ » قالت ان قريشاً منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء ، فوصلها رسول الله ﷺ وأوقرلها بعيراً طعاما فرجعت الى قريش وكان ابن خطل يلقى عليها هجاء رسول الله ﷺ فتغنى به وهي التي وجد عندها كتاب حاطب بن ابى بلتعة فاسلمت وعاشت الى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(٦) عكرمة بن ابى جهل ، فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه فخرجت

فى طلبه الى اليمن حتى اتت به رسول الله ﷺ فأسلم . واما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن الحارث المخزومي وابو برزة الاسلمي اشتركا فى قتله واما قينتا ابن خطل فرتنى ،وفرينة ، فقتلت فرينة واستؤمنت الاخرى

(٧) هبار بن الاسود فكان شديد الاذى للمسلمين وعرض لزينب بنت رسول الله ﷺ لما هاجرت فنخس بعيرها فاسقطت جنينها ولم يزل ذلك المرض بها حتى ماتت فهدر دمه فأعلن إسلامه فقبل منه وعفا عنه

(٨) الحارث بن طلاطل الخزاعي قتله علي بن ابى طالب

(٩) كعب بن زهير كان يهجي النبى ﷺ ويحرض المشركون بشعره فهدر دمه فجاء بعد ذلك الى المدينة وامتدح رسول الله ﷺ بقصيدته المشهورة ( بانت سعاد ) وأسلم .

(١٠) وحشى بن حرب قاتل حمزة بن عبد المطلب هرب الى الطائف ثم أسلم بعد ذلك

(١١) هند بنت عتبة امرأة ابى سفيان آكلة كبد حمزة فى أحد نجت بالاسلام .

(١٢) ارنب مولاة ابن خطل قتلت .

(١٣) أم سعد احدى القينتين قتلت . فهدت من اهدر دمه ثمانية رجال ، وست نسوة ، سلم معظمهم من القتل بعفو رسول الله ﷺ ودخولهم فى الاسلام فجاء الى رسول الله ﷺ ابو سفيان ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن

ورقاء ، فقالوا يا رسول الله هلكت قريش لا قريش بعد اليوم . قال « ولم ؟ » قالوا : خالد بن الوليد لايلقى احد من الناس الا قتله . فقال لرجل من الانصار عنده « يافلان » قال لبيك يارسول الله ، قال « ائت خالد ابن الوليد وقل له ان رسول الله يأمرك ان لا تقتل بمكة احداً » فجاء الانصاري فقال لخالد : ان رسول الله ﷺ يأمرك ان تقتل من لقيت من الناس : فاندفع فقتل صبعين رجلا ، فجاء الى النبي ﷺ فأخبره انه لا يزال خالد يقتل في الناس ، فقال ﷺ « ادع لي خالداً » فدعاه له فقال ﷺ « ياخالد ألم أرسل اليك ان لاتقتل أحداً ؟ » قال : بلى ارسلت أن أقتل من قدرت عليه : فقال رسول الله ﷺ « ادع لى الانصاري » فدعاه له فقال « أما امرتك ان تأمر خالداً ان لايقتل احداً » قال بلى ولكنك اردت أمراً ، واراد الله غيره ، فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل للانصارى شيئا فقال رسول الله ﷺ لخالد « كف عن الطلب » قال : قد فعلت ، فقال رسول الله ﷺ « قضى الله أمراً » ثم قال « كفوا السلاح الاخزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر » وهي الساعة التي احلت لرسول الله ﷺ . قالت أسماء ابنة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال ابو قحافة — والد ابي بكر الصديق — لابنة له من أصغر ولده اى بنية اظهري بي على ابو قبيس ، قالت وقد كف بصره فأشرفت به عليه ، فقال اى بنية ما ذا ترين

قالت ارى سواداً مجتمعاً ، قال تلك الخيل . قالت وارى رجلا يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلا ، ومدبراً ، قال اي بنية ذلك الوازع يعني الذي يأمر الخيل ، ثم قالت قد والله انتشر السواد ، فقال والله اذن دفعت الخيل فأسرعي بي الى البيت ، فانحطت به تلقاء الخيل قبل ان يصل الى بيته ، قالت وفي عنق الجارية طوق من ورق — اي في عنق بنت ابي قحافة طوق من فضة — فلقيها رجل فقطعه من عنقها فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اتى ابو بكر بأبيه يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال « هلا تركت الشيخ في بيته حتى اكون انا آتيه فيه ؟ » قال ابو بكر : يا رسول الله هو احق ان يمشي اليك من ان تمشي اليه انت : قال فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له « أسلم » فأسلم فدخل به ابو بكر وكان رأسه ثغامة — شديد البياض — فقال رسول الله ﷺ غيروا هذا من شعره » ثم قام ابو بكر فأخذ بداخته — ام فروة — وقال : انشدك الله والاسلام طوق اختي ؟ فلم يجبه احد ، فقال اي اخية احتسبي طوقك فوالله ان الامانة في الناس اليوم لقليل . قالت ام هانى ابنة ابي طالب لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فر اليَّ رجلان من أحمائي — وهما الحارث بن هشام ، وزهير بن ابي امية بن المغيرة — من بني مخزوم وكانت ام هاني زوج هبيرة بن ابي وهب المخزومي ، قالت فدخل عليَّ علي بن ابي طالب اخي فقال والله لاقتلنهما فأغلقت عليهما باب

يذى ثم جئت رسول الله ﷺ بأعلامكة فوجدته يغتسل فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات من الضحى ثم انصرف الي فقال «مرحبا وأهلا بام هاني ما جاء بك؟» فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي فقال « قد اجرنا من اجرت وآمنا من آمنت فلا يقتلهما » وقدقتل من خيل خالد بن الوليد رضى الله عنه يومئذ رجلان حبيش بن الاشعر ، واسمه خالد بن سعد بن مقذ الخزاعى ، وكرز بن جابر الفهرى ، وكان من رؤساء المشركين وهو الذى اغار على سرح النبي ﷺ فى غزوة بدر الاولى ثم أسلم بعد ذلك ، وأمره رسول الله ﷺ على البعثة التي خرجت في طلب المرتدين والسبب فى قتلهما ان الرجلين سلكا طريقاً فشذا عن عسكر خالد فقتلهما المشركون .

## طريقه ﷺ الى المسجد الحرام

ثم نهض رسول الله ﷺ وأقبل من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ومعه بلال وعثمان بن طلحة الحجبي والمهاجرون والانصار بين يديه وخلفه وحوله فلما ظهر على اذاخر نظر الى البارقة مع فضض المشركين فقال « ما هذه البارقة ألم أنه عن القتال» قالوا يا رسول الله خالد بن الوليد قُوتِلَ ولو لم يُقَاتَلْ ما قاتل وما كان يارسول الله ليعصيك ولا يخالف امرك . فقال رسول الله ﷺ « قضاء الله خير » ثم لما رأى

بيوت مكة وقف عليها فحمد الله وأثنى عليه وسلم ونظر الى موضع قبته فقال « هذا منزلنا ياجابر حيث تقاسمت قريش علينا فى كفرها » فقال اسامة بن زيد وكان ردف (خلف) رسول الله ﷺ يا رسول الله اين تنزل غداً اتنزل فى دارك ؟ فقال « وهل ترك لنا عقيل من رباع اودار » وكان عقيل ورث ابى طالب هو وطالب ، ولم يرثه جعفر ولا علي رضى الله عنهما لأنهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين وأسلم عقيل بعد ذلك ، وكان عقيل قد باع منزل رسول الله ﷺ ومنزل اخوته من الرجال والنساء بمكة ، فقيل لرسول الله ﷺ فانزل فى بعض بيوت مكة غير منازلك فأبى رسول الله ﷺ وقال « لا ادخل البيوت » فأتى رسول الله ﷺ المسجد فدخله واقبل على الحجر الاسود فاستلمه بمحجنه وكبر وكبر المسلمون لتكبيره فرجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيرا حتى جعل رسول الله ﷺ يشير اليهم أن أسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون ثم طاف بالبيت على راحلته القصواء ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة ولم يكن ﷺ يومئذ محرما وفى يده قوس وكان حول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنما مشدودة بالرصاص فجعل يطعنها بالقوس ويقول « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد » والاصنام تتساقط على وجوهها فلما اكمله اتى الى المقام وهو يومئذ لاصق بالكعبة ، فى رواية ، وفى رواية اخرى انه

في موضعه الذي فيه اليوم والدرع والمغفر وعمامته بين كتفيه فصلى ركعتين ثم انصرف الى زمزم فاطلع فيها وقال « لولا ان تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلواً » فنزعه العباس بن عبد المطلب دلواً فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوء رسول الله ﷺ يصبونه على وجوههم ، والمشركون ينظرون اليهم ويتعجبون ويقولون ما رأينا ملكاً قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به .

وامر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يدخل الكعبة فيمحو ما كان منقوشاً من التماثيل ويخرج ما كان مجسماً ، وكان في الكعبة صورة ابراهيم ، واسماعيل ، وفي أيديهما الازلام فقال رسول الله ﷺ « قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط » فأخرجهما عمر بن الخطاب وكان من الصور التي كانت في جوف الكعبة صورة عيسى وأمه ، ولما اخرج عمر بن الخطاب الأوثان والأصنام وصار يلقيها على الأرض قال الزبير بن العوام رضي الله عنه لابي سفيان بن حرب قد كسر هبل أما انك قد كنت في يوم أحد في غرور حين تزعم انه قد انعم ، فقال ابو سفيان دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى لو كان مع إله محمد ﷺ غيره لكان غير ما كان وكان على سطح الكعبة صنم لخزاعة من قوارير — زجاج — اصفر فقال رسول الله ﷺ « يا علي أرم به » فحمل رسول الله ﷺ علياً حتى أصعده فرمى به فكسره فجعل اهل مكة

يتعجبون ويقولون ما رأينا أسحر من محمد . كذا في سبل الهدى والرشاد

فأمر رسول الله ﷺ عثمان بن طلحة الحجبي أن يأتي بمفتاح البيت وكان عثمان أودع مفتاح الكعبة عند أمه سلافة بنت سعيد يوم هاجر الى المدينة مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص فجاء عثمان الى أمه فقال لها ادفعي اليَّ المفتاح فان رسول الله ﷺ امرني ان آتيه به ، فقالت أمه لا واللات والعزى لا أدفعه اليك ابداً ، فقال عثمان لاللات ، ولاعزى ، انه قد جاء امر غير ما كنا عليه وانك ان لم تفعلي قتلت انا واخي فأنت قتلتينا ووالله لندفعنه او ليأتين ابن غيري فيأخذه منك فقالت أمه ان أخذه منكم لا يعطيكموه ابداً ، فأبطأ عثمان على رسول الله ﷺ وهو قائم ينتظره حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول ما يحبسه فسعى اليه ابو بكر ، وعمر ، فبينما عثمان وأمه على ذلك الحال وهو يكلمها اذ سمعت صوت ابي بكر وعمر رضي الله عنهما في الدار وعمر رافع صوته يقول يا عثمان اخرج فقالت أمه يابني خذ المفتاح فان تأخذه أنت احب اليَّ من ان يأخذه تيم وعدي — تعني ابا بكر وعمر — فأخذه عثمان فجاء به ففتح فدخل رسول الله ﷺ ومعه أسامة بن زيد ، و بلال ، وعثمان ابن طلحة ، فمكث فيها نهاراً طويلا فوجد بقية بعد آثار الصور وهي صورة إبراهيم ، واسماعيل ، ومريم ، وعيسى ، وصور الملائكة ، ووجد صورة حمامة من عيدان فأمر رسول الله ﷺ أسامة بن زيد أن يأتيه

بدلو من ماء فأتاه فجعل يحوها ويقول « قاتلهم الله حيث جعلوا شيخا يستقسم بالازلام ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » وكسر الحامة ثم أغلق الباب عليه ، وعلى أسامة ، وبلال ، وعثمان بن طلحة ، فاستقبل الجدار الذى يقابل الباب حتى اذا كان بينه وبينه قدر ثلاثة اذرع وقف وصلى هناك ثم دار في البيت وكبر فى نواحيه ووحد الله ، ثم فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوفا ينتظرون ماذا يصنع فأخذ بمصاريع الباب وهم تحته فقال « لا إله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج ، الا وقتل الخطأ شبه العمد ، السوط ، والعصا ، ففيه الدية مغلظة مائة من الابل أربعون منها فى بطونها أولادها ، يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ثم قال « يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم ؟ » قالوا اخ كريم ، وابن اخ كريم ، قال « فانى اقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء » وفى البخارى ان النبى ﷺ قال فى خطبة الفتح « ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس

لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجراً ، فان أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وانما أذن له فيه ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب .

ثم جلس رسول الله ﷺ فى المسجد فقام اليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه ومفتاح الكعبة فى يده فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ « أين عثمان بن طلحة » فدعى له فقال له « هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ، ووفاء » وفى الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل رسول الله ﷺ يوماً يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له فنلت منه فحلم عنى ثم قال « يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدى أضعه حيث شئت » فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت ، فقال « بل عمرت وعزت يومئذ » ودخل الكعبة فوقعت منى موقعاً ظننت يومئذ أن الامر سيصير الى ما قال فلما كان يوم الفتح قال « يا عثمان ائتنى بالمفتاح » فأتيته به فأخذه منى ثم دفعه الىّ وقال « خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف » قال فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال « ألم يكن الذي قلت لك » قال فذكرت قوله لي بمكة

قبل الحجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدى أضعه حيث شئت فقلت بلى أشهد انك رسول الله . وذكر الحافظ ابن حجر في فتح البارى من رواية ابن عائذ ان النبى ﷺ دفع مفتاح الكعبة الى عثمان فقال « خذوها خالدة مخلدة انى لم ادفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم ولا ينزعها منكم الا ظالم . ومن طريق ابن جريج ان عليا قال للنبى ﷺ اجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت ﴿ ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها ﴾ فدعا عثمان بن أبى طلحة فقال « خذوها يا بنى شيبة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم » ومن طريق علي ابن أبى طلحة أن النبى ﷺ قال « يا بنى شيبة كلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف » وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ممن تطاول يومئذ لاخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم ولكن ارادة الله تعالى فوق كل ارادة

ثم أتى رسول الله ﷺ الصفا فعلاه حيث يرى من موقفه الكعبة فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه ، والانصار تحته فقال الانصار فيما بينهم أترون ان رسول الله ﷺ اذا فتح الله أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ رسول الله ﷺ قال للأنصار « ماذا قلتم ؟ » قالوا : لا شئ يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال ﷺ « معاذ الله المحيا محياكم ، والممات مماتكم »

ثم أمر رسول الله ﷺ بلالا أن يصعد على الكعبة فيؤذن وكان

أبو سفيان بن حرب ، وعتاب بن أسيد ، والحارث بن هشام ، واشراف قريش جلوساً بفناء الكعبة ، فقال عتاب لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه ، وقال الحارث أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذناً ، وقال آخر من قريش لقد أكرم الله فلانا يعني أباه اذ قبضه قبل أن يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة ، وقال آخر منهم والله الحدث الاعظم أن يصبح عبد بني جمح ينهق على البيت ، فقال أبو سفيان أما والله لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصباء ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال لهم لقد علمت الذي قلتم ، ثم ذكر ذلك لهم فقال « أما أنت يا فلان فقد قلت كذا ، وأما أنت يا فلان فقد قلت كذا ، وأما أنت يا فلان فقد قلت كذا » فقال أبو سفيان أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئاً فضحك رسول الله ﷺ وقال الحارث ، وعتاب ، نشهد أنك رسول الله والله ما أطلع على هذا أحد منا فنقول أخبرك . فنظر ابو سفيان الى رسول الله ﷺ وقال في نفسه ليت شعري بأي شيء غلبني فأقبل رسول الله ﷺ حتى ضرب يده بين كتفيه فقال « بالله غلبتك يا أبا سفيان » فقال أبو سفيان أشهد أنك رسول الله .

وصار بعض فتيان قريش يقلدون صوت بلال رضي الله عنه استهزاء وغيظاً وكان من جملتهم أبو محذورة أوس بن معير الجمحي وكان من

أحسنهم صوتا فلما رفع بالأذان مستهزئا سمعه رسول الله ﷺ فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول فمسح رسول الله ﷺ ناصيته وصدره بيده الشريفة ، قال ابو محذورة فامتلأ قلبي والله ايمانا و يقينا فعلمت انه رسول الله ﷺ فألقى عليه الاذان وعلمه اياه وأمره ان يؤذن لاهل مكة وكان سنه ست عشرة وعاش الى سنة تسع وسبعين من الهجرة وصار أذان مكة من بعده فى عقبه يتوارثون الأذان .

ثم دخل رسول الله ﷺ دار ام هانئ بنت أبي طالب فاغتسل وصلى ثمان ركعات فى بيتها وكان ضحى فظنها من ظنها صلاة الضحى وانما هذه صلاة الفتح ، وكان أمراء الاسلام اذا فتحوا حصنا أو بلدا صلوا عقيب الفتح هذه الصلاة اقتداء برسول الله ﷺ وفي القصة ما يدل على انها بسبب الفتح شكرا لله تعالى عليه بالفتح فانها قالت ما رأيته صلى قبلها ولا بعدها . كذا قاله الحافظ ابن القيم فى زاد المعاد

## خطبة الفتح

فلما كان الغد من يوم الفتح قام رسول الله ﷺ فى الناس خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه ومجده بما هو أهله ثم قال « أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم يحرمها الناس فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك

فيها دما أو يعضد بها شجرة فان أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا ان الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم وانما اذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس وليبلغ الشاهد الغائب » وقال يوم الفتح « ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لن تحل لاحد كان قبلي وانها أحلت لي ساعة من نهار وانها لن تحل لاحد بعدي فلا ينفر صيدها ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يفدى واما أن يقتل » فقال العباس الا الاذخر يا رسول الله فانا نجعله فى قبورنا و بيوتنا فقال رسول الله ﷺ « الا الاذخر » فقال أبو شاه رجل من أهل اليمن أكتبوا لى يارسول الله فقال رسول الله ﷺ « أكتبوا لابى شاه » يعنى خطبته هذه — كل ذلك ورد فى الصحيحين — وفي مسلم قال ﷺ يوم الفتح « لا هجرة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » وقال يوم الفتح « ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطه الا من عرفها ولا يختلى خلاها » فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم — القين الصائغ والحداد — ولبيوتهم فقال « الا الاذخر » وبين رسول الله ﷺ فى خطبته جملة أحكام منها ان لا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا تنكح المرأة

على عمتها ولا على خالتها ، والبينة على المدعى واليمين على من انكر ، ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث ليال الا مع ذى محرم ، ولا صلاة بعد العصر ولا بعد الصبح ، ولا يصام يوم الاضحى ولا يوم الفطر .

فلما كان الغد من يوم الفتح أتى ابن الاثوع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس وهو على شركه فرأته خزاعة فعرفوه ، وكان قد قتل ( أحمر ) من شجعان خزاعة فاحتاطوا به فقالوا له أأنت قاتل أحمر قال نعم فأقبل خراش بن أمية الخزاعي حلاق رسول الله ﷺ وهو مشتمل على سيفه ففرج الناس عن ابن الاثوع الهذلي فحمل عليه فطعنه بالسيف فى بطنه ، فقال له ابن الاثوع أقد فعلتموها يا معشر خزاعة فوقع قتيلا ، فبلغ رسول الله ﷺ ذلك فقال « يا معشر خزاعة أرفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل ان نفع لقد قتلتم قتيلا لادينه فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين ان شاؤا قدم قاتله وان شاؤا فعقله » ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل .

## بيعة الفتح

ثم جلس رسول الله ﷺ للناس فى المسجد يبايعونه على الاسلام وقال لعمه العباس « اين ابنا أخيك لا اراهما ؟ » يعنى عتبة ، ومعتب ، ابنى أبى لهب فقال العباس رضى الله عنه قد تنحيا فيمن تنحى من

مشركي قريش ، قال « أئتني بهما » فركب اليهما الى عرفة فأتى بهما فدعاهما للاسلام فأسلما فسر رسول الله ﷺ باسلامهما ودعا لهما ، ثم قام رسول الله ﷺ واخذ بايديهما وانطلق بهما حتى أتى الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه ، قال العباس له : سرك الله يا رسول الله انى ارى السرور فى وجهك قال « انى استوهبت ابنى عمى هذين من ربى فوهبهما لي » وشهدا معه حنينا والطائف ولم يخرجا من مكة ولم يأتيا المدينة وقلعت عين معتب فى حنين . فهذا معتب واخوه عتبة وهما ابنا أبي لهب عم رسول الله ﷺ ذلك الذى كان اشد الناس عداوة وبغضا لرسول الله ﷺ وقد تقدم في الجزء الاول بعض ما كان يصنعه في عرقلة الناس عن الدخول في الاسلام وكيف كان يتتبع رسول الله ﷺ حين كان يطوف على قبائل العرب فى المواسم يدعوهم للاسلام فيفسد عليه امره ويكذبه ويؤذيه ، فانظر ما ذا عامل النبي ﷺ ابنى ذلك العدو اللدود من العطف ، والشفقة ، والمحبة والرأفة ، والرحمة ، فهذا شأن ارباب النفوس الطاهرة النقية ، ولا يتناسى المصلح المفسد ، فكل انسان تجد فى قلبه الرحمة ، تعلم ان ذلك من نور الايمان الذى في قلبه ، وكل انسان تجد فى طباعه الفظاظة والغلظة وشراسة الاخلاق وتتبع عورات الناس والسعى فى مضرة الخلق ، فهو دليل واضح على خلو قلبه من الايمان . ثم ارسل سهيل بن عمرو ولده عبد الله ليأخذ له أمانا

من رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أبي تؤمنه ؟ فقال ﷺ « نعم هو آمن بالله فليظهر » ثم قال لمن حوله « من لقي سهيل بن عمرو فلا يحد اليه النظر فلعمري ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام » فخرج ابنه عبد الله اليه فاخبره بمقالة رسول الله ﷺ فقال سهيل كان والله براً صغيراً ، براً كبيراً ، فكان سهيل يقبل ويدبر فخرج الى حنين مع رسول الله ﷺ وهو على شركه حتى اسلم بالجعرانة . فهذا سهيل بن عمرو ذلك الذي كان يملي على رسول الله ﷺ يوم الحديبية شروط الهدنة حسب ارادته ولما كتب في العقد ( محمد رسول الله ) قال له بكل أنفة ، وكبرياء ، أمحها لو كنت أعلم أنك رسول الله لما منعناك من دخول مكة حتى أثارت شروطه نفوس أصحاب رسول الله ﷺ تلك الثائرة التي كادت تخرجهم عن حد الطاعة لو لا ان الله تدارکهم بلطفه ، فأصبح اليوم يرسل ولده ليأخذ له الأمان من ذلك الذي كان بالأمس يقول له لو كنت أعلم أنك رسول الله ما منعناك ثم تأمل بأي لطف وعطف قابله النبي ﷺ . وأما صفوان ابن أمية بن خلف الجمحي فكان من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ والمسلمين كما سبق تفصيله ، وكانت له الازلام في الجاهلية بعد ابيه وقد أهدر دمه فاختفى وخرج الى جدة وأتى الى البحر ليلقي نفسه فيه فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي الى رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله ان صفوان سيد قومه قد هرب ليقذف نفسه

فى البحر فأمنه فانك أمنت الأحمر والاسود ؟ فقال له رسول الله ﷺ « أدرك فهو آمن » فقال اعطنى آية يعرف بها أمانك فانى قد طلبت منه العَوْدَ فقال لا أعود معك الا أن تأتينى بعلامة أعرفها ، فأعطاه ﷺ عمامته التى دخل بها مكة فلحقه بها — وهذا عمير بن وهب هو الذى كان أرسله صفوان بن أمية بعد وقعة بدر الى المدينة ليقتل النبي ﷺ فعلم به النبي ﷺ من طريق الوحى وأخبره بما ورد لاجله فاسلم — فلما أدركه وهو على طرف البحر قال له صفوان أعزب عنى لا تكلمنى فقال أي صفوان فداك أبي وأمي جئتك من عند أفضل الناس ، وأبر الناس ، واحلم الناس ، وخير الناس ، وهو ابن عمك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ، قال إني أخافه على نفسي . قال هو احلم من ذلك وأكرم ، وأراه العمامة التى جاء بها فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال ان هذا يزعم أنك أمنتنى ؟ قال « صدق » فقال أمهانى بالخيار شهرين فقال له رسول الله ﷺ « أنت بالخيار أربعة أشهر » وخرج مع رسول الله ﷺ الى حنين وهو مشرك واستقرض منه رسول الله ﷺ أربعين الف درهم ودروعا كانت عنده وأعطاه من غنائم هوازن ثلاثمائة من الابل وأعطاه شعبا مملوأ نعما وشاء ، فقال صفوان ان الملك لا تطيب نفوسها بمثل هذا ما طابت نفس أحد قط بمثل هذا الا نبي أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، فأسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه قبل

ان تمضى من المدة التى أخذها شئ ، وكان يقول كان النبى ﷺ أبغض الخلق إلي فما زال يعطينى حتى صار أحب الخلق إلي . فمن ذلك يعلم أن الكرم والعطاء يلين حتى قلوب الاعداء لان صفوان من اعتى قريش . ثم أخذت قريش وغيرها من القبائل القاطنة بمكة يبايعون رسول الله ﷺ على السمع والطاعة لله ولرسوله ، وعلى الاسلام .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان بن حرب متنقبة متنكرة خوفا من رسول الله ﷺ فلما دنين من رسول الله ﷺ قال لهن « بايعنني على ان لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ، ولا تزنين ، ولا تقتلن اولادكن — وذلك باسقاط الاجنة — ولا تلحقن بأزواجكن غير اولادهم ، ولا تعصين فى معروف » وقال المفسرون فى قوله تعالى ﴿ يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ لما فتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا أتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب أسفل منه يبلغهن عنه ، وهند بنت عتبة متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله ﷺ ان يعرفها ، فقال رسول الله ﷺ أبايعهن على ان لا يشركن بالله شيئاً ، فرفعت هند رأسها وقالت والله انك لتأخذ علينا امراً ما رأيناك اخذته على الرجال ، وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط ،

فقال النبي ﷺ « ولا يسرقن » فقالت هند إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات فلا أدري أيحل لي أم لا ؟ فقال أبو سفيان وكان حاضراً ما أصبت من شيء فيما مضى فأنت في حل منه عفا الله عنك . فضحك النبي ﷺ وعرفها فقال لها « وإنك لهند بنت عتبة » قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك ؟ فقال « ولا يزنين » فقالت هند أو تزني الحرة ؟ فقال « ولا يقتلن أولادهن » فقالت هند ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً فأنتم وهم أعلم — وكان ابنها حنظلة ابن أبي سفيان قد قتل يوم بدر — فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله ﷺ فقال « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » فقالت هند والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق . فقال « ولا يعصينك في معروف » فقالت عند ما جلستنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء . فأقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة . قال ابن الجوزي وجملة من أحصي من المبايعات أربعمائة وسبع وخمسون أمرأة . ولم يصافح في البيعة امرأة وإنما بايعهن بالكلام ، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على أن لا يشركن بالله شيئاً وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة لا يملكها . ومعنى ولا يعصينك في معروف بما أمرتهن من مكارم الأخلاق وهو النهي عن النوح ، والدعاء بالويل ، وتمزيق الثياب ،

وحلق الشعر ، أو نتفه ، وخمش الوجه ، وغير ذلك . وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » فبايعهن على هذا الشرط ﴿ واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم ﴾ وجاء عنه ﷺ « النائحة اذا لم تتب تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ولا تقبل الملائكة على نائحة وليس للنساء فى اتباع الجنائز من أجر » فقالت هند انى امرأة مؤمنة أشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله ، ثم كشفت عن نقابها وقالت انا هند بنت عتبة فقال رسول الله ﷺ « مرحبا بك » ثم أرسلت اليه بهدية وهي جديان مشويان مع مولاة لها فاستأذنت فأذن لها فدخلت عليه وهو ﷺ بين نسائه أم سلمة ، وميمونة ، ونساء من بني عبد المطلب ، وقالت له ان مولاتى تعتذر اليك وتقول ان غنمها اليوم لقليل الوالدة فقال رسول الله ﷺ « اللهم بارك لهم فى غنمهم وأكثر والدتها » فأكثر الله لهم ذلك . ثم جاءت هند الى رسول الله ﷺ وقالت له يا رسول الله ان أبا سفيان رجل شحيح ولا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بني الا ما أخذته من ماله بغير علمه فهل علىّ فى ذلك من جناح ؟ فقال رسول الله ﷺ « خذى من ماله بالمعروف مايكفيك ويكفى بنيك » أخرجه مسلم . ولما أسلمت هند عمدت الى صنم كان فى بيتها وجعلت تضربه بالقدوم وتقول كنا منك فى غرور .

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت ، قالت هند بنت عتبة يا رسول الله ما كان على ظهر الارض أهل خباء أحب إلىَّ من أن يذلوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم ما على ظهر الارض أهل خباء أحب الىَّ ان يعزوا من أهل خبائك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وايضا والذى نفس محمد بيده » وكانت هند امرأة ذات أنفة ، ورأى ، وعقل.

واراد فضالة بن عمير بن الملوح الليثى قتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضالة ؟ » قال نعم فضالة يا رسول الله ، قال « ما ذا كنت تحدث به نفسك » قال لاشئ كنت اذكر الله عز وجل فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه قال فضالة والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شئ أحب إلىَّ منه .

وأما شيبة بن عثمان بن أبى طلحة الحجبى سادن الكعبة الذى هو جد آل الشيبى سدنة الكعبة اليوم فأسلم عام الفتح وكان يحدث عن اسلامه فيقول ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم بعض ما عليه أباؤنا من الضلالات ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله ﷺ مكة ثم سار الى حرب هوازن قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان

اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فاقتله فأكون أنا الذي قمت بثار قريش كلها وادرك ثأري من محمد ، وقلت لو لم يبق من العرب والعجم احد الا اتبع محمداً ما تبعته لا بزداد ذلك الامر عندي الا شدة ، فلما اختلط الناس يوم حنين ونزل ﷺ عن بغلته أصلت السيف ودنوت منه اريد الذي اريد منه ورفعت السيف حتى اذا لم يبق الا ان أثرد بالسيف وقع لي شهاب من نار كالبرق فرجعت القهقرى فالتفت الي فقال تعال يا شيبة فوضع يده على صدري فرفعت اليه بصري وهو احب الي من سمعي و بصري . قال الحافظ ابن حجر في الاصابة وكان شيبة ممن ثبت يوم حنين بعد ان كان اراد ان يغتال النبي ﷺ فقذف الله في قلبه الرعب فوضع النبي ﷺ يده على صدره فثبت الايمان في قلبه وقاتل بين يديه. وفي الطبقات لابن سعد قال دعا رسول الله ﷺ شيبة بن عثمان فأعطاه مفتاح الكعبة فقال دونك هذا فأنت امين الله على بيته ، وقال مصعب الزبيري دفع المفتاح اليه والى عثمان بن طلحة وقال «خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم الا ظالم» قال القسطلاني في المواهب ما خلاصته ان هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي فأمر رسول الله ﷺ عليا رضي الله عنه ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل علي ذلك وقال له لقد انزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية ، وجاء جبريل عليه السلام فقال ما دام هذا

البيت أو لبنة من لبناته قائمة فان المفتاح والسدانة فى اولاد عثمان ، فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيامة فشيبة هذا هو ابن عثمان بن ابى طلحة ، واما عثمان بن طلحة فمات عقيما ، انتهى .

وكان شيبة سادن البيت منذ هاجر عثمان بن طلحة مع خالد بن الوليد عام سبع من الهجرة ثم سكن عثمان المدينة من بعد الفتح الى ان مات بها ، وشيبة هو الذى كان يقوم بسدانة البيت واقام شيبة للناس الحج سنة تسع وثلاثين وكان السبب فى ذلك ان علي بن ابى طالب رضى الله عنه بعث قثم بن العباس ليقيم للناس الحج ، وبعث معاوية بن ابى سفيان يزيد بن شجرة ، فتنازعا فسعى بينهما ابو سعيد الخدرى وغيره فاصطلحا على ان يقيم الحج شيبة بن عثمان ويصلى بالناس . ومات شيبة سنة تسع وخمسين من الهجرة رضى الله عنه ولا يزال المفتاح والسدانة فى عقبه الى اليوم ، ذلك لقوله ﷺ لما أعطاهم المفتاح « خالدة تالدة » فهذا السر فى بقاء تسلمهم الى اليوم وبقاء سدانة الكعبة عندهم الى اليوم ، والى يوم القيامة . ولم يثبت من طريق صحيح ان مفتاح الكعبة نزع منهم منذ دفعه رسول الله ﷺ لأسلافهم طيلة هذه الاربعة عشر قرناً ولا مرة واحدة .

وجاءت أم حكيم امرأة عكرمة بن ابى جهل الى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله قد ذهب عكرمة عنك الى اليمن وخاف أن تقتله فأمنه يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ « هو آمن » فخرجت أم

حكيم في طلبه فأدركته وقد انتهى الى البحر فركب سفينة فجعل النوتى يقول له أخلص ، أخلص . قال أى شئ اقول قال قل ( لا اله الا الله ) قال عكرمة ماعربت الامن هذا وأن هذا أمر تعرفه العرب، والعجم ، حتى النوتى ما الدين الا ما جاء به محمد ، وغير الله قلبي وجاء تني ام حكيم على هذا الأمر فجعلت تليح الي و تقول يا ابن عم جئتك من عند أبر الناس ، وأوصل الناس ، وخير الناس ، لا تهلك نفسك ، فوقف لها حتى أدركته فقالت له انى قد أستأمنت لك رسول الله ﷺ فأمّنك فرجع معها فلما وافى مكة قال رسول الله ﷺ « يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا أباه فان سب الميت يؤذى الحي » فلما رأى رسول الله ﷺ عكرمة زاد فرحا بعكرمة ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف عكرمة بين يديه ومعه زوجته متنقبة فقال يا محمد ان هذه أخبرتني أنك أمّنتني ؟ فقال رسول الله ﷺ « صدقت فأنت آمن » قال عكرمة فالى م تدعوا يا محمد ؟ قال « أدعو أن تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتفعل » حتى عد خصال الاسلام فقال عكرمة والله ما دعوت الا الى خير أمر حسن جميل قد كنت فينا يا رسول الله قبل ان تدعونا الى ما دعوتنا اليه وأنت أصدقنا حديثا وأبرنا برا ثم قال عكرمة فانى أشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فسر بذلك رسول الله ﷺ ثم قال

يارسول الله علمني خير شيء أقوله ؟ قال تقول « أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله » قال عكرمة ثم ماذا ؟ قال رسول الله ﷺ « تقول أشهد ان لا آله الا الله وأشهد من حضرني أني مسلم مجاهد مهاجر » فقال عكرمة ذلك .

كان السائب بن عبد الله المخزومي شريك رسول الله ﷺ قبل الاسلام فلما كان يوم الفتح أتى رسول الله ﷺ فقال « مرحبا بأخي وشريكي كان لايداري ولا يماري ياسائب قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تقبل منك وهي اليوم تقبل منك » وكان ذا سلف وخلة فجعل عثمان وغيره يثنون عليه فقال لهم رسول الله ﷺ « لا تعلموني به كان صاحبي »

وكانت أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها أجارت الحارث بن هشام وعبد الله بن ربيعة وأجاز رسول الله ﷺ أم هانئ في ذلك فقال الحارث بن هشام فانطلقنا فأقمنا يومين ثم خرجنا الى منازلنا فجلسنا بأفنيتنا لا يعرض لنا أحد وكنا نخاف عمر بن الخطاب فوالله اني لجالس ما شعرت الا بعمر بن الخطاب فاذا معه عدة من المسلمين فسلم ومضى وجعلت استحي ان يراني رسول الله ﷺ وأذكر رؤيته في كل موطن مع المشركين ثم أذكر بره ورحمته وصلته فألقاه وهو داخل المسجد فلقيني بالبشر فوقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت بشهادة

الحق فقال « الحمد لله الذى هداك ما كان مثلك »

وكان عبد الله بن الزبعرى هرب الى نجران فأرسل حسان بن ثابت رضي الله عنه أبياتا يريدها ابن الزبعرى فلما جاء ابن الزبعرى شعر حسان خرج الى رسول الله ﷺ وهو جالس فى أصحابه فلما نظر اليه رسول الله ﷺ قال « هذا ابن الزبعري ومعه وجد فيه سرور الاسلام » فلما وقف على رسول الله ﷺ قال السلام عليك يا رسول الله أشهد ان لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله ، الحمد لله الذى هداني للاسلام لقد عاديتك وأجلبت عليك وركبت الفرس والبعير ومشيت على قدمي فى عداوتك ثم هربت منك الى نجران وأنا أريد ان لا أقر بالاسلام أبدا ثم أرادني الله منه بخير فألقاه فى قلبي وحببه الي وذكرت ما كنت فيه من الضلالة واتباع ما لا ينبغى من حجر يعبد ويذبح له لا يدرى من عبده ومن لا يعبده ، قال رسول الله ﷺ « الحمد لله الذى هداك للاسلام وان الاسلام يجب ما كان قبله » ثم أنشد عبد الله بن الزبعرى

يا رسول المليك ان لساني ... راتق ما فتقت اذ أنا بور
اذ أبارى الشيطان فى سنن الغـ ... ـى و من مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام لربى ... ثم قلبى الشهيد أنت النذير
انى عنك زاجر ثم حيا ... من لؤى وكلهم مغرور

وهكذا صار يقبل أشراف قريش وساداتهم على رسول الله ﷺ واحد بعد واحد وصاروا يدخلون فى الاسلام ، ويندمون على ما وقع منهم من حرب رسول الله ﷺ وعداوته ومشاكسته ، ورسول الله ﷺ يقبلهم بصدر رحب منشرح فرح باسلامهم ، مسرور بايمانهم وصار يوم الفتح يوم سرور وانشراح على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه وأهل مكة من أهله وعشيرته . ذلك الامر الذي ما كان يخطر على بال أحد من قريش أن رسول الله ﷺ يستقبلهم بهذا الاستقبال بعد ان وقع منهم في حقه ما وقع مدة احدى وعشرين سنة ، فيغفر لهم رسول الله ﷺ تلك الاساآت والتعديات والتجاوزات التي تقدم شيء من ذكرها ، هل كان يخطر ببال هند بنت عتبة ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن ابي جهل ، وسهيل بن عمرو ، وعامة قريش انه سيأتى عليهم يوم مثل هذا يجدون فيه من الرأفة والرحمة والشفقة والملاطفة من الرجل الذى كانوا بالامس يقاتلونه ويطاردونه ويتطاولون عليه وعلى أصحابه بكل ما أوتوا من قوة وسباب وشتيمة وبذاءة ، فبدل ان يناقشهم الحساب على ما وقع منهم صفح عنهم وعفا ولاطف واكرم فما اظن ان ذلك يخطر على قلب احد فى العالم أجمع ، كما انه لا يوجد أحد فى العالم مهما كانت حالته ان يبارى رسول الله ﷺ فى شفقته ، ورأفته ، وتسامحه ، وملاطفته ، ولذلك وصفه الله سبحانه وتعالى

بقوله ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

ثم نادى منادى رسول الله ﷺ بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما الا كسره

ثم أمر رسول الله ﷺ بتجديد أنصاب الحرم يوم الفتح وهى المسماة اليوم ( بالأعلام ) او ( العلمان ) الموضوعة لبيان حد الحرم روى الأزرقى أن أول من نصب أنصاب الحرم ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان جبريل عليه السلام يدله على موضعها فلم تحرك حتى كان اسماعيل عليه السلام فجددها ثم لم تحرك حتى كان قصى بن كلاب فجددها ثم لم تحرك حتى كان يوم الفتح فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم بن أسد الخزاعي فجدد أنصاب الحرم

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل قريش صبراً روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مطيع عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم فتح مكة « لا يقتل قرشى صبرا بعد هذا اليوم الى يوم القيامة »

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح عن ثمن الخمر ، والخنزير ، والميتة ، روى ابن ابى شيبة عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح يقول « ان الله تعالى حرم بيع الخمر ، والخنزير ، والميتة ، والاصنام » فقال رجل يا رسول

الله ما ترى في شحوم الميتة فانه يدهن بها السفن ، والجلود ، ويستصبح بها ، قال « فقاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها أخذوها فحملوها ثم باعوها وأكلوا ثمنها »

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزو مكة يوم الفتح روى الامام أحمد والترمذى وقال حسن صحيح عن الحارث بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة « لا تغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيامة »

ثم بعث رسول الله ﷺ سراياه الى الأوثان التى كانت حول الكعبة فكسرت كلها منها اللات ، والعزى ، ومنات ، الثالثة الأخرى فبعث خالد بن الوليد رضى الله عنه الى ( العزى ) لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ليهدمها فخرج اليها فى ثلاثين فارسا من أصحابه حتى انتهوا اليها فهدمها ثم رجع الى رسول الله ﷺ فأخبره فقال « هل رأيت شيأ » قال لا قال « انك لم تهدمها فارجع اليها فاهدمها » فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس فجعل السادن يصيح بها فضربها خالد فجزلها اثنين ورجع الى رسول الله ﷺ فأخبره فقال « نعم تلك العزى وقد أيست أن تعبد في بلادكم أبدا » وكانت بنخلة بالسيل الكبير على طريق الطائف وهى على بعد سبعين ميلا من

مكة شرقاً بشمال وكانت لقريش وجميع بنى كنانة وكانت أعظم اصنامهم وكانت سدانتها فى بنى شيبان . ثم بعث عمرو بن العاص الى (سواع) وهو صنم لهذيل على ثلاثة اميال من مكة جنوباً فى نهاية شهر رمضان ليهدمه . قال عمرو : فانتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد ؟ قلت أمرنى رسول الله ﷺ ان اهدمه . فقال لا تقدر على ذلك . قلت : لم ؟ قال تمنع . قلت : حتى الآن أنت على الباطل ويحك فهل يسمع أو يبصر ؟ قال فدنوت منه فكسرته وأمرت اصحابي فهدموا بيت خزانه فلم يجدوا فيه شيئاً ، ثم قلت للسادن : كيف رأيت ؟ قال أسلمت لله .

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأشهلى الى (مناة) وكانت بالمشلل عند قديد للاوس ، والخزرج ، وغسان . وغيرهم فخرج فى عشرين فارساً حتى انتهى اليها وعندها سادن فقال السادن ما تريد ؟ قلت هدم مناة . قال أنت وذاك ، فأقبل سعد يمشى اليها فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها . فقال لها السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وأقبل الى الصنم فهدمه وكسره ولم يجدوا فى خزانه شيئاً . كذا فى زاد المعاد ، وقال القسطلانى وكان ذلك لست بقين من رمضان .

# سرية خالد بن الوليد

## الى بنى جذيمة

بنو جذيمة قبيلة من عبد القيس بناحية يلملم جنوب مكة ويلملم ميقات اهل اليمن وبينها وبين مكة نحو اربعين ميلا وذلك فى غرة شوال سنة ثمان من الهجرة وكان بنو جذيمة أشر حي من احياء العرب فى الجاهلية وقد قتلوا فى الجاهلية الفاكه عم خالد بن الوليد ، وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف ، وقتلوا مالك بن الشريد وأخويه من بنى سليم . ثم لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى ورسول الله ﷺ مقيم بمكة بعثه الى بنى جذيمة داعياً الى الاسلام ولم يبعثه مقاتلا فخرج فى ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبنى سليم فانتهى اليهم فقال : ما أنتم ؟ قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحتنا وأذنّا فيها . فقال : فما بال السلاح عليكم ؟ قالوا ان بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا ان تكونوا هم . وقد قيل انهم قالوا صبأنا صبأنا ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقال لهم . خالد : فضعوا السلاح ، فوضعوه ، فقال لهم استأسروا ، فاستأسروا ، فأمر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم فى اصحابه فلما كان فى السحر نادى خالد بن الوليد من كان معه أسير فليضرب عنقه . فأما بنو سليم فقتلوا من كان فى ايديهم وأما

المهاجرون ، والانصار ، فأرسلوا أسراهم . فانطلق رجل من بنى جذيمة الى رسول الله ﷺ وأخبره بما فعل خالد . فقال له النبى ﷺ « هل أنكر عليه أحد ما صنع ؟ » قال نعم رجل أصفر ربعة ، ورجل طويل أحمر . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه والله يا رسول الله أعرفهما أما الاول فهو ابنى عبد الله فهذه صفته ، وأما الثانى فهو سالم مولى أبى حذيفة ، فعند ذلك قال النبى ﷺ « اللهم انى ابرأ اليك مما صنع خالد » مرتين . ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبى طالب رضى الله عنه فقال له « أخرج الى هؤلاء القوم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال فلم يبق لهم شيء الا دفعه لهم ديته من رجال واموال ، فقال لهم : علي رضى الله عنه هل بقى لكم دم او مال ؟ قالوا لا ، قال : اعطيكم ما بقى معى من المال احتياطا بدل مالا تعلمون : فأعطاهم علي ما بقى معه من المال الذى زاد عن دية القتلى وقيمة الاموال التى فقدوها زيادة عما يستحقوه ، فرجع الى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر فقال له « اصبت وأحسنت » . وفى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد الى بنى جذيمة فدعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا ان يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا ، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر . قال الحافظ ابن حجر اما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها لان قولهم صبأنا أى خرجنا من دين الى دين ولم يكتف

خالد بذلك حتى يصرحوا بالاسلام . وفى السيرة الحلبية ثم لما رجع خالد الى مكة وقع بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما شر بسبب ذلك فقال له عبد الرحمن . عملت بأمر الجاهلية فى الاسلام ؟ فقال خالد . انما أخذت بثار ابيك ، فقال له عبد الرحمن : كذبت انا قتلت قاتل ابى فكيف تأخذ مسلمين بقتل رجل فى الجاهلية ؟ فقال خالد : ومن اخبركم انهم اسلموا ؟ فقال : اهل السرية كلهم اخبرونا بأنك قد وجدتهم بنوا المساجد وأقروا بالاسلام وانما اخذت بثار عمك الفاكه : فقال رسول الله ﷺ « مهلا يا خالد دع عنك اصحابى فوالله لو كان لك أحد ذهبا فأنفقته فى سبيل الله ما ادركت غدوة رجل منهم ولا روحته » وفى الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابى سعيد قال كان بين خالد بن الوليد و بين عبدالرحمن بن عوف شئ فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ « لا تسبوا احداً من اصحابى فان احدكم لو انفق مثل احد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »

فحاصل هذه القضية ان خالد بن الوليد رضى الله عنه تسرع فى قتل القوم قبل ان يتثبت اسلامهم كما ينبغى لان من خصائص النبى ﷺ الرفق بالناس وجلب قلوبهم الى الاسلام بالرفق واللين رغبة فى هداية الخلق بالتى هى احسن وأحب ما لديه ان يدخل العالم بأجمعه فى الاسلام ولو خير بين قتل اعظم عدو له و بين دخوله فى الاسلام لاختار

دخوله فى الاسلام على قتله ، ومن ذلك عفوه عن قتل اشد الناس له عداوة فى اليوم الذي مكنه الله من قتله مثل ابى سفيان ، وامرأته هند بنت عتبة ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن ابى جهل ، وفضالة بن الملوح ، وشيبة بن عثمان الحجبي ، الذى اراد قتله ممن هدر دمهم ، لانه ﷺ بعث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً لقوم يفقهون ، وليمثل للناس مكارم الاخلاق ، وهداية الناس بالتى هي احسن ، ولم يبعث لابادة الخلق ، أو لسفك الدماء . فلذلك لم يرض عن فعل خالد وتبرأ من فعله ولو لم يكن ذلك اجتهادا من خالد لما سمح عنه رسول الله ﷺ وطبيعة الفاتحين وعادتهم التسرع فى البطش وقد وقع من خالد بن الوليد رضى الله عنه مثل هذا التسرع مرة أخرى فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه لما بعثه لقتال اهل الردة وكان من امره مع مالك بن نويرة الذي أسره خالد وأصحابه وكان زمن شتاء وبرد فنادى منادي خالد فى الجيش : ان دفئوا اسراكم . فظن القوم انه اراد قتلهم فقتلوهم . فلما سمع خالد بذلك قال : اذا أراد الله أمراً أمضاه : فاحضر خالد مالك بن نويرة وقال له : كيف ترتد عن الاسلام وتمنع الزكاة ؟ ألم تعلم ان الزكاة قرينة الصلاة ؟ فقال كان صاحبكم يزعم ذلك فقال له : أهو صاحبنا وليس هو بصاحبك ؟ يا ضرار أضرب عنقه . ثم بعد قتله تزوج خالد زوجة مالك ، وكانت من اجمل النساء ، فقال اعداء خالد انه لم يقتل مالكا الا لاجل ان

يتزوج امرأته وهذا بعيد عن نفسية خالد ذلك البطل العظيم والشهم الكبير ، وأمثال هذه النظريات لا توجد الا عند أرباب النفوس الدنيئة والاخلاق الواطئة ، فلما بلغ ذلك عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال لابى بكر الصديق رضى الله عنه أعزل خالداً فان في سيفه درهقاً — أي شراً وطغياناً — كيف يقتل مالكا ويأخذ زوجته ؟ فقال ابو بكر رضى الله عنه لا أشيم سيفاً سله الله على الكافرين والمنافقين سمعت رسول الله ﷺ يقول « نعم عبد الله أخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكافرين والمنافقين » ثم قال ابو بكر : عجزت النساء أن يلدن مثل خالد : وهذه الحادثة أوجدت فى نفس عمر بن الخطاب على خالد فلما تولى عمر رضى الله عنه الخلافة فأول شئ بدأ به عزل خالد ابن الوليد من القيادة العامة فأرسل لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه بعزل خالد وأخذ نصف ماله فقاسمه ابو عبيدة ماله حتى أحذى نعليه وخالد يقول سمعاً وطاعة لامير المؤمنين . ثم بلغ عمر أن خالداً أعطى الأشعث ابن قيس عشرة آلاف وقد قصده ابتغاء احسانه فأرسل عمر لابي عبيدة ان يصعد على المنبر ويوقف خالداً بين يديه وينزع عمامته وقلنسوته ويقيده بعمامته لان العشرة آلاف ان كان دفعها من ماله فهو سرف ، وان كان من مال المسلمين فهي خيانة ، ففعل ذلك ابو عبيدة ثم قدم خالد على عمر بالمدينة فقال له عمر من أين هذا اليسار الذي تجهز

منه بعشرة آلاف ؟ فقال من الاثقال والسهمان ، قال عمر : ما زاد على التسعين ألفاً فهو لك : ثم قوموا أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفاً . ثم قال له عمر : والله انك عليّ لكريم وانك لحبيب ولن تعمل لي بعد اليوم على شيء . وكتب عمر الى الامصار : اني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فأحببت ان يعلموا أن الله هو الصانع فاذا تأملت ذلك تعلم ان خالداً لم يعزله النبي ﷺ من اجل غلطة مقابل ما جعل الله فيه من البأس ، والشدة ، والاقدام ، والفوز ، والنصر ، وكذلك لم يعزله ابو بكر الصديق رضي الله عنه مدة خلافته من أجل غلطة وكان هو الفاتح لفارس ، والروم ، واليمن ، والقائم بتأديب المرتدين من العرب ولذلك افتتن الناس بخالد بن الوليد رضي الله عنه ويحق لهم أن يفتتنوا به ليس لشدة بأسه وبطشه بالكافرين فحسب ، بل لشدة طاعته لامر الله تعالى وللخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكان خالد بن الوليد رضي الله عنه مثال القيادة والشهامة ، والشجاعة ، والبأس ، والكرم ، والطاعة التامة ، ولم يؤثر فيه تنكيل عمر بن الخطاب رضي الله عنه له بل قوة الايمان التي غرزه الله تعالى في قلبه جعله ان يكون مجاهداً في سبيل الله الى آخر حياته ، فكان بعد ذلك يقاتل مع جيش ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه كأحد افراد الجند حتى الممات وكان يقول لم اقاتل لاجل ابي بكر وعمر وانما اقاتل لتكون كلمة الله هي العليا

اني ذكرت ما ذكرته فى حق خالد بن الوليد مع انى لم أوفه حقه فانه فوق ما ذكرت وأعظم مما وصفت ، ومع ذلك فلا يخطر ببالك أيها القارئ ان خالداً أفضل من عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أو أن عمر وقع ما وقع منه فى حق خالد لغرض شخصى أو لهوى متبع ، معاذ الله فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرفع من ذلك وأجل ، بل هو أعظم من خالد سياسة ، وادارة ، وعصره أعظم عصور الاسلام مجداً ، وسؤدداً ، ونظره أبعد مرمى ، فانه ينظر الى الامور بنظر محنك خبير ، فقد قال بعض المؤرخين ان الحكمة فى عزل عمر خالد هو من أجل المصلحة لان عمر كان شديداً فى الله على الناس فينبغى ان يكون عماله فيهم اللين ولذلك ولى أبا عبيدة لانه لين وصاحب رفق ، وكان ابو بكر ليناً وصاحب رفق فمن المصلحة أن يكون عماله أصحاب شدة ، فلذلك استعمل خالداً لانه شديد على الكافرين ليحصل التعادل . ولا يسأل عظماء الرجال الا فذاذ من غلطة خصوصا قواد الجيش والفاتحون لانهم غير معصومين وكفى بالمرء فخراً ان تعد غلطاته ، وفى نظر المنصف أن غلطة أو غلطتين تقع من مثل قائد عظيم كخالد بن الوليد رضى الله عنه لا تبنى الا على الاجتهاد فالمصيب له أجران ، والمخطئ له أجر ، لانه لم يتعمد الخطأ فى أعماله أصلا ، وكل أعماله مبنية على حسن النية وسلامة الخاطر فكان عمر رضى الله عنه مع خالد أوسع وأبعد مرمى ، وصبر خالد على ما ناله من أمير

المؤمنين عمر بن الخطاب أعظم تحمل ، فكان عمر أبعد نظراً ، وكان خالد أشد تحملا ، وكلى البطلين عظيم فى مبدئه فجزاهما الله تعالى عن اجتهادهما خير الجزاء . وسيأتى من عمل البطلين فى الفتح الاسلامي ما يحير العقل ويدهش أرباب العقول الراقية والله اعلم .

ولما أراد رسول الله ﷺ الخروج الى هوازن وهم قبائل عتيبة استقرض مائة وثلاثين ألف درهم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن امية خمسين ألف درهم ، ومن عبدالله بن ابى ربيعة أربعين ألف درهم ، ومن حويطب ابن عبد العزى أربعين ألف درهم ، وفرقها على أصحابه من أهل الصفة ثم وفاهم اياها من غنائم هوازن .

## ولاية عتاب بن أسيد امارة مكة

ثم ولى رسول الله ﷺ حال خروجه الى هوازن عتاب بن أسيد الأموى القرشى أمارة مكة وكان عمره نيفا وعشرين سنة وكان صالحا فاضلا وجعل معه معاذ بن جبل رضى الله عنه بمكة معلما للناس السنن والفقه وكان شديداً على المريب ابناً على المؤمنين وكان يقول والله لا أعلم متخلفا عن هذه الصلاة فى جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عنها الا منافق . فقال أهل مكة يا رسول الله استعملت على أهل الله أعرابياً جافياً ؟ فقال « انى رأيت فيما يرى النائم انه أتى باب الجنة فأخذ بحلقه

الباب فتعقبها حتى فتح له ودخل » وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلي بالناس ، ولما ولى رسول الله عتابا على مكة قال له « انطلق فقد استعملتك على أهل الله » قال ذلك ثلاثا ثم قال « يا عتاب أتدرى على من استعملتك استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيراً » يقولها ثلاثا . وجعل له راتباً كل يوم درهما فقام في الناس خطيباً فقال : أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله ﷺ درهما في كل يوم فليست لي حاجة الى أحد: هذا ملخص من الاصابة ، والسيرة الحلبية . وأقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوما يصلي ركعتين ، رواه البخاري .

## غزوة حنين

إسم ( حنين ) لا يخلو منه كتاب من كتب الاسلام فتجده في القرآن المجيد ، وفي كتب الحديث ، والتفسير ، والسير ، والتاريخ واللغة ، ولكن موضع حنين غير معروف بالذات . وذلك لان وادى ( حنين ) غير ذي زرع ، ولا مسكون ، ولا هو منزل من منازل العرب ، ولا بلد من البلدان ، ولا قرية من القرى ، وقد راجعت كثيراً من كتب اللغة مثل لسان العرب ، والقاموس ، والنهاية لابن الاثير ، والمصباح المنير ، والصحاح للجوهري ، وغيرها . كما راجعت بعض كتب التاريخ ،

والتفسير ، لعلى أعثر على وصف الموضع أو بُعده عن مكة بحساب الاميال، أو الجهة التى وقعت فيها الحادثة ، فلم يذكر أغلبهم ما يدل على موضعه الا قولهم انه واد بين مكة والطائف . والمشهور فى العصر الحاضر عند بعض البادية المجاورة لمكة بهذا الاسم هو جبل بين الجعرانة، والبَرُود . وكذلك مشهور عن ( عين الزعفران ) التى هى من حسنات السيدة زبيدة بنت جعفر زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد التى جلبتها لمكة سقيا لأهلها ، انها عين حنين ، أي منبعها من وادى حنين ، ومجراها من الجهة الشمالية الشرقية بالنسبة لمكة وهذا الموضع قريب من مكة لا يتجاوز بعده اكثر من عشر أميال . فلم يطمئن قلبى لذلك حيث يتخالف مع وصف ابن اسحاق للطريق الذى سلكه النبى ﷺ من مكة الى حنين ووصفه بواد وغير ضيق . فراجعت فتح البارى شرح صحيح البخارى بدقة فوجدت ان الحافظ ابن حجر العسقلانى عين موضعه والمسافة التى بينه وبين مكة فقال : انه واد الى جنب ذى المجاز قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات : وذكر ابن اسحاق ان منه مدخل نخلة اليمانية ، المسماة فى العصر الحاضر ( بالزيمة ) وهذا الوادى الذي هو الزيمة أول أودية مر الظهران ، كما تقدم تفصيله فى الجزء الاول . ثم بحثت عن ذى المجاز فاذا هو سوق من أسواق العرب فى الجاهلية قبل الاسلام ، قال فى القاموس : وذو المجاز سوق كانت لهم على

فرسخ من عرفة بناحية كبكب : وقال ياقوت فى معجمه : وذوالمجاز موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن يمين الامام على فرسخ من عرفة كانت تقوم فى الجاهلية ثمانية أيام ، قال الاصمعى ذو المجاز ماء من أصل كبكب وهو لهذيل وهو خلف عرفة : فعلم مما تقدم موضع ( ذي المجاز ) بقرب حنين وبينه و بين عرفة ثلاثة أميال . ثم راجعت معجم البلدان عن حنين لعلى أجد فيه ما هو أوضح مما تقدم واذا فيه مانصه : حنين قريب من مكة ، وقيل واد قبل الطائف ، وقيل واد بجنب ذى المجاز وقيل بينه و بين مكة بضعة عشر ميلا : فوجدت ان القولين الاخيرين يتوافقا مع قول الحافظ ابن حجر ، وناهيك بالحافظ ابن حجر فى تحقيقه وتتبعه لاصح الروايات ، فبحثت عن ذلك الموضع وجبْتُ تلك النواحي بنفسى حتى عثرت بحمد الله تعالى بعد صرف وقت لا يستهان به على وادى حنين وهو واقع بين ( ذى المجاز ) و بين ( الزيمة ) و بينه و بين ذى المجاز أربعة أميال ، فكان من مكة الى عرفات عشرة أميال . ومن عرفات الى ذى المجاز عن طريق وادي عرنة شمالا بشرق ثلاثة أميال . ومن ذي المجاز الى حنين خمسة أميال ، فيكون مجموع المسافة ١٨ ميلا ، وذلك يطابق ما ذكره الحافظ ابن حجر من أن بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا . وأما الوصول الى ( حنين ) عن طريق الشرايع فهو اذا توجهت من الشرايع مباشرة نحو الزيمة فتستقبل الفج الذى على جنوب الشرايع الذي يكون منتهاه

( ذو المجاز ) ثم بعد أن تسير نحو أربعة أميال عن الشرايع تنعطف على اليسار فتدخل فى واد ضيق وعر فذلك الوادي هو ( حنين ) وطوله نحو ستة أميال فاذا سرت فيه تنتهى منه في الزيمة وبينه و بين الزيمة ميلان. وبذلك يكون بين مكة وحنين عن طريق الشرايع بحسب سير السيارات ٣٨ كيلو متراً عن نحو ثلاثة وعشرين ميلا. هذا ما استدللت به على موضع حنين بعد البحث في الكتب ، والجهات ؛ والمواضع ، بحسب جهودى وعلمي ، وفوق كل ذى علم عليم ، ولا يلام المرء بعد الاجتهاد . ويطلق على وادى حنين فى العصر الحاضر اسم ( وادى جديعان )

وأما سبب تسميته بحنين قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : قال أبو عبيد البكرى سمى باسم حنين بن قانية بن مهلائيل : قال السهيلى فى روض الانف بعد أن ذكر ذلك واظنه من العمالق :

وأما سبب غزوة حنين هو لما فتح الله تعالى على رسول الله ﷺ مكة أطاعت له قبائل العرب الا هوازن ، وهم قبائل ( عتيبة ) وثقيف ، فان هاتين القبيلتين كانتا من أشد القبائل طغيانا وكفراً . فمشت كبار هوازن وثقيف بعضها الى بعض فاشفقوا وخافوا أن يغزوهم رسول الله ﷺ وقالوا قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا من أن يغزونا ، فحشدوا وتجمعوا وقالوا والله ان محمداً لاقى قوما لا يحسنون القتال ، فاجمعت هوازن أمرها الى مالك بن عوف النصيرى ، واجتمع اليه مع هوازن

ثقيف كلها ، واجتمعت نصر ، وجشم كلها ، وسعد بن بكر ، الذين أرضعوا رسول الله ﷺ وناس من بني هلال ، ولم يشهدها من قيس عيلان الا هؤلاء ، وغاب عنها من هوازن كعب ، وكلاب ، فلم يشهدها منهم احد له اسم ، وهوازن من اعظم قبائل العرب تحتوي على بطون كثيرة ، وكان في بني جشم دريد بن الصمة الجشمي ابن بكر بن هوازن وكان سنه يومئذ مائة وستين سنة ، وكان شيخا كبيرا ومن اعظم فرسان العرب حنكة وممارسة للحروب وقد كف بصره ولم ينفع الا برأيه لما له من الخبرة بميادين الوغى ومواطن البأس .

وكان في ثقيف سيدان لهم من الاحلاف وهما قارب بن الاسود بن مسعود بن معتب ، وكنانة بن عبد ياليل ، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع ابن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصري . فلما أراد مالك بن عوف المسير الى رسول الله ﷺ جعل مع الناس أموالهم ، ونساءهم ، وأبناءهم . وكانت هوازن سألت دريد ابن الصمة الرياسة عليها ؟ فقال ما ذاك في عمى بصرى وما أستمسك على ظهر الفرس ، ولكن احضر معكم لان اشير عليكم برأى على ان لا أخالف فان كنتم تظنون أني أخالف أقمت ولم أخرج ؟ قالوا لا نخالفك . وجاء مالك بن عوف فقال له لا نخالفك في أمر تراه . فقال له دريد : يا مالك انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته

العجم ومن بالشام وأجلى يهود الحجاز ، أما قتلا وأما خروجا على ذل وصغار ، ويومك هذا الذى تلقى فيه محمداً له ما بعده . قال مالك انى لأطمع أن ترى غداً ما يسرك . قال دريد منزلى حيث ترى فاذا جمعت الناس صرت اليك .

فلما خرج مالك من عنده لم يخبره أنه سيسير بالظعن والاموال مع الناس ، فنزل ( بأوطاس ) وهو موضع ملوى السيل شرق نخلة على خمسين ميلا من مكة ، وعسكر به وجعلت الاعداد تأتيه من كل جهة ، وقبل دريد ان الصمة فى شجار له وهو يشبه الهودج ، وذلك لكبر سنه فلما نزل دريد لمس الأرض بيده وقال : بأي واد أنتم ؟ قالوا بأوطاس ، قال نعم مجال الخيل لاحزن ضرس ، ولا سهل دهس ، ثم قال : مالى اسمع بكاء الصغير ، ورغاء البعير ، ونهاق الحمير ، ويعار الشاء ، وخوار البقر ؟ قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ، ونساءهم ، وابناءهم ، قال : أين مالك ؟ قيل هذا مالك . ودعى له فقال يا مالك انك قد أصبحت رئيس قومك . وان هذا يوم كائن له ما بعده من الايام ، ما لى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال سقت مع الناس أموالهم ، وأبناءهم ، ونساءهم ، قال ولم ذاك ؟ قال اردت ان اجعل خلف كل انسان أهله ، وماله ، وما يقاتل عنه . فانقض به دريد وصفر له بفمه تزييفا لرأيه ، ثم قال راعى ضان

والله ، ماله وللحروب ، وصفق له وقال : هل يرد المنهزم شيء ؟ انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه ، وان كانت عليك فضحت في أهلك ، ومالك . ثم قال دريد : ما فعلت كعب ، وكلاب ؟ قالوا لم يشهدها منهم أحد . قال : غاب الحد ، والجد ، وكان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ولوددت انكم فعلتم ما فعلت كعب ، وكلاب ، ثم قال : فمن شهدها منكم ؟ قالوا عمرو بن عامر ، وعوف ابن عامر ، قال ذانك الجذعان من عامر لاينفعان ولايضران ، يامالك انك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيئاً أرفعهم الى ممتنع بلادهم ، وعليا قومهم ، ثم الق الصبا على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال لا والله لا أفعل ذلك ، انك قد كبرت وكبر عقلك ، ثم قال لقومه والله لتطيعني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى تخرج من ظهري ؟ وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأى ، قالوا أطعناك . فجعل مالك يضحك مما يشير به دريد ، فغضب دريد وقال : هذا أيضاً يا معشر هوازن والله ما هذا لكم برأى ان هذا فاضحكم في عورتكم ، وممكن منكم عدوكم ، ولا حق بحصن ثقيف ، وتارككم فانصرفوا وأتركوه ، فمشى القوم بعضهم الى بعض فقالوا والله لئن عصينا مالكا ليقتلن نفسه ويبقى دريد وهو شيخ كبير لاقتال فيه فأجمعوا

رأيهم مع مالك فلما رأى دريد انهم قد خالفوه قال هذا يوم لم أشهده ولم يفتني ثم قال :

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع

ثم قال مالك للناس اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد . وصف الناس فجعل في المقدمة الخيل ، ثم الرجالة المقاتلة ، ثم صف خلفهم النساء على الابل ، ثم صف النعم ، ثم صف الغنم ، كل صف خلف الآخر لئلا يفروا وبعث عيونا له ثلاثة نفر لينظروا الى رسول الله ﷺ فأتوه وقد تفرقت اوصالهم فقال لهم مالك ويلكم ماشأنكم ؟ قالوا رجالا بيضا على خيول بلق فو الله ما تماسكنا ان اصابنا ما ترى وان اطعتنا فارجع بقومك . فقال أف لكم بل انتم أجبن العسكر فلم يرده ذلك ومضى على ما يريد . ثم قال مالك لدريد هل من رأى غير هذا فيما قد حضر من امر القوم ، قال دريد نعم تجعل كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاهدهم الكمين من خلفهم وكرت انت بمن معك ، وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم احد

فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماع هوازن بعث اليهم عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي وامره ان يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق او حدرد فدخل فيهم فاقام نحو يومين حتى سمع

وعلم ما قد اجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ وسمع من مالك وامر هوازن وما هم عليه وما سمعه قول مالك لهوازن ان محمداً لم يقاتل قوما قط قبل هذه المرة وانما كان يلقى قوما اغماراً لاعلم لهم بالحرب فيظهر عليهم فاذا كان سحراً صفّوا مواشيكم ونساءكم وابناءكم من ورائكم ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم واكسروا جفون سيوفكم فتلقونه بعشرين الف سيف مكسورة الجفون واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل اولا .

ثم اقبل ابو حدرد حتى اتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخبره الخبر فقال عمر: كذب ابن ابى حدرد : فقال ابن ابى حدرد ان كذبنى فربما كذبت بالحق يا عمر فقد كذبت من هو خير منى . فقال عمر يا رسول الله الا تسمع ما يقول ابن ابى حدرد ؟ فقال رسول الله ﷺ « قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر » ثم جاء رجل آخر فقال يا رسول الله انى انطلقت بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا فاذا انا بهوازن عن بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين . فتبسم رسول الله ﷺ وقال « تلك غنيمة المسلمين غداً ان شاء الله تعالى » فلما اجمع رسول الله ﷺ السير الى هوازن ليلقاهم ذكر له ان عند صفوان بن امية ادراعا له وسلاحا فأرسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال له « يا ابا امية اعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً ؟ » فقال صفوان اغصبا يا محمد ؟ قال « بل عارية مضمونة

حتى نؤديها اليك » قال ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح . واستعار ﷺ من ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح فقال له كأني انظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين .

## خروجه الى هوازن

وخرج رسول الله ﷺ الى هوازن في اثنى عشر ألفا منهم ألفان من أهل مكة وعشرة الآلاف الذين فتح الله تعالى بهم مكة واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد الأموي على مكة أميراً على من تخلف بها عنه من الناس

وخرج مع رسول الله ﷺ ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية ، وخرج كثير من مكة ركبانا ومشاة حتى النساء يمشين على غير وطء يرجون الغنائم فلما قربوا من محل العدو صف رسول الله ﷺ أصحابه ، وقسم الألوية والروايات على المهاجرين والانصار ، فأعطى لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر الأنصاري رضي الله عنه . ولواء الاوس لأسيد بن حضير الأنصاري رضي الله عنه ، وأعطى لكل بطن من الأوس والخزرج لواء ورايه يحملها رجل منهم ، وكذلك أعطى لقبائل العرب لكل قبيلة لواء ورايه . وأعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رايه ،

وأعطى سعيد بن ابى وقاص رضى الله عنه راية . فجاء رجل فارس الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله انى انطلقت بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا هوازن جائت عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم فتبسم رسول الله ﷺ وقال « تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى » ثم قال « من يحرسنا الليلة ؟ » قال : أنس بن أبى مرثد أنا يا رسول الله . قال اركب ، فركب فرسه وجاء الى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه ولا تغرن من قبلك الليلة » فلما أصبح خرج رسول الله ﷺ الى مصلاه فركع ركعتين ثم قال « هل أحسكم فارسكم ؟ » قالوا يا رسول الله ما أحسناه فثوب بالصلاة فجعل رسول الله ﷺ يصلى وهو يلتفت الى الشعب حتى اذا قضى صلاته وسلم قال « أبشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعل ينظر الى خلال الشجر فى الشعب واذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال انى انطلقت حتى كنت فى أعلا الشعب حيث أمرنى رسول الله ﷺ فلما أصبحت طلعت الشعبين كلاهما فنظرت فلم أجد احداً فقال له رسول الله ﷺ « هل نزلت الليلة ؟ » قال لا الا مصليا أو قاضى حاجة فقال له رسول الله ﷺ « قد أوجبت فلا عليك الا تعمل بعدها »

فلما كان يوم السبت لست خلون من شوال سنة ثمان من الهجرة

عبأ رسول الله ﷺ أصحابه وصفهم صفوفا ، ولبس درعين وهما ( ذات الفضول ) و ( السعدية ) ولبس المغفر والبيضة وركب بغلته البيضاء ( دلدل ) واستقبل صفوف أصحابه وطاف عليها بعضا خلف بعض يتحدون غضبهم على القتال ويبشرهم بالفتح ان صدقوا وصبروا وقدم خالد بن الوليد رضى الله عنه فى بنى سليم وأهل مكة . وجعل ميمنة، وميسرة . وقلبا ، وكان رسول الله ﷺ فى القلب . ثم مضى فقال العباس بن مرداس الاسلمي

أبلغ هوازن أعلاها واسفلها ... من رسالة نصح فيه تبيان
اني أظن رسول الله صابحكم ... جيشا له فى قضاء الأرض أركان
فيهم سليم أخوكم غير نارككم ... والمسلمون عباد الله غسان
وفي عضادته اليمنى بنو أسد ... والأجربان بنو عبس وذبيان
تكاد ترجف منه الأرض رهبة ... وفى مقدمه أوس وعثمان

فقال رجل من جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى الجيش فى عدته وعدته وخيله الذى لم يسبق له مثيل : لن نغلب اليوم من قلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليه ذلك ويقال ان القائل هو سلمة بن الأكوع ، أو سلامة بن وقش الأنصارى . قال الحارث بن مالك خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية فسرنا معه الى حنين وكان لكفار قريش

ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ( ذات أنواط ) يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة خضراء عظيمة فنادينا من جنبات الطريق يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟ قال رسول الله ﷺ « الله اكبر قلتم والذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم » ثم لما كان ذلك الليل عمد مالك بن عوف الى هوازن فعبأهم في وادى حنين وهو واد ، أجوف ذو خطوط ، وشعاب ، ومضايق ، وفرق الناس فيها واوعد اليهم ان يحملوا على رسول الله ﷺ . كذا قال ابن اسحاق

## معركة حنين

قال جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى أودية تهامة فاذا وادي حنين أجوف ذو خطوط انما ننحدر فيه انحداراً قال وكان فى عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا الى الوادي فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه وقد أجمعوا وتهيؤا وأعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد وانشمر الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد وانحاز

رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال « أين الناس هلموا الىَّ أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » قال فلا شئ حملت الأبل بعضها على بعض فانطلق الناس الاَّ انه قد بقى مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر ، وعمر ، ومن أهل بيته علىّ بن ابى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وربيعة ابن الحارث ، وأخوه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه جعفر بن أبى سفيان بن الحارث ، والفضل بن عباس ، وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد ، قتل يومئذ وذكر الحافظ ابن حجر فى الفتح فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ قثم بن العباس ، وشيبة ، ومعتب ، أبنى أبى لهب بن عبد المطلب ، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، ونوفل ابن الحارث بن عبد المطلب ، وعقيل بن أبى طالب وشيبة بن عثمان الحجبى ، بعد أن أراد إغتيال رسول الله ﷺ فتقدم أمامه يضرب بسيفه وهو يقول الله أعلم أنى أحب أن أقيه بنفسى كل شئ ولو لقيت تلك الساعة أبى لوكان حيا لأوقعت به السيف فجعلت ألزمه حتى تراجع المسلمون فكروا كرة رجل واحد وقربت بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوى عليها وخرج فى أثرهم . كذا فى الطبقات لابن سعد ، وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ برأس بغلته البيضاء وعلى بن أبي طالب ، والعباس بين يديه وابن مسعود الى الجانب

الأيسر والنبي صلى الله عليه وسلم يقول « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » قال أهل السير ان المسلمين لما نزلوا وادي حنين تقدمهم كثير ممن لا خبرة لهم بالحرب وغالبهم من شبان مكة وليس عليهم كبير سلاح وفي الصحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال عجل سرعان القوم وفي لفظ شبان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عليهم سلاح واما لما حملنا على المشركين انكشفوا فأقبل الناس على الغنائم وكانت هوازن رماة فاستقبلتنا بالسهام كأنها رجل جراد لا يكاد يسقط لهم سهم . وكان أول ما انكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم أهل مكة الطلقاء ، وقد قال بعضهم لبعض ممن لم يتمكن الايمان من قلبه أخذلوه فهذا وقته ، فانهزموا وتبعهم الناس وقد وصلت الهزيمة الى مكة وسُرَّ بذلك قوم بمكة لا يزالون في شرهم وأظهروا الشماتة وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائهم ، وقائل يقول قتل محمد وتفرق أصحابه ، فسمع بذلك عتاب بن أسيد أمير مكة فقال ان قتل محمد فان دين الله قائم والذي يعبده محمد حي لا يموت . ولما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان بن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وان الأزلام لمعه في كنانته . وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه لأمه صفوان بن أمية وهو مشرك (الا بطل السحر اليوم)

فقال له صفوان أسكت فض الله فاك فوالله لان يربني رجل من قريش — يعني يملك أمري — أحب الى من ان يربني رجل من هوازن ، وسر رجل من قريش بصفوان بن أمية وقال ابشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا . فغضب صفوان وقال اتبشرني بظهور الأعراب فوالله لرب رجل من قريش أحب الى من رجل من الأعراب وغضب صفوان لذلك وبعث غلاما له فقال اسمع لمن الشعار فجاءه فقال سمعتهم يقولون يابني عبدالرحمن ، يابني عبدالله ، يابني عبدالله، فقال ظهر محمد وكان ذلك شعارهم. وقال له عكرمة بن أبي جهل وكونهم لايجبرونها ابدا هذا ليس بيدك ، الأمر بيد الله ليس الى محمد منه شيء ان أديل عليه اليوم فان له العاقبة غداً ، فقال له سهيل بن عمرو والله ان عهدك بخلافه لحديث . فقال له يا أبا يزيد انا كنا على غير شيء وعقولنا ذاهبة نعبد حجرا لا يضر ولاينفع

قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه اني لمع رسول الله ﷺ آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها وكنت امرأ جسيما شديد الصوت قال رسول الله ﷺ حين رأى ما رأى من الناس « أين أيها الناس » فلم أر الناس يلوون على شيء فقال ياعباس « اصرخ يامعشر الأنصار يا معشر أصحاب السمر » وفي رواية البغوي والبيهقي « ياعباس اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالانصار الذين أووا

ونصروا » يعنى — الشجرة التى بايعوه تحتها بيعة الرضوان — وكان تارة ينادى العباس يا أصحاب سورة البقرة فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كأنهم الأبل اذا حنت على أولادها فأجابوا لبيك لبيك قال العباس فيذهب الرجل ليثنى بعيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله فيؤم الصوت حتى ينتهى الى رسول الله ﷺ حتى اذا اجتمع اليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا وكانت الدعوى أول ما كانت يالالأنصار ثم خلصت أخيراً يا للخزرج وكانوا صُبُرًا عند الحرب فاشرف رسول الله ﷺ في ركائبه فنظر الى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال « الآن حمي الوطيس » والوطيس التنور اذا أوقد فيه النار يعنى بلغ القتال أشده وهذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ عند ذلك فقال « اللهم أنشدك ما وعدتنى اللهم لا ينبغى لهم ان يظهروا علينا كنت وتكون وأنت حى لا تموت تنام العيون وتكدر النجوم وأنت حى قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم يا حى ياقيوم » وأخذ رسول الله ﷺ حصيات من الأرض ثم قال « شاهت الوجوه » ورمى بها فى وجوه المشركين فوقعت فى أبصارهم وجاهد المهاجرون والأنصار وأهل بيته رضى الله عنهم جهاد المستميت دون رسول الله ﷺ اذ كان المشركون يفوقون أصحاب رسول الله ﷺ حيث كانوا

نيفا وعشرين ألفا والمسلمون نحو المائة . ثم ركض رسول الله ﷺ نحو المشركين قال الحافظ بن كثير في تفسيره : وثبت رسول الله ﷺ وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها الى نحر العدو والعباس عمه آخذ بركابها الايمن ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركابها الأيسر يثقلانها لئلا تسرع السير وهو ينوه باسمه عليه الصلاة والسلام ويدعو المسلمين الى الرجعة «أين ياعباد الله الى أنا رسول الله» ثم يقول فى تلك الحال «أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب» وثبت معه من أصحابه قريب من مائة . ثم قال وأخذ قبضة من التراب بعد ما دعا ربه واستنصره ثم رمى القوم بها فما بقى انسان منهم الا اصابه منها فى عينيه وفمه ما اشغله عن القتال ثم انهزموا فأتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون وما تراجع بقية الناس الا والأسرى مجندلة بين يدى رسول الله ﷺ وقال ابن كثير : وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة انه فى مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست سريعة الجرى ولا تصلح للفر ، ولا للكر ، ولا للهرب ، ومع هذا يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين وما هذا كله الا ثقة بالله وتوكلا عليه . قال البراء كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذيه يعنى رسول الله ﷺ قال جابر بن عبد الله

الأنصارى رضى الله عنه بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمل يصنع ما يصنع اذ هوى له على بن أبى طالب رضى الله عنه ورجل من الأنصار يريدانه فأتاه على بن أبى طالب من خلفه فضرب عرقوب الجمل فوقع على عجزه ووثب الأنصارى على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فأنجعف عن رحله قال واجتاد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من الهزيمة حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ . وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يقتلوا من قدروا عليه واتبعتهم المسلمون يقتلون فيهم حتى قتل بعض الذرية فنهاهم النبى ﷺ عن قتل الذرية . وقال رسول الله ﷺ « من قتل قتيلا فله سلبه » واستلب ابو طلحة زيد بن سهل بن الاسود النجارى الانصارى رضى الله عنه زوج أم سليم وحده عشرين رجلا بعد أن قتلهم بيده . قال أبو قتادة الانصارى رضى الله عنه رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان مسلماً ومشركا قال واذا رجل من المشركين يريد ان يعين صاحبه المشرك على المسلم فأتيته فضربت يده فقطعتها واعتنقنى بيده الاخرى فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الموت وكاد يقتلنى فلولا ان الدم نزفه لقتلنى فسقط فضربته فقتلته واجهضنى عنه القتال ومر به رجل من أهل مكة فسلبه فلما وضعت الحرب اوزارها وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ « من قتل قتيلا فله سلبه » فقلت يا رسول الله والله لقد قتلت قتيلا

ذا سلب فأجهضني عن القتال فما أدري من استلبه فقال رجل من أهل مكة صدق يا رسول الله وسلب ذلك القتيل عندي فارضه عني من سلبه فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا والله لا يرضيه منه ، تعمد الى أسد من أسود الله يقاتل عن دين الله تفاسحه سلبه أردد عليه سلب قتيله ، فقال رسول الله ﷺ « صدق أردد عليه سلبه » قال ابو قتادة فأخذته منه فبعته فاشتريت بثمنه مخرفا يعني بستانا فانه لاول مال أعتقلته .

قال جبير بن مطعم رضي الله عنه لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الاسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فاذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي لم أشك أنها الملائكة ثم لم يكن الا هزيمة القوم . رواه ابن اسحاق وذكر محمد بن عمر قال كان من دعاء رسول الله ﷺ حين انكشف عنه الناس ولم يبق معه الا المائة الصابرة ﴿ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان ﴾ وروى ابن كثير في تفسيره عن ابي يعلى بن عطاء انه حدثه ابناء هوازن عن آبائهم أنهم سمعوا صلصلة بين السماء والارض كامرار الحديد على الطشت الحديد وروى ابن جرير الطبري في تفسيره عن المعتمر ابن سليمان بن عوف قال سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن حدثني رجل كان مع المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة قال فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا الى صاحب

البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله ﷺ قال فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه فقال انا « شاهت الوجوه ارجعوا » فانهزمنا وركبوا اكتافنا فكانت اياها . فهذا خبر وجود الملائكة مع رسول الله ﷺ يوم حنين وهو معنى قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾

فهزم المشركين شر هزمة حتى تركوا النساء والذرية والاموال بمن ثبت بين يدي رسول الله ﷺ وهم المائة من المهاجرين والانصار وأهل بيته الذين سحقوا هوازن حبا بالسيوف والرماح وكان رسول الله ﷺ في هذا الموقف أشجع الناس وكان أعظم اصحابه بأسا من حاذاه ، وقاتل خالد ابن الوليد قتال المستميت حتى انثخنته الجراح : وقال كثير من اصحابه الذين كانوا معه انه لم يرجع المنهزمون الا والاساري والاموال عند رسول الله ﷺ وقال ابو بشير المازني رضي الله عنه يصف الهزيمة : فاختلطت صفوفنا وانهزمنا مع المقدمة وأكثرنا يومئذ غلام شاب وقد علمت ان رسول الله ﷺ متقدم فجعلت اقول يا للانصار بأبي وأمي عن وصول الله ﷺ نولون وأكر في وجوه المنهزمين ليس لي همة الا النظر الى سلامة رسول الله ﷺ حتى صرت الى رسول الله ﷺ وهو يصيح « يا للانصار » فدنوت من دابته والتفت من ورائها واذا الانصار قد كروا كرة رجل واحد ورسول الله ﷺ واقف على دابته في وجوه العدو ومضت الانصار امام رسول الله ﷺ يقاتلون ورسول الله ﷺ ساير معهم يفرجون

العدو عنه حتى طردناهم فرسخا وتفرقوا فى الشعاب حتى فلوا من بين ايدينا فرجع رسول الله ﷺ الى منزله وقبته قد ضربت له والاسرى مكتفون حولها واذا نفر حول قبته وفى قبته زوجتاه أم سلمة ، وميمونة وحولها النفر الذين يحرسون رسول الله ﷺ وهم عباد بن بشر ، وأبو عابلة ، ومحمد بن مسلمة .

ولما هزم الله المشركين من أهل حنين ومكن رسول الله ﷺ منهم قالت امرأة من المسلمين .

غلبت خيل الله خيل اللات وخيله أحق بالثبات

وأخذ الصحابة يقتفون أثر هوازن الى اوطاس فدرك ربيعة بن رفيع السلمى وهو ابن الدغنة دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة لانه كان فى شجار له شبه الهودج فاذا هو رجل فاناخ به فاذا شيخ كبير واذا هو دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ما ذا تريد بى ؟ قال أقتلك ، قال ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن رفيع السلمى ثم ضربه بسيفه فلم يغن فيه شيئا ، فقال له دريد ، بئس ما سلحتك أمك خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ثم أضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت أضرب الرجال ، ثم اذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك . قال ربيعة لما ضربته فوقع تكشف فاذ عجانه وبطن فخذيه مثل القرطاس

من ركوب الخيل اعراء ، فلما رجع ربيعة الى أمه أخبرها بقتله اياه ، قالت أما والله لقد أعتق امهات لك ثلاثا . وقد استمر القتل فى بنى مالك من ثقيف فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث، وكانت رايتهم مع ذي الخمار فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قتل ، فلما بلغ رسول الله ﷺ قتله قال « أبعده الله فانه كان يبغض قريشا » وكان قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانى اغرل فبينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف اذ كشف المجن بسلبه فوجده اغرل ، فصاح بأعلا صوته يا معشر العرب يعلم الله ان ثقيفا غرل ، قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، لانه كان من ثقيف ، قال فقلت لا تقل ذلك فداك أبي وأمي انما هو غلام لنا نصرانى ، ثم جعلت أكشف له عن القتلى وأقول له الا تراهم مختتنين كما ترى وكانت راية الاحلاف مع قارب بن الاسود فلما انهزم الناس أسند رايته الى شجرة وعرب هو وبنو عمه وقومه من الاحلاف، فلم يقتل من الاحلاف غير رجلين رجل من بنى غيرة يقال له وهب ، والآخر من بنى كعب يقال له الجلاح ، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح « قتل اليوم سيد شباب ثقيف الا ما كان من ابن هنيدة » يعنى ابن هنيدة الحارث بن أويس والتفت رسول الله ﷺ فرأى أم سليم ابنة ملحان الانصارية مع زوجها أبي

طلحة وهي حازمة وسطها بمرد لها وانها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ومعها جمل أبي طلحة وقد خشيت ان يعزها الجمل فادنت رأسه منها فادخلت يدها في خزامته مع الخطام وكانت مع زوجها في قتال القوم حتى هزمهم الله تعالى فقال لها رسول الله ﷺ « أم سليم » قالت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما نقتل الذين يقاتلونك فانهم لذلك أهل . فقال لها رسول الله ﷺ « أو يكفى الله يا أم سليم » وكان معها خنجر فقال لها زوجها أبو طلحة ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت خنجر أخذته ان دنا مني أحد من المشركين بعجته به ، فقال أبو طلحة الا تسمع يارسول الله ماتقول أم سليم الرمصاء . وهذه أم سليم هي أم أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله ﷺ .

وكانت هزيمة المشركين شر هزيمة فمنهم من أتى الطائف ومنهم من لحق بنخلة ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو بجيلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة الا نفيرة من ثقيف روى محمد ابن عمر عن شيوخ من ثقيف قالوا مازال رسول الله ﷺ في طلبنا فيما نرى ونحن مولون حتى ان الرجل ليدخل حصن الطائف وانه ليظن انه على أثره من رعب الهزيمة . وروى الامام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان في المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ نزل فهزمهم الله تعالى فولوا فقام رسول الله

ﷺ حين رأى الفتح فجعل يُجاء بهم أسارى رجل ، رجل ، يبايعونه على الاسلام ، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ان عليَّ نذراً لئن جيء بالرجل الذى كان منذ اليوم يحطمنا لأضربن عنقه فسكت رسول الله ﷺ قال يا نبي الله تبت الى الله ، وأمسك رسول الله ﷺ عن مبايعته ليوفى الآخر بنذره وجعل ينظر الى رسول الله ﷺ لأمره بقتله وهاب رسول الله ﷺ، فلما رأى رسول الله ﷺ الرجل لا يصنع شيئاً بايعه فقال يا رسول الله نذرى قال « لم أمسك عنه منذ اليوم الا لتوفى نذرك » فقال يارسول الله الا أومأت اليَّ قال « انه ليس لنبي أن يومئ » .

فلما استقر رسول الله ﷺ فى قبته دخل عليه شيبة بن عثمان الحجبي وما دخل عليه أحد غيره فقال له رسول الله ﷺ « يا شيبة الذى أراد الله خير مما أردت بنفسك » قال شيبة ثم حدثنى بكل ما أضمرته فى نفسى مما لم أذكره لأحد قط فقلت اني أشهد أن لا إله الا الله وأنك رسول الله ، ثم قلت استغفر لي ؟ فقال « غفر الله لك » .

وقد جرح خالد بن الوليد رضى الله عنه فبلغ رسول الله ﷺ فمشى بين المسلمين بعد ان رجعوا الى رحالهم من قتال المشركين ويقول « من يدلنى على رحل خالد بن الوليد ؟ » فسعى عبد الرحمن بن أزهر رضى الله عنه بين يديه وهو غلام محتلم فصار يقول من يدل على رحل خالد بن الوليد ؟ حتى دل عليه فاذا خالد مستند الى مؤخرة رحله قد

أثقل بالجراحة فأتاه رسول الله ﷺ فنظر الى جراحه فتفل فيها فبرئ

قال سلمة بن الاكوع رضى الله عنه بينما نحن نتضحى مع رسول الله ﷺ اذا رجل على جمل أحمر فأناخه ثم انتزع طلقا من حقبه فقيد به الجمل ثم تقدم فتغذى مع القوم وجعل ينظر وفينا ضعفة ورقة من الظهر وبعضنا مشاة اذ خرج يشتد فأتى الجمل فاطلق قيده ثم أناخه ثم قعد عليه فاشتد به الجمل واتبعه رجل من أسلم من اصحاب رسول الله ﷺ على ناقة ورقاء فقال رسول الله ﷺ « اطلبوه واقتلوه » قال سلمة فخرجت أشتد فكنت عند ورك الناقة ثم تقدمت حتى كنت عند ورك الجمل ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل فأنخته فلما وضع ركبته على الارض اخترطت سيفي فضربت رأس الرجل فندى ثم جئت بالجمل أقوده عليه رحله وسلاحه فاستقبلني رسول الله ﷺ والناس معه فقال « من قتل الرجل » قالوا ابن الاكوع قال « له سلبه أجمع »

وأسلم ومئذ كثير من كفار مكة وغيرهم لما رأوا نصر الله تعالى لرسوله ﷺ والمؤمنين بمائة رجل من اصحابه على هوازن ومن معهم من ثقيف وغيرهم من المشركين البالغين بيضا وعشرين ألفا . ولأجل ان لا يكون القارئ في ريب من قولنا ان الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ مائة رجل من اصحابه وبهم كانت هزيمة هوازن ومن معهم فاذكر له هنا الروايات الواردة في ذلك . روى الترمذي من حديث ابن عمر

باسناد حسن قال لقد رأيتنا يوم حنين وان الناس لمولين وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل قال الحافظ ابن حجر العسقلانى إمام المحققين فى فتح الباري شرح صحيح البخاري وهذا — يعنى حديث الترمذى — أكثر ما وقفت عليه من عدد من ثبت يوم حنين وروى أحمد والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن ابيه قال كنت مع النبى ﷺ يوم حنين فولى الناس وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والأنصار فكنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة وهذا لا يخالف حديث ابن عمر فانه نفى أن يكونوا مائة وابن مسعود اثبت أنهم ثمانون انتهى. وفى سبيل الهدى والرشاد روى البيهقي عن حارثة بن النعمان رضى الله عنه قال لقد أحرزت من بقى مع رسول الله ﷺ حين أدبر الناس فقلت مائة واحد. وروى ابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لقد رأيتنا يوم حنين وان الفئتين لمولیتان وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل وروى الامام احمد والطبرانى والحاكم وابو نعيم والبيهقى برجال ثقات عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى الناس وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والأنصار فنكصنا على أعقابنا نحوا من ثمانين قدما ولم نولهم الدبر. وروى البزار عن أنس رضى الله عنه أن أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ضرب كل منهم يومئذ بضعة عشر ضربة وابن مسعود

أيضاً ومن الانصار أبو دجانة وحارثة بن النعمان كذا عند محمد بن عمر ، وسعد بن عبادة ، وأبو بشير المازني ، وأسيد بن حضير رضي الله عنهم ومن أهل مكة شيبة بن عثمان الحجبي كما تقدم ومن نساء الانصار أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وأم عمارة نسيبة بنت كعب ، وأم الحارث جدة عمارة بنت غزية ، وأم سليط بنت عبيد قال محمد بن عمر يقال أيضاً أن المائة الصابرة يومئذ ثلاثة وثلاثون من المهاجرين وستة وستون من الأنصار انتهى فهؤلاء مجموعهم تسعة وتسعون والظاهر تمام المائة يكون شيبة بن عثمان الحجبي وهو مكي ولم يعتبر من المهاجرين ولا من الأنصار كما هو ظاهر . وروى ابن جرير في تاريخه من طريق ابن اسحاق عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال اني لمع رسول الله ﷺ آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها قال وكنت امرأ جسيما شديد الصوت قال ورسول ﷺ يقول حين رأى الناس ما رأى « أين أيها الناس » فلما رأى الناس لا يلوون على شيء قال « يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة » فناديت يا معشر الأنصار يامعشر أصحاب السمرة قال فلجابوا ان لبيك ، لبيك ، قال فيذهب الرجل منهم يريد ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يقتحم عن بعيره فيخلي سبيله في الناس ثم يؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله ﷺ حتى اذا اجتمع اليه مائة

رجل استقبلوا الناس فاقتتلوا فكانت الدعوى أولا يا للانصار ، ثم جعلت أخيرا يا للخزرج، وكانوا صُبُرًا عند الحرب فأشرف رسول الله ﷺ فى ركابه فنظر الى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال « الآن حمى الوطيس » انتهى وفي حديث جابر بن عبد الله المتقدم فوالله ما رجعت راجعة الناس من الهزيمة حتى وجدوا الاسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ . وذكر الحافظ ابن كثير فى تفسيره فى قصة حنين جملة روايات وفيها ان الذين صبروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين مائة رجل ، منها من رواية جابر بن عبد الله : حتى اجتمع الى رسول الله ﷺ مائة فاستعرض الناس فاقتتلوا قال فوالله ما رجع الناس الا والاسارى عند رسول الله ﷺ مقرون . ومنها من رواية ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وبقيت معه فى ثمانين رجلا من المهاجرين والانصار قدمنا ولم نولهم الدبر وهم الذين انزل الله عليهم السكينة . وروى محمد بن عمر قال كان من دعاء رسول الله ﷺ حين انكشف عنه الناس ولم يبق معه الا المائة الصابرة . كما تقدم ذكر ذلك . وفى الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رجلا قال له يا أبا عمارة أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال لكن رسول الله ﷺ لم يفر، ان هوازن كانوا قوما رماة فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا فأقبل الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانهزم

الناس . فلقد رأيت رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلته البيضاء وهو يقول « أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب » فهؤلاء الصحابة الذين حضروا وقعة حنين يحدثون انه لم يثبت مع رسول الله ﷺ بعد الهزيمة أكثر من مائة وهذا جابر يقول ما رجعت راجعة الناس من الهزيمة حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ فهل بقي بعد ذلك للقاري ريب أو شك في ذلك ؟ والحكمة في ذلك أن الله سبحانه وتعالى له في خلقه شؤون وخوارق . فلما كان بعض الصحابة أعجب بكثرة الجيش لكونه كان أعظم جيش خرج مع رسول الله ﷺ من يوم أسر بالتنقل الى ذلك التاريخ عدداً وعدة وقال لن نغلب من قلة . فأراد الله سبحانه وتعالى أن يريه هو ومن يظن ظنه أن النصر بيد الله تعالى لا بيد القوة وحدها . فانهزموا في أثناء المعركة ولما ثبت مع رسول الله ﷺ مائة رجل كتب الله له النصر بالمائة ولم ترجع راجعة الناس الا والأسارى والغنائم بين يدى رسول الله ﷺ ومما يؤيد ذلك قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فقوله تعالى وعلى المؤمنين الذين ثبتوا لا يدل على أن من لم يثبت ليس بمؤمن فاذا قلت لرجل أنت مؤمن فهل يكون غيره ليس بمؤمن ؟ كلا . حيث أن هذه اللفظة لا تدل على الحصر

يعني الذين ثبتوا هم المؤمنون ، والذين لم يثبتوا ليسوا بمؤمنين ، فهذا ليس بمعقول ، انما كان الفضل في هذه الوقعة لمن ثبت لا لمن فر وانهزم ، مع ان كثيراً ممن انهزم له مواقف سبقت في الوقائع المتقدمة تدل على شدة بأسه وقوة جلاده في الحروب ولكن ذلك كان بقضاء الله وقدره . ومن تتبع التفاسير يعلم ذلك . كما انه ورد ان الذين ثبتوا في الابتداء مع رسول الله ﷺ اربعة العباس ، وعلي وابو سفيان بن الحارث ، وعبد الله ابن مسعود . ثم ذكر الامام النووي في شرح مسلم انه ثبت معه اثنا عشر رجلا . وعدهم ابن اسحاق تسعة فقال ثبت معه العباس ، وابنه الفضل ، وعلي ، وابو سفيان بن الحارث ، وأخوه ربيعة ، وأسامة بن زيد . واخوه لأمه أيمن بن أم أيمن ، وابو بكر ، وعمر ؛ ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب عشرة فقط وذلك قوله

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا

وعاشرنا وافى الحمام بنفسه ... لما مسه في الله لا يتوجع

وكل ذلك صحيح كان في اول الهزيمة ، ثم لما أمر رسول الله ﷺ العباس ان يصرخ يا معشر الانصار فتوارد القوم على نداء العباس فبلغوا مائة وجل كما قدمنا فحازوا النصر من الله تعالى وأمدهم الله تعالى بالملائكة كما جاء في القرآن ﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني الملائكة

لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وخذلان المشركين وجبنهم لا للقتال لأن الملائكة لم تقاتل ، وهو قول أكثر المفسرين . وليس ذلك بعيداً عن تصورات العقل الصحيح فقد أثبت التاريخ انه حصل ما يقرب من ذلك لغير الانبياء فما بالك بالانبياء صلوات الله عليهم الذين يقاتلون لاعلاء كلمة الله تعالى وابادة المعاندين . حيث ان القاعدة عند الامم السالفة في حروبها ان الفوز والنصر يكون بيد القائد لان القائد عادة يكون أمام الجيش فاذا ثبت ثبت معه قومه واذا قتل ولم يكن في القوم من ينوب عنه هزم جيشه ولذلك كان القائد لجيش المسلمين في حنين رسول الله ﷺ فلما ثبت لم يؤثر عليه هزيمة الناس وكان في النتيجة النصر له ، ولما هزم قائد هوازن مالك بن عوف كان من هزيمته هزيمة قومه ولذلك أمثال كثيرة في التاريخ فمن ذلك وقعة أحد لما صاح ابن قمئة ان محمداً قد مات فر الناس ومعظمهم دخل المدينة وكانت الهزيمة ، مع انه لم يقتل في تلك الوقعة من المسلمين غير سبعين رجلا ومعظمهم من الرماة ، وكذلك يوم بدر لما قتل صناديد قريش فر المشركون وهم نحو ألف مع ان جميع من قتل منهم لم يتجاوز السبعين وغير ذلك من الامثلة التاريخية الصحيحة ولم آت بما أتيت به هنا لاقناع الجاهل الاحمق ، او الغبي المعاند ، او الملحد الارعن ، لان هؤلاء قد أعمى الله ابصارهم وبصائرهم ، وطمس عقولهم وقلوبهم ، فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ولا يتصورون . وانما

أتيت بما استظرفته من الادلة لازالة الشك عن فكر المتبصر من صحة النقل فى ذلك ، والتاريخ مرجعه النقل الصحيح لا الفكر السقيم .

## الغنائم

بعد ان انتهى رسول الله ﷺ من حنين أمر بالغنائم أن تجمع ونادى مناديه « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغل » وجعل الناس غنائمهم فى موضع حيث استعمل عليها رسول الله ﷺ وروى الحاكم بسند صحيح عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال أخذ رسول الله ﷺ يوم حنين وبرة من بعير ثم قال « يا أيها الناس انه لا يحل لي مما أفاء الله تعالى عليكم قدر هذه الا الخمس ، والخمس ، مردود عليكم فادوا الخيط والمخيط واياكم والغلول فانه عار على أهله يوم القيامة » وكان عقيل بن أبي طالب دخل على زوجته وسيفه ملطخ بدم فقالت ابى علمت انك قاتلت اليوم المشركين فما ذا أصبت من غنائمهم ؟ فقال هذه الابرة تخيطين بها ثيابك فدفعها اليها ثم خرج فسمع منادي رسول الله ﷺ يقول من أصاب شيئا من المغنم فليرده ، فرجع عقيل رضى الله عنه الى امرأته فقال والله ما أرى ابرتك الا قد سلبت منك ، فأخذها فالقاها فى المغانم . وجاء رجل بكبة من شعر فقال يا رسول الله أضرب بهذه برذعة لي؟ فقال رسول الله ﷺ « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب

فهولك» وأتى رسول الله ﷺ الناس يوم حنين فى قبائلهم يدعوهم وأنه ترك قبيلة من القبائل وجدوا في بردعة رجل منهم عقداً من جذع غلولا فاتاهم رسول الله ﷺ فكبر كما يكبر على الميت . اذا تأملت ذلك تعلم أن رسول الله ﷺ كان يعلم أصحابه كيف يكون حفظ الأمانة والتساوى فيما بينهم ولا يسمح لأحدهم ان يمتاز على غيره ولا بابرة ولا بوبرة من شعر مع أن ذلك بالنسبة لما غنم المسلمون من هوازن لا يعد شيئا ولكن الأمانة اذا أديت فى الشئ التافه تؤدى فى الشئ الكبير ، واذا وقع التساهل فى الحقير ضاع العظيم ، فلهذا ساد الاسلام والمسلمون فى ذلك العهد على غيرهم . قال ابن سعد كان السبى ستة آلاف رأس ، والابل أربعة وعشرين ألف بعير ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة . وروى عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب قال سبى رسول الله ﷺ يومئذ ستة آلاف سبى بين امرأة وغلام فجعل عليهم رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب . وقال البلاذرى أنه بديل بن ورقاء الخزاعي . وروى الطبرانى عن بديل بن ورقاء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر أن تحبس السبايا والاموال بالجعرانة حتى يقدم فحبست . وقال ابن اسحاق وجعل رسول الله ﷺ على الغنائم مسعود بن عمرو الغفاري . وسميت الجعرانة باسم امرأة كانت تلقب بذلك ، وبقيت الغنائم بالجعرانة الى أن انتهى رسول الله ﷺ من غزوة

الطائف وبين حنين والجعرانة نحو عشرة أميال والظاهر في اختيار الجعرانة مستودعا للغنائم لانه مضيق محكم ولم يكن مستطرقا وفيه بئر غزيرة الماء لاجل السقياء أما وادي حنين فهو أولا مستطرق وثانيا ليس فيه ماء ، والله أعلم . وفي هذه الغزوة سمي طلحة بن عبيد الله طلحة الجواد لكثرة انفاقه على العسكر . واخذ المنهزمون من المسلمين يتراجعون الى رسول الله ﷺ حتى عادوا كلهم الى المعسكر .

وكان البشير الذي بشر أهل المدينة بفوز رسول الله ﷺ وهزيمة هوازن ، نهيك بن أوس الأشهلي فخرج في ذلك اليوم ممسيا فأخذ في أوطاس حتى خرج على عمره فاذا الناس يقولون هزم محمد هزيمة لم تهزم هزيمة مثلها قط وظهر مالك بن عوف على عسكره قال نهيك فقلت الباطل تقولون والله لقد ظفّر الله تعالى رسوله ﷺ وغنمه نساءهم واموالهم قال فلم أزل أطأ الخبر حتى انقطع بمعدن بني سُلَيم أو قريبا منها فقدمت المدينة وقد سرت في أوطاس ثلاث ليال وما كنت أمشي على راحلتي أكثر مما كنت أركبها فلما انتهيت الى المصلى ناديت أبشروا يا معشر المسلمين بسلامة رسول الله ﷺ والمسلمين وقد ظفّره الله تعالى بهوازن واوقع بهم فسبي نساءهم وغنم أموالهم وتركت الغنائم في يديه تجمع فاجتمع الناس إليّ يحمدون الله تعالى على سلامة رسول الله ﷺ والمسلمين ، ثم انتهيت الى بيوت أزواج رسول الله ﷺ فاخبرتهن

فحمدن الله تعالى على ذلك قال وكانت الهزيمة الأولى التى هزم فيها المسلمون قد ذهبت فى كل وجه حتى أكذب الله تعالى حديثهم .

## معركة أوطاس

قال القاضى عياض أوطاس واد فى ديار هوازن وقال أبو عبيد البكرى أوطاس واد في ديار هوازن وهناك عسكروا هم وثقيف ثم التقوا بحنين . والغالب انه واقع فى علو السيل بين حنين ووادى قرن ويبعد تقريبا عن مكة خمسين ميلا . ولما انصرف رسول الله ﷺ من حنين وعلم ان قسما من هوازن وثقيف عسكروا بأوطاس بعث أبا عامر عبيد بن سليم الاشعرى العمانى عم أبى موسى الاشعري في طلب الفارين من هوازن وثقيف الى أوطاس فخرج اليهم أبو عامر وخرج معه فرسان الصحابة ، وكان مالك بن عوف واصحابه هوازن على ثنية أوطاس فلما طلعت عليهم خيل اصحاب رسول الله ﷺ قال لاصحابه ما ذا ترون فقالوا نرى قوما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم . فقال هؤلاء بنو سُلَيم ولا بأس عليكم منهم ، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى ثم طلعت خيل أخرى تتبعها فقال لاصحابه ما ذا ترون قالوا نرى قوما عارضى رماحهم أغفالا على خيلهم فقال هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا الى اصل الثنية سلكوا طريق بنى سليم ، ثم طلع فارس فقال

لاصحابه ماذا ترون فقالوا نرى فارسا طويل الباد واضعا رمحه على عاتقه عاصبا رأسه بعلاءة حمراء . فقال هذا الزبير بن العوام وحلف باللات ليخالطنكم فاثبتوا له فلما انتهى الزبير الى أصل الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس ولم تتبع من سلك الثنايا ، قال ابن هشام أن أبا عامر الاشعرى لقى يوم أوطاس عشرة أخوة من المشركين فحمل على أبي عامر أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم أشهد عليه فقتله أبو عامر . ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم أشهد عليه فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقى العاشر فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم أشهد عليه . فقال الرجل اللهم لا تشهد عليّ . وكف عنه ابو عامر فاقلت . ثم أسلم بعد فحسن اسلامه . فكان رسول الله ﷺ اذا رآه قال « هذا شريد أبي عامر » ورمى أبا عامر اخوان « العلاء » واوفى ابنا الحارث بن جشم بن معاوية وصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلا أبا عامر وولى أبو موسى الاشعري فحمل عليهما فقتلهما انتهى هذا ما رواه ابن هشام . وفي البخارى عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال فرُميَ أبو عامر في ركبته رماه جشمي

بسهم فأثبته فى ركبته فانتهيت اليه فقلت يا عم من رماك فأشار الى أبى موسى فقال ذاك قاتلى الذي رماني فقصدت له فلحقته فلما رآنى ولى فأتبعته وجعلت أقول له الا تستحي الا تثبت فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف ، فقتلته ثم قلت لابي عامر قتل الله صاحبك ، قال فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء قال يا ابن أخي أقرئ النبي السلام وقل له استغفر لي ؟ واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات فرجعت فدخلت على النبي ﷺ فى بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير فى ظهره وجنبيه فأخبرته بخبرنا ، وخبر ابى عامر ، وقال قل له استغفر لي ، فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال « اللهم اغفر لعبيد أبي عامر » ورأيت بياض أبطيه ثم قال « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس » فقلت ولي فاستغفر فقال « اللهم اغفر لعبد الله ابن قيس ذنبه وادخله يوم القيامة مدخلا كريماً » وابو عامر هذا قد اسلم قديماً وهاجر الى الحبشة ، انتهى .

وبلغ رسول الله ﷺ ان خالد بن الوليد قتل امرأة والناس متقصفون عليها فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه « ادرك خالداً فقل له ان رسول الله ﷺ ينهاك ان تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفا » وقال رسول الله ﷺ للمجاهدين « ان قدرتم على بجاد رجل من بني سعد ابن بكر فلا يفلتنكم » وكان قد أحدث حدثا فلما ظفر به المسلمون

ساقوه واهله وساقوا معه الشماء بنت الحارث بن عبدالعزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاع فعنفوا عليها في السياق فقالت للمسلمين تعلمون والله انى لاخت صاحبكم من الرضاع ، فلم يصدقوها حتى أتوا بها الى رسول الله ﷺ فلما انتهى بها الى رسول الله ﷺ قالت يارسول الله انى أختك من الرضاع ، قال « وما علامة ذلك ؟ » قالت عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متورکتك ، فعرف رسول الله ﷺ العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال « ان أحببت فعندي محببة مكرمة وان أحببت أن أمتعك وترجعي الى قومك فعلت ؟ » فقالت بل تمتعني وتردني الى قومي . فمتعها رسول الله ﷺ وردها الى قومها وأعطاها غلاما اسمه مكحول وجارية فزوجت احدهما الاخرى فلم يزل فيهم من نسلهم بقية . فلما انهزم المشركون من اوطاس وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا عادوا الى رسول الله ﷺ .

## هدم الصنم ذى الكفين

لما اراد رسول الله ﷺ المسير الى الطائف بعث الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه الى ذى الكفين وهو صنم عمرو بن حممة الدوسى ليهدمه وأمره ان يستمد قومه ويوافيه بالطائف فخرج سريعا الى قومه فهدم ذا الكفين وجعل يحثى النار فى وجهه وانحدر معه من قومه أربعمائة

سراعا فوافوا رسول الله ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة ايام فقال لهم رسول الله ﷺ « يا معشر الأزد من يحمل رايتكم » فقال الطفيل من كان يحملها فى الجاهلية ، النعمان بن الرواية قال « أصبتم »

## اسماء من استشهد بحنين وأوطاس

واليك اسماء من استشهد يوم حنين واوطاس

(١) أيمن بن عبيد القرشي من بني هاشم

(٢) يزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد . جمح به فرس له يقال له الجناح فقتل

(٣) سراقة بن الحارث بن عدى من بنى العجلان الانصارى

(٤) أبو عامر الاشعرى . هذا ما ذكره ابن هشام عن ابن اسحاق ومجموعهم اربعة نفر فى موقعتين عظيمتين كبيرتين بعد ان قدر الله سبحانه تعالى على المسلمين بالانهزام فى اول المعركة بحنين ولم يقاتل فى المعركة سوى مائة رجل مع رسول الله ﷺ وهم الذين قدر الله تعالى لهم أن يهزموا هوازن ومن معهم من المشركين ولم يتلاحق الجيش الا بعد ان هزم الله تعالى المشركين على يدهم ، ولم يقتل يوم حنين فى تلك المعركة الدامية العظيمة التى قال فيها رسول الله ﷺ « حمى الوطيس » سوى رجلين اثنين من الاربعة المذكورين حيث ان الثالث وهو يزيد

ابن زمعة جمح به فرسه فقتل ، والرابع ابو عامر وهو الذى قتل بأوطاس بعد ان قتل تسعة مبارزة . فهل يخطر فى عقل انسان ، او مر على قلب بشر ان معركة دامية يقاتل فيها مائة رجل اكثر من عشرين ألف مقاتل ولم يقتل من تلك الفئة القليلة سوى رجلين ويكون لتلك الفئة الضئيلة الفوز والنصر على عدوهم ، ذلك نصر الله تعالى قدره لرسله عليهم الصلاة والسلام ، والصادقين من عباده ، ولاشك ان هذا اعظم معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعظم خارقة من خوارق العادات التى لا تقاس على العقل ، والقاعدة ، والعادة ، يقول فى ذلك ابن القيم فى كتابه زاد المعاد كان الله عز وجل قد وعد رسوله وهو صادق الوعد انه اذا فتح مكة دخل الناس فى دين الله أفواجا ودانت له العرب بأسرها ، فلما تم له الفتح المبين اقتضت حكمة البارى تعالى ان أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام ، وان يجمعوا ويتألبوا لحرب رسول الله ﷺ ، المسلمين ليظهر أمر الله تعالى ، وتمام اعزازه لرسوله ﷺ ونصره لدينه ولتكون غنائمهم شكرانا لأهل الفتح ، وليظهر الله سبحانه وتعالى رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون مثلها ، فلا يقاومهم بعد أحد من العرب ، فاقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان أذاق أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ، ليطأمن رؤس رفعت بالفتح ، ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله ﷺ واضعا

رأسه منحنيا على فرسه حتى ان ذقنه تكاد ان تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعزته ان أحل له حرمه وبلده ولم يحل لأحد قبله ولا لأحد بعده ، وليبين سبحانه وتعالى لمن قال : لن نغلب اليوم عن قلة ان النصر انما هو من عنده ، وانه من ينصره فلا غالب له ، ومن يخذله فلا ناصر له غيره ، وانه سبحانه وتعالى هو الذى تولى نصر رسول الله ﷺ ودينه ، لا كثرتكم التي أعجبتكم فانها لم تغن عنكم شيأ فوليتم مدبرين فانزل الله السكينة على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها فبذلك تم النصر لرسوله ﷺ والمؤمنين والحمد لله رب العالمين

## تاريخ الطائف وغزوة ثقيف

الطائف بلد واقع شرق مكة ، وعرضه أحدى وعشرين درجة وطوله أربعون درجة ونصف وربع درجة ، وحوله بساتين ، وهو مشهور بحسن مصيفه وكثرة فواكهه ، وجودة ثماره ، ولطافة هوائه ، وعذوبة مائه ، وهو يرتفع عن سطح البحر بالف وتسعمائة وسبعين ( ١٩٧٠ ) مترا . وصيفه في غاية اللطف والاعتدال فلا تبلغ فيه درجة الحرارة أكثر من اثنتين وثلاثين درجة بميزان ( سنت غراد ) فى أشد حالات الصيف ، وتتراوح فيه مدة الصيف درجة الحرارة بين العشرين ، والثلاثين . واما فى الشتاء فتتراوح فيه درجة الحرارة بين الخمس .

والخمس عشرة درجة ، ولا تبلغ الصفر الا نادرا ، واذا بلغت الصفر فلا تمكث الا بضع دقائق فهو لطيف الصيف لطيف الشتاء ، وهواؤه معتدلا والى النشوقة أقرب . وله من مكة ثلاث طرق ، أحدها طريق اليمانية الذى تسير منه السيارات ويبلغ طوله خمسة وثمانين ميلا . وطريق ثاني من اليمانية أيضا تسير منه الجمال عن طريق ( ربع المنحوت ) ويبلغ طوله نحو سبعين ميلا . وطريق ثالث يسمى طريق ( كَرَا ) وهو جبل عظيم يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ( ٢٢٠٠ ) متر وهو متصل بسلسلة جبال ( السراة ) من الجهة الشمالية ، ويقال لهذه السلسلة الحجاز أيضا . وعلى سطح جبل ( كَرَا ) جملة قرى ، وبساتين ، ومزارع ، وفاكهته من أجمل فواكه الحجاز ، ويسمى سطحه ( الهدا ) وبين سطحه ومكة نحو أربعين ميلا ، ويبلغ طول سطحه من المشرق الى المغرب نحو أربعة أميال ، ومنه الى الطائف على طريق ( قرن المنازل ) المسمى الآن بوادي محرم نحو سبعة أميال ، وتبلغ درجة الحرارة فى الهدا أقل من الطائف بدرجتين فى الشتاء والصيف

والطائف بلد قديم وصفه المؤرخون بكثرة الاعناب ، والنخيل ، والفواكه ، قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى ( الطائف ) هو بلد كبير مشهور كثير الاعناب والنخل ، على ثلاثة مراحل ، أو مرحلتين من جهة الشرق ، واسم الأرض ( وجّ ) سميت برجل وهو بن عبد الجن

من العمالقة (وهو اول من نزل بها) اه وسبب تسميته بالطائف هو أن الدمون بن عبد الملك بن مالك بن مرتع الكندى من حضرموت قتل ابن عم له يقال له عمرو بحضرموت ، فنى الطائف وقصد مسعود ابن معتب الثقفى ومعه مال كثير ، وكان تاجرا فقال له أحالفكم اتزوجون فى ، وأزوجكم ، وأبني لكم طوفا عليكم مثل الحائط لا يصل اليكم أحد من العرب . قالوا نابن ، فبنى بذلك المال ( طوفا ) عليهم فسميت الطائف . وتزوج اليهم فزوجوه ابنة ، وله عقب وتناسلوا بالطائف ، لما خرجت القبائل فى الفتوحات الاسلامية سكن من ولده الكوفة ، قال ياقوت فى معجم البلدان : وبعض ولد الدمون بالكوفة وهم بها خطة مع ثقيف ، وكان قبيصة بن الدمون هذا على شرطة المغيرة بن شعبة اذ كان على الكوفة . ثم قال وكانت الطائف تسمى قبل ذلك (وَجًّا) بوَجّ بن عبد الجن من العمالق وهو أخو ( أجا ) الذى سمى به جبل طيّ ، وقال عرّام الطائف ذات مزارع ونخل ، وأعناب ، وموز ، وسائر الفواكه ، وبها مياه جارية ، وأودية تنصب منها الى تبالة ، وجل أهل الطائف ثقيف وحمير ، وقوم من قريش وهو على ظهر جبل غزوان ، وبغزوان قبائل هذيل : ثم قال ياقوت يصف الطائف : بليدة صغيرة على طرف واد ، وهي محلتان احداهما عن هذا الجانب يقال لها (طائف ثقيف) والأخرى على هذا الجانب يقال لها ( الوهط ) والوادى بين ذلك تجرى فيه مياه

المدابغ التي يدبغ فيها الاديم يصرع الطيور رائحتها اذا مرت بها ، وبيوتها لاطئة حرجة وفي أكنافها كروم على جوانب ذلك الجبل ، فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان ، وأما زبيبها فيضرب بحسنه المثل ، وهي طيبة الهواء شامية ، ربما جمد فيها الماء في الشتاء . وفواكه أهل مكة منها ، والجبل الذي هي عليه يقال له غزوان

والظاهر من قول ياقوت ان الغلة التي تعانها ( الوهط ) هي الردم الواقع على جنوب الطائف بين ( حوايا ) و ( أم نوبى ) وتسمى الآن بالطائف القديم ، وليس هو الوهط المنسوب الى عمرو بن العاص ، قال ياقوت الوهط المكان المطمئن المسوى ينبت العضاه ، والسمر ، والطلح وهو مال كان لعمرو بن العاص بالطائف ، وهو كرم كان ألف ألف عود على ألف ألف خشبة ( أى مليون عود ) فحج سليمان بن عبد الملك فمر بالوهط فقال أحب أن أنظر اليه ، فلما رآه قال هذا أكرم مال لولا أن هذه الحرة في وسطه ، فقيل له ليست بحرة ولكنها مشكاح الزبيب ، وكان زبيبه جمع في وسطه ، فلما رآه ظنه حرة سوداء . ثم قال وقال ابن موسى الوهط قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وَجّ كانت لعمرو بن العاص اه وهذا يدل على أن الوهط الموجود اليوم غرب الطائف بجنوب هو الذي كان به مال عمرو بن العاص ، وهو اليوم في حال جدب لا يوجد فيه أكثر من مائة عود عنب ، ويستفاد من كلام ياقوت وغيره

من المؤرخين انه كان بالطائف عدة معامل دبغ فى القديم وكان أدم الطائف تهدى الى الملوك وقد أهدى منها الى النجاشى ملك الحبشة ، والى قيصر ملك الروم لنفاستها واتقان دبغها ، وقد تأخرت هذه الصناعة تأخرا عظيما حتى تفوق عليها ما يدبغ فى الخارج

وكان سبب نزول ثقيف الطائف ، وغرس حبلة العنب بها هو ما رواه يافوت عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : ان ثقيفا والنخع كانا ابنى خالة فخرجا منتجعين ومعهما أعنزلهما وجدي ، فعرض لهما مصدق لبعض ملوك اليمن — أى جابى الضرائب — فأراد أخذ شاة منهما فقالا خذ ما شئت الا هذه الشاة الحلوب ، فانا من لبنها نعيش وولدها فقال لا آخذ سواها ، فرفقا به فلم يفعل فنظر أحدهما الى صاحبه وهما بقتله ، ثم ان أحدهما انتزع له سهما فلق به قلبه فخر ميتا ، فلما نظرا الى ذلك قال أحدهما لصاحبه انه لن تحملنى وإياك الارض أبداً ، فاما أن تغرب وأنا أشرق ، واما ان أغرب وتشرق انت ؟ فقال ثقيف فانى أغرب ، وقال النخع فانا أشرق . وكان اسم ثقيف قسيا ، واسم النخع جسرا ، فمضى النخع حتى نزل ببيشة من أرض اليمن ، ومضى ثقيف حتى أتى وادى القرى ، فنزل على يهودية عجوز لا ولد لها ، فكان يعمل نهارا ، ويأوى اليها ليلا ، فاتخذته ولداً لها واتخذها أماً له ، فلما حضرها الموت قالت له ياهذا انه لا أحد لى غيرك وقد أردت أن أكرمك

لأطافك أياي ، انظر اذا أنا مت وواريتني فخذ هذه الدنانير فانتفع بها ، وخذ هذه القضبان ، فاذا نزلت واديا تقدر فيه على الماء فاغرسهما فاني أرجو أن تنال من ذلك فلاحا بينا ، ففعل ما أمرته به ، فلما ماتت دفنها وأخذ الدنانير . والقضبان ، ومضا سائرا حتى اذا كان قريبا من ( وَجّ ) الذى هو الطائف اذا هو بأمة حبشية ترعى مائة شاة فطمع فيها وهم بقتلها وأخذ الغنم ، فعرفت ما أراد فقالت انك أسررت في طمعا لتقتلني وتأخذ الغنم ولئن فعلت ذلك لتذهبن نفسك ولا تحصل من الغنم شيئا ، لان مولاى سيد هذا الوادى ، وهو عامر بن الظرب العدوانى ، واني لأظنك خائفا طريدا ؟ قال نعم ، فقالت فان ادلك على خير مما أردت ، فقال وما هو ؟ قالت ان مولاى يقبل اذا طفلت الشمس للغروب فيصعد هذا الجبل ثم يشرف على الوادى فاذا لم ير فيه أحداً وضع قوسه وجفيره وثيابه ، ثم انحدر رسوله فنادى من أراد اللحم ، والدَّرَمَكَ ، — دقيق الحوارى — والتمر ، واللبن ، فليأت دار عامر ابن الظرب ، فيأتيه قومه فاسبقه أنت الى الصخرة وخذ قوسه ، ونباله ، وثيابه ، فاذا رجع وقال من أنت ؟ فقل رجل غريب فانزلني ، وخالف فاجرني . وعزّب فزوجني . ففعل ثقيف ما قالت له الامة ، وفعل عامر صاحب الوادى فعله ، فلما أن أخذ قوسه ونشابه وصمد عامر قال له من أنت ؟ فاخبره وقال أنا قس بن منبه ، فقال هات ما معك ، فقد

اجبتك الى ما سألت . وانصرف وهو معه الى ( وَج ) وأرسل الى قومه كما كان يفعل ، فلما اكلوا قال لهم عامر : ألست سيدكم ؟ قالوا بلى ، قال : وابن سيدكم ؟ قالوا بلى ، قال : ألستم تجيرون من أجرت ، وتزوّجون من زوّجت ؟ قالوا بلى ، قال : هذا قسيّ بن منبه بن بكر ابن هوازن وقد زوجته ابنتي فلانة ، وأمنته ، وأنزلته منزلي : فزوجه ابنة له يقال لها زينب . فقال قومه قد رضينا بما رضيت . فولدت له عوفا ، وجشما ، ثم ماتت فزوجه أختها فولدت له سلامة ، ودارسا ، فانتسبا في اليمن . فدارس في الازد ، والآخر في بعض قبائل اليمن . وغرس قسي تلك القضبان بوادي ( وَجّ ) فنبتت فلما أثمرت قالوا قاتله الله كيف ثقف عامراً حتى بلغ منه ما بلغ وكيف ثقف هذه العيدان حتى جاء منها ما جاء فسمي ثقيفا من يومئذ ، فلم يزل ثقيف مع عدوان حتى كثر ولده وربلوا ، وقوي جاشهم ، وجرت بينهم وبين عدوان هنات وقعت في خلالها حرب انتصر فيها ثقيف ، فاخرجوا عدوان عن أرض الطائف واستخلصوها لانفسهم ، ثم صارت ثقيف أعز الناس بلداً ، وأمنعه جانبا ، وافضله مسكنا ، وأخصبه جنابا ، مع توسطهم الحجاز ، واحاطة قبائل مضر ، واليمن ، وقضاعة ، بهم من كل وجه ، فحمت دارها ، وكادحت العرب عنها ، واستخلصتها وغرست فيها كرومها ، وحفرت بها أطواءها ، وكظائمها ، وهي من أزد الشراة ، وكنانة ،

وعذرة، وقريش، ونصر بن معاوية، وهوازن جمعا، والأوس والخزرج، ومزينة، وجهينة. وغير ذلك من القبائل، ذلك كله يجرى والطائف تسمى (وَجًّا) الى ان كان ما كان مما تقدم ذكره من تحويط الحضرمى عليها وتسميتها حينئذ الطائف. انتهى

هذا حاصل ما ذكره ياقوت فى معجمه وقد تقدم ما ذكره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى، ولم يكن هناك تعارض بين الروايتين، فظهر مما تقدم أن أول من سكن الطائف العمالقة، ثم جاء بعد ذلك اسم عدوان وهو من العمالقة ولنسله بقية بالطائف الى هذا العصر، ثم أتى ثقيف من هوازن وهم (عتيبة) الى الطائف وبعد ان تراحم مع عدوان تغلب عليهم وهذه من سنن تقلبات الدهر فاستقل بالطائف. ثم جاء الدمون الحضرمى فبنى السور على بلدة الطائف، ثم سمى بسبب ذلك السور (الطائف) بعد ان كان أسمه (وَجّ) ولا يزال اسم الوادي المنحدر من جنوب الطائف الغربى الى شماله الشرقى الذي مبدؤه من جبل برد يسمى حتى الآن (وادى وَجّ).

قال ياقوت وعرضها — أى بلدة الطائف — احدى وعشرون درجة، والطائف عقبة — هى جبل كرًا — وهي مسيرة يوم للطالع من مكة، ونصف يوم للهابط الى مكة عمرها حسين بن سلامة وسدها ابنه، وهو عبد نوبيٌّ وَدَرَ لأبي الحسين بن زياد صاحب اليمن فى حدود

سنة ٤٣٠ فعمر هذه العقبة عمارة يمشي في عرضها ثلاث جمال باحمالها . فعلم من ذلك ان طريق ( جبل كرا ) قد اعتنى بعمارته منذ تسعمائة سنة ، وكانت عمارته على ما وصف ياقوت أعظم مما هي عليه اليوم حيث يقول أن عرض الطريق يسع سير ثلاثة جمال باحمالها ، فيكون عرض الطريق نحو عشرة أمتار ، وأما الآن فلا يتجاوز عرضه مترين .

والطائف هو مصيف أهل مكة من قديم الزمان ومعظم حدائقه ملك لاهل مكة . قال البلاذري في فتوح البلدان : كان بمخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ، ويثرب ، فاقاموا بها للتجارة فوضعت عليهم الجزية ، ومن بعضهم ابتاع معاوية أمواله بالطائف ، وكان للعباس بن عبد المطلب رحمه الله أرض بالطائف ، وكان الزبيب يحمل منها فينبذ في السقاية للحاج ، وكانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها ، فلما فتحت مكة وأسلم أهلها طمعت ثقيف فيها حتى اذا فتحت الطائف أقرت في أيدي المكيين وصارت الطائف مخلافا من مخاليف مكة . اه ولا يزال لاهل مكة بالطائف في هذا العصر أملاك من عقار ، و بساتين ، وأجمل دور الطائف مع كثير من الحدائق هي اليوم ملك لاهل مكة . وقد سبق مما يؤيد ذلك ان النبي ﷺ لما طلع الى الطائف يدعو ثقيفاً الى الاسلام والى نصرته ووقع عليه ما وقع منهم وذهب الى ( المنتاة ) وجد هناك عتبة وشيبة ابني ربيعة في اموالهما .

فكانت المئناة فى ذلك التاريخ لابناء ربيعة بن عبد شمس . هذا ما كان من أمر الطائف فى العصور المنصرمة

وأما حالة الطائف فى هذا العصر الحاضر فان البلدة لا تزال فى موضعها القديم حيث لم يذكر التاريخ انها تحولت عن موضعها الاصلى ، ولا هناك آثار تدل على ذلك ، غير الردم والاكام الموجودة جنوب الطائف بين ( حوايه ) و ( أم نوبى ) وقد ذكرنا فيما تقدم انها احدى القريتين اللتين كان يطلق على أحدهما ( الطائف ) وهي المحاطة بالسور ، وعلى الاخرى ( الوهط ) وهى الردم المذكور . ولا يزال هذا السور موجوداً الى الآن ، والظاهر انه كلما وهن تجدد . وحول الطائف من جهاته الاربع جملة قرى ، وأودية ، وحدائق ذات بهجة ، فاما ما كان من الجهة الشرقية فوادي ( نخب ) وهو يحوى على جملة بساتين ودور لاهلها ، وبه وادى النمل وفيه مسجد يقال انه مأثور ، ويبعد هذا الوادي عن الطائف نحو ثلاثة أميال . ثم وادي ( ليّة ) وهو اعظم أودية الطائف على الاطلاق خصابة ، وأكثرها ثماراً ، وأبهجها منظراً ، وفيه جملة قرى ومنازل المصطافين ، ويبلغ طوله من الغرب الى الشرق نحو عشرين ميلا ، ويحتوي على مئات البساتين ، وهو يبعد عن الطائف سبعة اميال من طرفه الغربي وأول قراه مما يلي الطائف قرية ( عوف ) . ثم فى جنوب ليّة أودية ( شمالة ) وهى خصبة الا انها أقل خصابة من

ليةٌ ولا تقل ثمارها جودة عنها ، وأحسن ثمارها العِنَب ، والرُّمَّان ، والسفَرْجَل ، وفي بلاد ثمالة (السُّدُّ السُّمَلَق) وهو على بعد عشرين ميلا من الطائف ويبلغ طوله نحو مائة وأربعين متراً ، وعرضه ثمانية أمتار ، وارتفاعه من وسطه نحو عشرة أمتار . وأما طرفاه فاقل من ذلك لانهما بنيا على سفحي سلسلة الجبال المنحصر بينها الوادي ، وهو مبني بالحجارة الكبار والجص بنيانا محكما متينا ، والظاهر انه بني في زمن استيلاء العمالقة على الطائف وبانيه صاحب سطوة أو سيادة ، لانه لا يتسنى لافراد الناس بناء مثل ذلك ، والسد واقع في وسط الوادي ، فالقسم الغربي منه يسمى ( الشرق ) وهو علو الوادي ، وينحدر سيله من جبال ثمرة واللحيان ، والقسم الشرقي يسمى ( جرجه ) وفي منتهى السُّد من الجهة الشمالية فتق غير طبيعي ينحدر منه السيل الى وادي الاصيفر ، ووادي الصخيرة ، ووضعية السُّد تدل على ثلاث حالات ، الاولى ان وضعه كان بصفة خزان يمنع انحدار السيل الى اسفل الوادي . ثم بعد ان هلك واضعه جاء بعده قوم آخرون ففتقوا ذلك الفتق في سلسلة جبال الوادي من الجهة الشمالية حتى صار انحدار السيل الى وادي الاصيفر . الثانية انه وضع سداً ليمنع السيل من اجتراف المزارع الواقعة باسفل الوادي فبعد ان أحكم السد فتق فتقا في سلسلة الجبال الشمالية وحول انحداره عن وادي جرجه الى وادي الاصيفر . الثالثة انه وضع السُّد ليمنع انحدار السيل الى

وادى جرجه ، وحوّله الى وادى الاصيفر . من الفتق الذي فتقه لسقيا وادى الصخيرة وحرمان وادي جرجه . وفى هذه الحالة يكون صاحبه متغلبا . هذا ما ظهر لي من حال وضعية السّد . بسبب الفتق الواقع في شماله ، ولو لا ذلك الفتق لما احتاج الامر الى هذه الاحتمالات ، ولم أقف على شئ فى تواريخ الطائف يدلنا على اسم واضع السد والزمن الذي بنى فيه والله اعلم وفي شرق بلاد ثمالة حدائق ومزارع منها المعاذن ، وبقران ، وأما ما كان من الاودية والحدائق فى الجهة الغربية من الطائف فالسلامة ، وقَرْوَة ، وكانت القريتان منذ عشرين سنة عامرتين بالدور والبساتين والسكان ، واما الآن قد تدمرتا من جراء الحرب العمومية ومعظمهما ملك لاهل مكة . ووادي قرن المنازل ، والقديرين والدار البيضاء . وهى على خط واحد ويحتوي كل منهم على عدة دور وبساتين وثمارهم من اجود الفواكه ، وسقايتهم من الابار كما ان سقاية عموم ما تقدم من قرى وبساتين من الجهة الشرقية والغربية من الابار . غير ان في الدار البيضاء عين مدمرة لم يعتن بها . وكذلك مما يلي الطائف من الجهة الغربية الجنوبية وادي المنشاة ، والوهط ، والوهيط ، وهذه الاودية الثلاثة هي على مسيل وادي ( وَجّ ) وكلها تحتوي على دور وبساتين . الا ان المنشاة أخصبها ، وكلها لاهل مكة ، وثمارها من أوسط الفواكه حسنا ، غير ان الوهط لا يعد شيئا بالنسبة لما كان عليه زمن عمرو بن العاص بل انه أصبح لا

يحوي على اكثر من بضعة بساتين ، وتسقى الاودية الثلاثة بالعيون لكل واد منها عين خاصة به .

وأما ما يلي الطائف من الجهة الشمالية من قرى ومزارع وبساتين فكثيرة جداً ، الاول من سور الطائف ( شبرة ) قد أنشأها الشريف عبد الله بن محمد بن عون أمير مكة سابقا واشترى عين السلامة واجراها الى شبرة وجعل سقاية بلدة الطائف منها وهي على هذا الحال الى اليوم ، وبها ثلاثة قصور من أعظم قصور الحجاز وهي قصر الرياض ، وقصر شبرة القديم ، وقصر شبرة الجديد ، ثم أم خبز ، والخرمان ، والقطبية ، وقملة ، والجال ، والعقيق ، وهذه عبارة عن قرى صغيرة وبساتين وبها دور لسكنى أهلها . ثم المليساه ، ثم القيم ، ثم المريسية ، وأم الحمض ، ورحاب ، وَرَيحة ، وشُوَيحط ، والحوية ، والقديره ، ثم وادي شرب ، ثم العقرب ، ثم الاخيضر ، وهذه القرى متتابعة ومتقاربة وبها دور وبساتين ومزارع .

وأما ما يلي الطائف من الجهة الجنوبية فقرية حوارية ، وأم نوبى ، وشهار ، وهي قريبة من سور الطائف كقرب السلامة ، وقروة ، وشبرة ، وهي تحتوي على دور وبساتين . ثم جبال الشفا وهي جملة سلاسل جبال تتخللها قرى وبساتين ومزارع وأهلها من بني سفيان وبها جبل يقال له ( قُرَنِيْت ) وهو أعلا جبال الطائف ويبلغ ارتفاعه عن سطح

البحر نحو ألفين وأربعمائة متر ومزارع تلك القرى على الامطار ، والآبار

وحول الطائف جملة جبال في بعض صخورها كتابات بعضها مخطوطة بالخط الكوفي ، والبعض بالعربي ، منها جبل ( السكاري ) وهو غربي الطائف وجبل الشهداء وهو شرقي الطائف ، وجبل يقال له ( الرُّدَّف ) وهو جنوب الطائف ، ويوجد أيضا بعض كتابات في غير هذه الجبال ، وكلها لا تدل على تاريخ . أو حادث ، بل جلها تحتوي على اسم كاتبها بغير تاريخ ، وذكر وقائع .

هذا حاصل ما وقفت عليه ملخصا من تاريخ الطائف ولم أستطع تدوين أكثر من ذلك حيث لا يسع هذا المؤلف زيادة عما تقدم فقد أوضحت للقارئ حالة الطائف قديما وحديثا بغاية الايجاز وتركت الاسهاب لفرصة أخرى . وأما المسجد الموجود اليوم بالطائف المسمى مسجد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فالذي يظهر لي انه هو المسجد الذي بناه المغيرة بن شعبة ، وأبو سفيان بن حرب حين بعثهما رسول الله ﷺ لهدم ( اللات ) صنم ثقيف كما سيأتي تفصيل ذلك في الجزء الرابع ، واذا لم يكن هو المسجد بعينه فيكون في موضعه

وقد جاء في تاريخ ابن فهد القرشي الهاشمي المكي نقلا عن شفاء الغرام للفاسي انه يوجد مسجد ينسب الى النبي ﷺ في مؤخر المسجد الذي فيه قبر عبد الله بن عباس وانه في جداره القبلي من خارجه حجر

مكتوب فيه ( أمرت السيدة أم جعفر زبيدة بنت جعفر أم ولاة عهد المسلمين اطال الله بقاها بعمارة مسجد رسول الله ﷺ بالطائف ) وفيه ان ذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة وقال أيضا والمسجد الذى فيه قبر ابن عباس اظن ان المستضئ العباسى عمره مع ضريحه واسمه فى المنبر الذي بهذا المسجد واسم الملك المظفر صاحب اليمن مكتوب فى القبة التى فيها ضريح ابن عباس بسبب عمارته لها . وجاء ايضا فى تاريخ ابن فهد المذكور انه كان مكتوب على قبر ابن عباس ما صورته ( انه عمل باسم الملك المستضئ بامر الله العباسى سنة اثنتين وتسعين وخمسماية ) وانه وجد على باب القبة التى فيها النبر العباسى ( انه عمل باسم الملك المظفر يعني يوسف بن عمر بن على بن رسول صاحب اليمن سنة خمس وسبعين وستمائة ) وجاء فيه ايضا انه فى آخر مسجد ابن عباس مسجد صلى فيه النبى ﷺ فى آخر المسجد تجاه القبة الاخيرة مما يلى الباب الشرقي وقبالته قبة أخرى وبجانبها محراب لم يثبت فيه شئ . اه فهذا كل ما ذكره ابن فهد فى تاريخه عن المسجد الذى ينسب الى رسول الله ﷺ وانه شرقى مسجد ابن عباس ولم يكن لهذا المسجد فى العصر الحاضر اثر وربما أدمج في مسجد ابن عباس . وعلى كل حال فكل ما ورد لا يدل دلالة قاطعة على ان مسجد رسول الله ﷺ هو هذا وان النبي ﷺ بنى مسجده فى ذلك الموضع المذكور وانما كل ذلك يؤيد ما قلناه ان المسجد الموجود اليوم

هو المسجد الذى بناه المغيرة وابوسفيان بموضع ( اللات ) وذكر بعض مؤرخى الطائف ان القبة التى على يسار الداخل الى المسجد المذكور بقرب الباب والتى هى الآن مستودع للكتب الموقوفة على المسجد هى مسجد رسول الله ﷺ ، وهذا يحتاج الى تحقيق والله اعلم

واما المسجد الذى بناه رسول الله ﷺ فى وادى العقيق كما سيأتى فى هذه القصة فلم يعرف موضعه اليوم

# غزوة الطائف

وقعت غزوة الطائف في شهر شوال سنة ثمان من الهجرة . وسبب هذه الغزوة أنه لما ملك ثقيف من أوطاس الى الطائف اغلقوا عليهم ابواب المدينة واستعدوا بكل ما لديهم من الاموال ومواد القتال وادخروا ما يكفيهم للحرب سنة . فعزم رسول الله ﷺ على حربهم ، وقدم خالد بن الوليد رضى الله عنه على مقدمة الجيش . ثم سار رسول الله ﷺ الى الطائف من ( حنين ) فسلك طريق نخلة اليمانية — وهو الطريق الذى ينعطف على الزيمة من وادي الشرائع — وكانت حنين بين لزيمة والشرائع في ذلك المضيق الواقع شرق الشرائع ، والزيمة هي أول نخلة اليمانية كما قدمنا توضيحه وكان وادي الزيمة خصبا كثير النخل والثمار ، واما اليوم فهو أجدب ليس فيه أكثر من عشرة بساتين — ثم من نخلة

اليمانية سلك مصعدا ( الهبيتاه ) حتى أتى أوطاس — وهو علوّ السيل الكبير — المسمى قديما ( نخلة ) وهذا السيل ينحدر من قرن المنازل على السيل الكبير المسمى قديما بنخلة ثم ينحدر منه على ( نخلة الشامية ) وهو وادي الليمون المسمى الآن ( بالمضيق ) وهذا الوادى خصب وأكثر زراعته الليمون ، والموز ، والنخل ومن نخلة الشامية ، واليمانية الى مكة ليلة على الجمال وذلك نحو ثلاثين ميلا ، وبين السيل المعبر عنه بنخلة ومكة ليلتان وهو قريب من خمسين ميلا ، وهذا القياس يتفق مع ماذكره المؤرخون أن بين نخلة ومكة ليلتين وبين نخلة والطائف مرحلة. وقد ظهر من سير رسول الله ﷺ انه لما أتى السيل الذي هو نخلة وعلوه ( أوطاس ) يمم الى جهة الجنوب وسلك الوادي الذى هو مصب السيل ثم سلك أوطاس من جنوب السيل حتى أتى قرن المنازل — المسما الآن ( الدار البيضاء ) ومنها ( قرن ) — ثم سلك على ( المُلَيْح ) وهي المسماة الآن ( مسرة السفلى ) ثم سلك على ( المليساء ) ومنها على ( قملة ) ومنها سلك طريق بين قصعان ، وسيد ، فاتى ( بحرة الرغاء ) وهذا الموضع من ( ليه ) والظاهر انه المسمى الآن ( القويعم ) أو ( المختلطة ) وهو مما يلي وادي ( الزوران ) وسط ، ليه قبيل ( خدّ الحاج ) وهو موضع فسيح ولا يوجد موضع يشبه ما وصفه ابن اسحاق من الطريق الذى سلكه رسول الله ﷺ غير

هذا الطريق فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرة الرغاء من ( لية ) ابتنى بها مسجدا فصلى فيه وأمر رسول الله ﷺ وهو بلية بحصن مالك بن عوف فهدم ، فأقاد يومئذ ببحرة الرغاء حين نزلها بدم وهو أول دم أقيد به فى الاسلام — والقود القصاص — وكان معه من النساء أم سلمة وميمونة ثم سلك فى طريق يقال لها الضيقة فلما توجه فيها رسول الله ﷺ سأل عن اسمها فقال « ما أسم هذه الطريق ؟ » فقيل له الضيقة ، فقال « بل هى اليسرى » وهو اسمها الى اليوم ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها ( الصادرة ) قريبا من منزل رجل من ثقيف فأرسل اليه رسول الله ﷺ ( اما أن تخرج وإما أن نخرب عليك حائطك ) فأبى أن يخرج فأمر رسول الله ﷺ باخرابه ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل الطائف فضرب به عسكره ، فرمى أهل الطائف عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوا أناسا من أصحابه بالنبل وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النبل تنالهم ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم لانهم أغلقوه دونهم فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف وحاصرهم حصارا شديد بضعا وعشرين ليلة ، وقاتلهم قتالا شديدا ، ورموا بالنبل ، ورماهم بالمنجنيق ، وكان رسول الله ﷺ أول من رمى بالمنجنيق فى الاسلام — وقد استعمل المنجنيق عند العرب قديما

فقد استعمله فى الجاهلية جذيمة بن مالك الدوسى الأبرش ، وكان من ملوك الطائف ، وكان أهل الطائف لهم علم بصنعة المنجنيق ، والدبابات والضبور ، والدبابات من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الأسوار ليثقبوها ، والضبور مثل رؤس الاسفاط يتقى بها فى الحرب عند الانصراف وأرشد سلمان الفارسى رسول الله ﷺ الى رمى أهل الطائف بالمنجنيق وقال له : أنا كنا بأرض فارس ننصب المنجنيقات على الحصون فنصيب من عدونا : فنصب سلمان الفارسى رضي الله عنه المنجنيق ، ولما رمى رسول الله ﷺ أهل الطائف بالمنجنيق أحدث في جدار السور شدخة فدخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابة ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجلا فأمر رسول الله ﷺ بقطع بعض أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة الى الطائف فناديا ثقيفا أن امنونا حتى نكلمكم ؟ فأمنوهما فدعوا نساء من نساء قريش وبنى كنانة ليخرجن اليهما وهما يخافان عليهن السباء فأبين ، منهن آمنة بنت أبى سفيان كانت عند عروة بن مسعود ، والفراسية بنت سويد بن عمرو والفقيمه أميمة بنت الناشئ أمية بن قلع ، فلما أبين عليهما قال لهما ابن الاسود بن مسعود : يا أبا سفيان ، يا مغيرة . ألا أدلكما على خير مما

جمعنا له ان مال الاسود بن مسعود حيث قد علمتما — وكان رسول الله ﷺ نازلا بوادى العقيق وهو بين مال الاسود وبين الطائف وكان مال الاسود جهة القبم — انه ليس بالطائف مال أبعد رشاء ، ولا أشد مؤنة ولا أبعد عمارة ، من مال ابن الأسود ، وان محمدا ان قطعه لم يعمر أبدا فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله والرحم ، فان بيننا وبينه من القرابة مالا يجهل . فتركه رسول الله ﷺ فأقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه الى أهل الطائف فى نفر من أصحابه فدار بالحصن ونظر الى نواحيه ثم وقف فى ناحية من الحصن فنادى بأعلاصوته : ينزل الى بعضكم أكلمه وهو آمن حتى يرجع أو اجعلوا لي مثل ما جعلت لكم وأدخل عليكم حصنكم أكلكم ؟ قالوا لا ينزل اليك رجل منا ، ولا تصل الينا ، وقالوا يا خالد ان صاحبكم لم يلق قوما يحسنون قتاله غيرنا . فقال خالد رضى الله عنه فاسمعوا من قولى : نزل رسول الله ﷺ بأهل الحصون والقوة يثرب وخيبر وبعث رجلا واحدا الى فدك فنزلوا على حكمه وأنا أحذركم مثل يوم بنى قريظة حصرهم رسول الله ﷺ أياما ثم نزلوا على حكمه فقتل مقاتلتهم فى صعيد واحد ، ثم سبى الذرية ثم دخل مكة فافتتحها ، وأوطأ هوازن فى جمعها ، وانما أنتم فى حصن ناحية من الأرض لو تركتكم لقتلكم من حولكم ممن أسلم : قالوا لانفارق ديننا ، فنادى خالد من يبارز فلم يطلع اليه أحد ثم كرر ذلك فلم يطلع اليه أحد وناداه من

داخل السور عبد يا ليل لا ينزل اليك منا أحد ولكن قم فى حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يذهب هذا الطعام خرجنا اليك بأسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا . نقول ثقيف ان محمدا ﷺ لم يلق رجالا أشد منهم بأسا ، وهم في حصنهم مثل الضب فى جحره ، فلما دعاهم خالد بن الوليد الى البراز أحجموا عنه . فأين بأسهم وشجاعتهم ، الا يستحيون من قولهم هذا ، فمثلهم كمثل يهود بنى قينقاع حين قالوا مثل قول ثقيف فما لبثوا أن أذعنوا الى التسليم ، وكأنهم يظنون أن أسود الاسلام يؤثر فيهم القول المجرد وهم ، هم فى شجاعتهم وممارستهم للحروب فلا يصدهم تهديد ولا وعد ووعيد ، فالتهديد لا يؤثر فى الابطال وانما يؤثر فى الجبناء ، ولم يكن سور الطائف أشد متانة من حصون خيبر وانما كان رسول الله ﷺ يطمع فى اسلامهم لأن اسلامهم عنده أفضل من قتلهم ، وقد حصل ما كان يرغبه رسول الله ﷺ كما سيأتى. واستأذن رسول الله ﷺ عيينة بن حصن فى أن يأتى ثقيفا فى حصنهم ليدعوهم الى الاسلام ، فأذن له فى ذلك . فأتاهم فدخل فى حصنهم يعنى سور الطائف فقال لهم تمسكوا فى حصنكم فوالله لنحن أذل من العبد ولا تعطوا بأيديكم ولا تناثروا . فرجع الى رسول الله ﷺ فقال له « ماقلت لهم يا عيينة ؟ » قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة . فقال رسول الله ﷺ « كذبت انما قلت لهم كذا »

وقص عليه القصة فقال صدقت يا رسول الله أتوب الى الله والبك من ذلك . ونادى رسول الله ﷺ « أيما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر » فخرج منهم بضعة عشر رجلا ونزل منهم رجل فى بكرة فقيل له ابو بكرة . وكان عبداً للحارث بن كلدة فاعتقهم رسول الله ﷺ ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه ، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة وقالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون: يا رسول الله اعطنى ان فتح الله عليك الطائف حلى بادية بنت غيلان ؟ أو حلى الفارعة بنت عقيل ؟ وكانتا من أحلى نساء ثقيف . فقال لها رسول الله ﷺ « وان كان لم يؤذن لنا فى ثقيف يا خولة » فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ماحديث حدثتنيه خولة زعمت أنك قلت لها ؟ قال «قلته» قال أوما أذن الله فيهم يا رسول الله ؟ قال « لا » قال أو أذن بالرحيل قال « بلى » واستشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام . فقال له يارسول الله ثعلب فى جحر ان أقمت أخذته وان تركته لم يضرك . فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأذن فى الناس بالرحيل فلما استقبل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسد بن أبي عمرو ابن علاج الا ان الحى مقيم ، قال عيينة بن حصن أجل والله مجدة

كرام . فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ ؟ وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ ؟ فقال : انى والله ما جئت لاقاتل ثقيفا معكم ولكن أردت ان يفتح محمد الطائف فاصيب من ثقيف جارية أطئها لعلها تلد منى رجلا فان ثقيفا قوم منا كثير . هذا عيينة بن حصن أعرابى جاف ومن طبيعة الاعراب الصلافة والجفاء والطمع فى المغانم ، ولم يؤثر الاسلام فى قلوبهم بسرعة كما يؤثر في قلوب الحضر ، وانما اذا تمكن الاسلام من قلوب الاعراب الجفاة لا يزعزعه شئ ، وقد تسمح رسول الله ﷺ عن عيينة بن حصن كثيراً لما يعلم من جفاء الاعراب كما هى عادته فى استعمال اللين والتسامح مع أمثال هؤلاء ، ثم بكثرة احتكاك عيينة فى المسلمين تقوى ايمانه وحصل منه فى الاسلام منافع كثيرة . فالمصلحون لهم طرق مخصوصة في جلب القلوب وتدريبها على الاصلاح ، ورسول الله ﷺ سيد المصلحين وامامهم وقدوتهم وصاحب التشريع في الاصلاح وغيره .

فاستعد الناس للقتال فلما قاتلوا فى اليوم الثاني أصابتهم جراح فقال رسول الله ﷺ « أنا قافلون ان شاء الله » فسروا بذلك واذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك تعجبا من سرعة تغيير رأيهم لانهم رأوا أن رأيه أبرك من رأيهم فرجعوا الى رأيه ، فقال لهم رسول الله ﷺ قولوا « لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب

وحده » ولما ارتحلوا واستقبلوا قال قولوا « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » وقيل يا رسول الله أدع على ثقيف أهل الطائف فقال « اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين » ولقيه ﷺ فى طريقه الى الجعرانة سراقة وهو واضع الكتاب الذى كتبه له رسول الله ﷺ عند الهجرة بين اصبعيه وينادى انا سراقة وهذا كتابي فقال له رسول الله ﷺ « هذا يوم وفاء ومودة أدنوه » فدنوه منه وساق اليه الصدقة وسأله عن الضالة من الابل ترد حوضه الذى ملأه لابله هل له فى ذلك من أجر ؟ فقال له رسول الله ﷺ « نعم فى كل ذات كبد حراء أجر » وقال بجير بن زهير بن أبى سلمى يذكر حنينا وأوطاس والطائف

كانت علالة يوم بطن حنين ... وغداة أوطاس ويوم الابرق
جمعت باغواء هوازن جمعها ... فتبددوا كالطائر المتمزق
لم يمنعوا منا مقاما واحدا ... الا جدارهم وبطن الخندق
ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا ... فتحصنوا منا بباب مغلق
ترتد حسرانا الى رجراجة ... شهباء تلمع بالمنايا فيلق
ملمومة خضراء لو قذفوا بها ... حصنا لظل كانه لم يخلق
مشى الضراء على الهراس كأننا ... قد تفرق فى القيادة وتلتق
في كل سابغة اذاما استحصنت ... كانهي هبت ريحه المتفرق
جدل تمس فضولهن نعالنا ... من نسج أود ، ثم آل محرق

# أسماء من استشهد بالطائف

قال ابن اسحاق أستشهد بالطائف من المسلمين مع رسول الله ﷺ

(١) سعد بن سعيد بن العاص الاموى القرشى

(٢) عرفطة بن جناب بن الاصد بن الغوث حليف بنى أمية

(٣) عبد الله بن أبى بكر الصديق التيمى رمى بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفات رسول الله ﷺ

(٤) عبدالله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومي من رمية رمي بها يومئذ

(٥) عبد الله بن عامر بن ربيعة من بنى عدى حليف بنى مخزوم

(٦) السائب بن الحارث بن عدى

(٧) أخوه عبد الله بن الحارث السهمى

(٨) جليحة بن عبد الله من بنى سعد بن ليث الليثى .

واستشهد من الانصار من بنى مازن بن النجار رجلين وهما

(٩) المنذر بن عبد الله من بنى ساعدة

(١٠) رقيم بن ثابت بن ثعلبة الأوسي رضى الله عنهم أجمعين

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ عشرة رجال، سبعة من قريش واثنان من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

قد قضت ارادة الله تعالى أن يقتل أربعة فى المعركتين العظيمتين

الدامية الهائلتين وهما حنين ، وأوطاس ، ويفتح الله تعالى على المسلمين بذلك . ويقتل فى حصار الطائف عشرة رجال بدون فتح . فهذا الذي يجعل الانسان ان يعتقد بقضاء الله تعالى وقدره ، وهذا من أعظم الاسباب التى تجعل الانسان يجزم بصحة التاريخ فى تثبيت الوقائع فلو هناك تدليس فى الحوادث التاريخية الصحيحة لجعلوا أكثر القتل وقوعا فى المنهزمين يوم حنين ، ونفوه عمن حضر الطائف حيث لم يكن هناك لا براز ، ولا هجوم ، ولا كر . وفر ، كما حصل فى الوقعتين الآنفتين ولكن التاريخ أمين على الحوادث فهو يؤدى لكل ذى حق حقه

## تقسيم أموال هوازن أو غنائم حنين

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس ومعه من هوازن سبى كثير وقد تقدم احصاء السبى والغنائم . وقدم وفد هوازن على رسول الله ﷺ مسلمين فقالوا يا رسول الله : انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منّ الله عليك ؟ وقام زهير أبو صرد أحد بنى سعد بن بكر من هوازن فقال يارسول الله: انما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك وأنا ملحنا — أى ارضعنا — للحارث ابن أبى شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به رجونا

عطفه وعائدته علينا ، وأنت خير المكفولين . فقال رسول الله ﷺ « أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم ، أم أموالكم ؟ » فقالوا يا رسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد الينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب الينا فقال لهم « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم واذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع رسول الله ﷺ الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، وقالت الأنصار وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة ابن حصن أما أنا وبنو فزارة فلا . وقال عباس بن مرداس أما أنا وبنو سُلَيم فلا . فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، قال عباس بن مرداس لبني سليم وهنتموني ، فقال رسول الله ﷺ « أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من أول سبي أصيبه » فردوا الى هوازن ومن معهم من الناس أبناءهم ونساءهم

وأعطى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه جارية يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان من بني سعد بن بكر . وأعطى عثمان

ابن عفان رضى الله عنه جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان . وأعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه جارية وهبها لعبد الله بن عمر ابنه فبعث بها عبد الله الى اخواله من بنى جمح ليصلحوا منها ويهيؤها حتى يأتيهم ، فلما خرج من المسجد وجد الناس يشتدون ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : رد علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا . فقال لهم : تلكم صاحبتكم فى بنى جمح فاذهبوا فخذوها . فذهبوا اليها فأخذوها . وأما عيينة بن حصن فأخذ عجوزا من عجائز هوازن فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض أبى أن يردها فقال له زهير أبو صرد : خذها عنك فو الله ما فوهها بيارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا درها بما كد . فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال . والفريضة واحدة من الابل كبيرة في السن . ولقى عيينة ابن حصن الاقرع بن حابس فشكا اليه ذلك فقال اك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ، ولا نصفا وثيرا

وسأل رسول الله ﷺ وفد هوازن عن مالك بن عوف النصرى رئيس جموع هوازن يوم حنين ما فعل ، فقالوا هو بالطائف مع ثقيف فقال رسول الله ﷺ « أخبروا مالكا انه ان أتانى مسلما رددت اليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل » فأتى مالك بذلك ، فخرج اليه من الطائف ، وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يعلموا أن رسول الله

ﷺ قال له ما قال فيحبسوه فأمر براحلته فهيئت له وأمر بفرس له فأتى به الى الطائف فخرج ليلا فجلس على فرسه فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها فلحق برسول الله ﷺ فأدركه بالجعرانة، أو بمكة ، فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل وأسلم فحسن اسلامه فقال مالك بن عوف حين أسلم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله ... في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل اذا اجتدى ... ومتى تشا يخبرك عما في غد
واذا الكتيبة عردت أنيابها ... بالسمهرى وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله ... وسط الهباءة خادر في مرصد

فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه . وتلك القبائل ثمالة ، وسلمة ، وفهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا أغار عليهم . هذا ما كان من لطف النبي ﷺ برئيس هوازن الذي قاد بالأمس جمعا عظيما من قبائل هوازن وثقيف ليبيد رسول الله ﷺ وأصحابه بل والاسلام ، ووقع منه ما وقع بحنين ولو تمكن من رسول الله ﷺ والمسلمين لما رحم رجلا منهم ، فلما تمكن منه رسول الله ﷺ عطف عليه وأرسل اليه بأنه اذا أتى مسلما يرد عليه ماله وولده ويعطيه مائة من الابل ، فهذا العطف وهذا التسامح وهذا اللطف هو من خصائص رسول الله ﷺ وحده لا يشاركه فيه انسان قط ، لا ممن سبقه ولا ممن عاصره

ولا ممن أتى بعده ، الى اليوم والى يوم البعث والنشور ، والتاريخ شاهد على ذلك . وبهذه المكارم دخل الناس في دين الله أفواجا ، فاضطر مالك ابن عوف أن يمدح النبي ﷺ بما تقدم فقال أبو محجن بن حبيب ابن عمرو بن عمير الثقفي ، لما رأى من مالك بن عوف ما رأى

هابت الأعداء جانبنا ثم تغزونا بنو سلمة
وأتانا مالك بهم ناقضا للعهد والحرمة
وأتونا في منازلنا ولقد كنا أولى نقمة

ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد السبايا الى اهلها ركب وأتبعه الناس يقولون يا رسول الله أقسم علينا فيئنا من الابل والغنم ، حتى الجؤه الى شجرة فاختطفت عنه رداءه فقال ﷺ « ردوا عليّ ردائي أيها الناس فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعم لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا » ثم قام جنب بعير فأخذ وبرة من سنامه فجعلها بين اصبعيه ثم رفعها ثم قال « أيها الناس والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخيط والمخيط فان الغلول يكون على أهله عاراً ونارا ، وشناراً يوم القيامة »

وأعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافا من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير ، وأعطى

نضير بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار مائة بعير ، وأعطى الحارث ابن هشام مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حويطب ابن عبد العزى بن أبي قيس مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي حليف بني زهرة مائة بعير ، وأعطى عيينة بن حصن مائة بعير ، وأعطى الاقرع بن حابس التميمي مائة بعير ، وأعطى مالك بن عوف النصري مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، قال ابن اسحاق فهؤلاء أصحاب المئين وأعطى دون المائة رجالا من قريش منهم مخرمة بن نوفل الزهري ، وعمير بن وهب الجمحي ، وهشام بن عمرو أخوا بني عامر ابن لؤي ، قال ابن اسحاق لا أحفظ ما أعطاهم وقد عرفت دون المائة. وذكر الحافظ ابن القيم في زاد المعاد أفرادا من هؤلاء منهم من أعطى خمسون من الابل ومنهم من أعطى أربعون قال ابن اسحاق وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الابل ، وأعطى عدي بن قيس السهمي خمسين من الابل ، وأعطى عباس بن مرداس أبا عرآ فسخطها فعاتب فيها رسول الله ﷺ فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ

فأصبح نهبي ونهب العبيـ ... ـد بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تدرئ ... فلم أعط شيئا ولم أمنع
إلا أفائل أعطيتها ... عديد نوائبها الأربع

وما كان حصن ولا حابس  يفوقان شيخي في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما  ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال النبي ﷺ « اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه » فأعطوه حتى رضي فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله . وكان عطاؤه في المرة الاولى أربعين بعيراً ثم أعطى أخيرا حتى كمل المائة بعير . وذكر ابن هشام أناساً لم يذكرهم ابن اسحاق ممن أعطاهم رسول الله ﷺ وهم طليق بن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسد بن أبي العيص بن أمية ، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة الحجبي ، وأبو السنابل بن بعكك من بني عبد الدار . وعكرمة بن عامر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام ابن الوليد بن المغيرة ، وصفيان بن عبد الاسد المخزومي ، والسائب بن أبي السائب بن عائذ المخزومي ، ومطيع بن الاسود بن حارثة العدوي ، وأبو جهم بن حذيفة بن غانم العدوي . وعمير بن وهب بن خلف الجمحي ، وتوفل بن معاوية بن عروة الديلي ، وعلقمة بن علاثة بن عوف الكلابي ، وخالد بن هوذة بن ربيعة العامري ، وحرملة بن هوذة العامري . فهؤلاء أهل العطاء من غنائم حنين . وقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يا رسول الله أعطيت عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس مائة ، مائة ، وتركت جعيل بن سراقة الضمري فقال رسول الله ﷺ « أما والذي

نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة بن حصن والاقرع بن حابس ولكن تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل ابن سراقة الى اسلامه » وروى ابن اسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال جاء رجل من بنى تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطى الناس فقال يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم فقال رسول الله ﷺ « أجل فكيف رأيت ؟ » فقال لم أرك عدلت . قال فغضب النبي ﷺ ثم قال « ويحك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ » فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله الا أقتله فقال « لا دعه فانه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر فى النصل فلا يوجد شئ ثم فى الفوق فلا يوجد شئ سبق الفرث والدم » قال السهيلى فى شرح سيرة ابن هشام فكان كما قال ﷺ وظهر صدق الحديث فى الخوارج انتهى

ولما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى فى قريش وقبائل العرب ولم يعط الانصار شيئا قال حسان بن ثابت يعاتب فى ذلك

أتت الرسول فقل يا خير مؤتمن ... للمؤمنين اذا ما عدد البشر

علام تدعى سليم وهي نازحة ... قدام قوم هم آووا وهم نصروا

سماهم الله أنصاراً بنصرهم ... دين الهدى وعوان الحرب تستعر

وسارعوا فى سبيل الله واعترفوا ... للثابات وماخانوا وماضجروا

والناس ألب علينا فيك ليس لنا ... الا السيوف وأطراف القنا وزر
نجالد الناس لا نبقي على أحد ... ولا نضيع ما توحى به السور
ولا نهر جناة الحرب نادينا ... ونحن حين تلظى نارها سعر
كما رددنا ببدر دون ما طلبوا ... أهل النفاق وفينا ينزل الظفر
ونحن جندك يوم النعف من أحد ... اذا خربت بطراً أخربها مضر
فما وهينا وما ضمنا وما خبروا ... منا عثارا وكل الناس قد عثروا

وروي ابن اسحاق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثر منهم القالة، حتى قال قائلهم لقي والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يا رسول الله ان هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال يا رسول الله ما أنا الا من قومي قال «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة» قال فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار. فأتاهم رسول الله

ﷺ فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله ثم قال « يامعشر الأنصار ما قالة بلغتنى عنكم وَجِدَةٌ وجدتموها على أنفسكم ، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ؟ وعالة فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى الله ورسوله آمن وأفضل ثم قال « الا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟ » قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله ، لله ورسوله المن والفضل . قال ﷺ « أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم الى اسلامكم الا ترضون يامعشر الأنصار ان يذهب بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ، اللهم أرحم الأنصار ، وأبناء الأنصار » قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا . ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا . وأمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت باحضار الغنائم والناس ثم قرضها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعا من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ اثنى عشر بعيرا وعشرين ومائة شاة ، هذا ما ذكره الحافظ ابن القيم فى زاد المعاد

حاصل ذلك أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم ما أعطاهم

من العطاء الجزيل وهو من الخمس ولم يكن من مجموع الغنائم ، وأكونه لم يعط الأنصار من ذلك علاوة على حصتهم من الغنائم وجدوا فى أنفسهم ما وجدوا ، فقالوا ماقالوا ، وذلك لانهم كانوا يؤملون أن ينالوا من رسول الله ﷺ أكثر من غيرهم لمناصرتهم لرسول الله ﷺ ومؤازرتهم له وربما ظنوا ان الذين حازوا على العطاء الجزيل هم أعظم مكانة عند رسول الله ﷺ منهم ولم يفطنوا للحكمة التى من أجلها أعطى رسول الله ﷺ المؤلفة من الخمس دونهم حتى قال بعضهم يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فهذه الصفة هي من صفات البشر التى أوجدها الله تعالى فى خلقه عامة ، الا من عصم الله ، وذلك أن كل انسان تشمله العناية بأن يكون مقربا من ولاة الأمر تجده حريصا على ان يكون هو المختص بجزيل عطاياهم دون غيره واذا وجدهم نحوا غيره بأكثر منه وجد فى نفسه ما وجد الأنصار فى أنفسهم بدون ان يتبصر فى السبب الذى جعل ولى الأمر يبر غيره بالعطاء الجزيل دونه ولذلك لما راجع سعد بن عبادة الأنصارى رسول الله ﷺ أمره باحضار الأنصار وافهمهم الحكمة فى كونه منح المؤلفة قلوبهم دونهم ولم يكن فى ذلك العطاء مأثرة لهم على الأنصار ، أو المهاجرين الذين سبقوهم الى الاسلام ، كما انه لم يعط رسول الله ﷺ السابقين الاولين من المهاجرين مثل ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير

وابي عبيدة وسعد بن ابى وقاص و امثالهم شيأ من ذلك ، بل انه ساوى فى تقسيم الغنائم بين المهاجرين والأنصار ومن دونهم على السواء ولذلك قنع الأنصار بذلك ورضوا وندموا على ما وقع منهم ، وذلك لأنهم فهموا أنه سبب وجيه وانه هو الذى صار عليه رسول الله ﷺ فى دعوته الناس الى الاسلام من جلب القلوب الى الله تعالى والايمان به بكل الطرق الممكنة من عفو ، ولطف ، ولين ، وكرم ، وسخاء ، وغض الطرف ، والتسامح ، لأن غرض النبي ﷺ دخول العالم بأجمعه في الاسلام سواء كانوا أقاربه أو قبائله أو عشيرته أو عربا أو عجما أو زنوجا ، وسواء كانوا أصدقاء أو أعداء على حد سواء ، فجل بغيته اصلاح البشر ليس الا ، وذلك بالتى هي أحسن ولم يجرد السيف الا اضطراراً اذا أعيته الحيلة وأما المال والغنائم فلم يكن لها عنده قيمة ونجده أشد مايكون ضنانا بالمال أولا على نفسه ثم على أقربائه ثم على أعز أصحابه وأصدقائه وأعظم مايكون سخيا على من يتألف قلوبهم ، والدليل على ذلك أنك لم تجد رجلا واحدا من هؤلاء الذين نالوا العطاء الجزيل من بنى هاشم أو بنى المطلب مع أن كثيرا منهم تأخر اسلامه بعد الفتح ، وبعد حنين ، والطائف ، ثم نتج من تأليف رسول الله ﷺ قلوب قريش وغيرهم من قبائل العرب بذلك العطاء الجزيل الذى أبهر عقولهم ان أصبحوا من أحسن الناس اسلاما وباسلامهم دانت كل قبائل العرب للاسلام وما مضت مدة وجيزة من

ذلك حتى توافدت وفود العرب الى رسول الله ﷺ من كل جانب كما سيتضح قريبا ، فظهر من ذلك أن عمل رسول الله ﷺ من أجل الأعمال حكمة وتدبيراً قال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى : اقتضت حكمة الله تعالى ان غنائم الكفار لما حصلت ثم قسمت على من لم يتمكن الايمان من قلبه لما بقي فيه من الطبع البشري فى محبة المال فقسمه فيهم لتطمئن قلوبهم وتجتمع على محبته لأنها جبلت على حب من أحسن اليها ومنع أهل الجهاد من أكابر المهاجرين ورؤساء الأنصار مع ظهور استحقاقهم لجميعها لأنه لو قسم ذلك فيهم لكان مقصورا عليهم بخلاف قسمته على المؤلفة لأن فيه استجلاب قلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون اذا رضى رئيسهم فلما كان ذلك العطاء سببا لدخولهم فى الاسلام ولتقوية قلب من دخل فيه قبل ، تبعهم من دونهم في الدخول فكان فى ذلك عظيم المصلحة ، ولذلك لم يقسم فيهم من أموال أهل مكة عند فتحها قليلا ولا كثيرا مع احتياج الجيوش الى المال الذي يعينهم على ماهم فيه فحرك الله قلوب المشركين لغزوهم فرأى كثيرهم أن يخرجوا معهم بأموالهم ، ونسائهم ، وأبنائهم ، فكانوا غنيمة للمسلمين ولو لم يقذف الله فى قلب رئيسهم ان يسوقهم معه هو الصواب لكان الرأي ما أشار اليه مريد فخالفه فكان ذلك سببا لتصييرهم غنيمة للمسلمين ، ثم اقتضت تلك الحكمة ان تقسم تلك الغنائم فى المؤلفة وبوكل من قلبه ممتلئ بالايمان الى ايمانه

ثم كان من تمام التأليف رد من سبى منهم اليهم فانشرحت صدورهم للاسلام فدخلوا طائعين راغبين وجبر ذلك قلوب أهل مكة بما نالهم من النصر والغنيمة عما حصل لهم من الكسر والرعب فصرف عنهم شر من كان يجاورهم من أشد العرب هوازن وثقيف بما وقع بهم من الكسرة وبما قيض لهم من الدخول في الاسلام ولولا ذلك ما كان أهل مكة يطيقون مقاومة تلك القبائل مع شدتها وكثرتها . هذا ملخص ما قاله ابن القيم وقد أسهب في زاد المعاد من شرح الحكم في أمثال ذلك مما لا يستغنى عنه . وروى ابن الجوزى عن أنس رضى الله عنه قال كان الرجل يأتي النبي ﷺ لشئ يعطاه من الدنيا فلا يمسى حتى يكون الاسلام أحب اليه من الدنيا وما فيها انتهى

## عمرة الجعرانة

فلما انتهى رسول الله ﷺ من تقسيم غنائم حنين واعطاء المؤلفة خرج من الجعرانة معتمرا وأمر ببقايا الفئ فحبس بمجنة بناحية مر الظهران ودخل مكة ليلا واستمر يلبي حتى استلم الحجر الاسود ثم رجع من ليلته وأصبح بها كبائت ؛ ولم يسق هديا بهذه العمرة وحلق رأسه ﷺ أبو هند الحجام بعد أن أقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة وكانت هذه العمرة في شهر ذى القعدة سنة ثمان من الهجرة .

# عودته الى المدينة

فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعا الى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد الأموى وخلف معه معاذ بن جبل الأنصارى رضى الله عنهما يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن . واتبع رسول الله ﷺ بقايا الفئ وقدم المدينة فى اليوم الرابع والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ثمان من الهجرة وكانت غيبته أكثر من ثمانين يوما والله أعلم .

---

انتهى بحمد الله تعالى الجزء الثالث من كتاب حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدينة فى يوم السبت الموافق لليوم الثالث والعشرين من شهر المحرم عام الالف والثلاثماية والواحد والخمسين من الهجرة النبوية ويليه الجزء الرابع وأوله (حج سنة ثمان من الهجرة) وفقنا الله تعالى واعاننا على اكماله حرر بقلم مؤلفه الراجى من الله فى الدارين السلامة حسين بن عبد الله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامه آل باداس الكندى الحضرمى المكي والحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين . أما بعد فقد تم طبع الجزء الثالث من حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الاسلامية تأليف الاستاذ الكامل الشيخ حسين ابن عبد الله باسلامه احد اعضاء مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية وذلك بالمطبعة العامرة الشرقية بجدة وكان الفراغ من طبعه وتصحيحه في اليوم الخامس عشر من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٥٣ هجرية وأرجو من قرائه الكرام ان يستروا ما به من اغلاط مطبعية وأسأله تعالى ان يوفقنا جميعاً لنشر العلم والادب وصلى الله على سيد العرب وعلى آله وصحبه ومن اليهم بإتباع الشرع انتسب ؟

هـذا جـدول الخطأ والصواب الذى وقع فى الجزء الثالث من كتاب حياة سيد العرب فينبغي على القارئ تصحيحه قبل قراءة الكتاب حتى تتم له الفائدة

| خطأ | صواب | سطر | صحيفة |
|---|---|---|---|
| وعنّاء | وعنّاء | ١ | ٧ |
| عشرين | عشرون | ١٧ | ٧ |
| وتردوا | وزدوا | ١ | ١١ |
| كلما | كل ما | ١٧ | ١٦ |
| خمسة عشر | خمس عشرة | ١٧ | ١٣ |
| الاصبع | الاصبغ | ١٤ | ١٤ |
| عنوه | بعنوه | ٩ | ١٥ |
| وسول | رسول | ١٧ | ١٦ |
| تعيشوا | تعشوا | ١٦ | ١٨ |
| مبيناً | مبنيا | ١٠ | ٢١ |
| بلقوم | بالتوم | ٨ | ٢٣ |
| يظهر | يظفر | ١ | ٢٧ |
| ما كان | ما كان من | ١١ | ٣٠ |
| الولدن | الولدان | ٦ | ٣٥ |
| مؤمنين | مؤمنون | ٥ | ٥٤ |
| النمرانيه | العمرانية | ١١ | ٦٢ |
| القفى | القفى | ١ | ٦٤ |
| يعتنونى | يفتنونني | ١٠ | ٦٤ |
| ثم | ثم | ٩ | ٧٠ |
| فاهذه | فانفذه | ٨ | ٧١ |
| وقالوا | وقال | ١ | ٧٢ |
| فنادى | نادى مناديه | ٦ | ٧٠ |
| امضى | امض | ٤ | ٧٣ |
| التعلق | يتعلق | ٥ | ٨٠ |
| أخى | اخ | ١١ | ٨٥ |
| موقتا | موقنا | ١٨ | ٨٥ |
| قرمانه | قهرمانه | ١٧ | ٨٩ |
| صبها | صبحها | ١٢ | ٩٩ |

| خطأ | صواب | سطر | صحيفة |
|---|---|---|---|
| جاءه | جاء | ١٣ | ١٠٤ |
| محرب | مجرب | ٧ | ١١٣ |
| « | « | ١ | ١١٤ |
| يعبد | يعبد | ١٦ | ١١٥ |
| فوجدوا | وجدوا | ٧ | ١١٦ |
| خلايل | خلاخيل | ٨ | ١١٨ |
| لايعرفوا | لايعرفون | ١٥ | ١٢٠ |
| الذين | اللاتى | ١٠ | ١٢١ |
| المنافقون | المنافقين | ٨ | ١٢٢ |
| اعدا | اعدى | ٩ | « |
| لخجلو | وخجلوا | ١٠ | « |
| موجودون | موجودين | ١١ | ١٢٩ |
| عليها | عليهما | ١٠ | ١٣٠ |
| الكثير | اوفر | ٩ | ١٣٣ |
| احدى | احد | ١٧ | ١٣٥ |
| الاحدى | الاحد | ٥ | ١٣٦ |
| شيئاً | شئ | ٩ | « |
| وصار طبيعي | وصار اطبعاً | ١٠ | « |

| خطأ | صواب | سطر | صحيفة |
|---|---|---|---|
| خيبر اليهوديين | خيبر اليهوديين ٢ | ٢ | ١٣٨ |
| المقوتين | المقوتان | ١٢ | ١٤٧ |
| له قيمة | فله قيمة | ٥ | ١٦١ |
| بخلاف اذا | بخلاف ما اذا | « | « |
| كثير | كثيراً | ٨ | « |
| الفظاظت | الفظاظة | ١٠ | « |
| القضية | القضاء | ١ | ١٦٢ |
| المؤمنين | والمؤمنين | ٤ | ١٦٨ |
| فض الناس | فضى الناس | ١ | ١٧٧ |
| فض | فضى | ٩ | « |
| صفح | صحف | ١٨ | ١٧٨ |
| شديد | شديداً | ١٥ | ١٧٩ |
| سوفك | سيوفك | ١٠ | ١٨٠ |
| للمسين | للمسلمين | ١٥ | ١٨٨ |
| ابي عبيدة | اباعبيدة | « | ١٨٩ |
| عشر | عشرة | ١١ | ١٩١ |
| اخية | اخاه | ١٦ | ١٩٨ |

| خطأ | صواب | سطر | صحيفة |
|---|---|---|---|
| عضواً | عضو | ١٨ | ٢٠٠ |
| متعصب | متعصبا | ١ | ٢٠٢ |
| متأخر | متأخراً | ٢ | » |
| اورجعى | اورجعياً | ٢ | » |
| واخيه | واخاه | ٣ | ٢٠٣ |
| فآخا | فآخى | ٨ | » |
| مسؤلا | مسؤل | ١٧ | » |
| الملحدون | الملحدين | ١٢ | ٢٠٤ |
| طريقين | طريقان | ٥ | ٢٠٥ |
| مخلصون | مخلصين | ٦ | » |
| فريق | فريقا | ٨ | » |
| من اساتذاتها | من اساتذتها | ٩ | » |
| من الو | من اولى | ١٢ | » |
| المتمردين | المتمردون | ٤ | ٢٠٦ |
| والجانين | والجانون | ٥ | » |
| بعرفت | بعرفة | ٣ | ٢١٠ |
| يا ابا | يا أبا | ٥ | ٢١٤ |
| غنى | غني | ١٨ | ٢١٤ |
| يا ابا بكر | يا ابا بكر | ١٣ | ٢١٦ |
| لاتزل | لاتذل | ١٧ | » |
| حتى تزل | حتى تذل | » | » |
| بالمَوَدَّةَ | بالمَوَدَّةِ | ١٦ | ٢١٨ |
| بالمودةَ | بالمودةِ | ١ | ٢١٩ |
| قبل يأتوه | قبل ان يأتوه | ٣ | ٢٢٣ |
| اباسفيان | ابى سفيان | ١٣ | ٢٢٥ |
| ما يستمك | ما يستمسك | ١٣ | ٢٣٥ |
| المشركون | المشركين | ٨ | ٢٣٧ |
| فعدت | فعدة | ٦ | » |
| احد | احداً | ٢ | ٢٣٨ |
| ابو قبيس | ابي قبيس | ١٧ | » |
| ابي طالب | اباطالب | ٥ | ٢٤١ |
| فاتم الطلقاء | فاتم الطلقاء | ١٧ | ٢٤٤ |
| عليه بالفتح | المانّ عليه بالفتح | ١١ | ٢٤٨ |
| اكتبوا | اكتبه | ١٠ | ٢٤٩ |

| خطأ | صواب | سطر | صحيفة |
|---|---|---|---|
| قدم | فدم | ١٢ | ٢٥٠ |
| واحد | واحداً | ٢ | ٢٦٣ |
| حول الكعبة | حول مكة | ٩ | ٢٦٥ |
| درهقا | رهقا | ٤ | ٢٧١ |
| غلطاطه | غلطاته | ١٤ | ٢٧٣ |
| وكلي | وكلا | ٢ | ٢٧٤ |
| عشر | عشرة | ٩ | ٢٧٦ |
| بعلوي | بعلو | ٦ | ٢٨٠ |
| شرق | شرقي | » | » |
| الآنف | الآلاف | ٧ | ٢٨٤ |
| او قاض | او قاضي | ١٦ | ٢٨٥ |
| مض | مضى | ٦ | ٢٨٦ |
| قضاء | فضاء | ٩ | » |
| رهبة | موهبة | ١٢ | » |

| خطأ | صواب | سطر | صحيفة |
|---|---|---|---|
| واحنائه | وانحائه | ١٥ | ٢٨٧ |
| آخذ | آخذًا | ١٧ | ٢٨٨ |
| اخطترطت | اخترطت | ١٠ | ٣٠٠ |
| فاذ كر | اذكر | ١٧ | » |
| وكابو | وكانوا | ٢ | ٣٠٣ |
| جلانه | جلادته | ٤ | ٣٠٥ |
| السقياء | السقيا | ٣ | ٣٠٩ |
| اذاق | اذاقهم | ١٦ | ٣١٥ |
| ليطأ من رؤس، ليطأطي رؤسا | | ١٧ | ٣١٥ |
| وعشرين | وعشرون | ١٠ | ٣١٦ |
| معتدلا | معتدل | ٢ | ٣١٧ |
| غرب | غربي | ١٦ | ٣١٩ |
| بها | به | ٥ | ٣٢٠ |